

الجَلْجَلُ الْعَوَى عِنْدَ الْعَرَبِ

مع دراسة لقضية التأثير والتأثر

تأليف

الدكتور أحمد مختار عمر
أستاذ علم اللغة - كلية دار العلوم
جامعة القاهرة

الطبعة السادسة

م ١٩٨٨

الناشر

حَالَةُ الْكِتَابِ

عبد الحافظ نبوت - القاهرة

٣٨

النحو في القرآن

مع دراسة لقضية التأثير والتأثير

تأليف
الدكتور احمد مختار عمر

أستاذ علم اللغة - كلية دار العلوم
جامعة القاهرة

الطبعة السادسة

١٩٨٨

النماشر

حال الكتب

٣٥ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

مكتبة لسان العرب
www.lisanarab.com

الطبعة الأولى ١٩٧١

الطبعة الثانية ١٩٧٦

الطبعة الثالثة ١٩٧٨ ، ١٩٨٠

الطبعة الرابعة ١٩٨٢

الطبعة الخامسة ١٩٨٥

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات الكتاب

الصفحة

11	المقدمة
٧٥ - ١٥	الباب الأول — دراسات تمهيدية
١٧	الفصل الأول : مصادر اللغويين العرب
	القرآن الكريم ١٧ — القراءات القرآنية ١٩ —
	الحديث النبوي ٣٤ — الشعر ٤٢ — الشواهد
	النثرة ٥٠ — مأخذ ٥٤ .
٥٧	الفصل الثاني — الدراسات اللغوية عند غير العرب
	تمهيد ٥٧ — الهنود ٥٧ — اليونانيون ٦١ —
	المصريون القدماء ٦٣ — السريان ٦٥ — العبرانيون
	٦٧ — الصينيون ٧٤ .
٣٣٧ - ٧٦	الباب الثاني — الدراسات اللغوية عند العرب
٧٩	الفصل الأول : مرحلة النشأة
	تأخر البحث اللغوي ٧٩ — غريب ابن عباس ٧٩ —
	محاولة أبي الأسود لضبط المصحف ٧٩ — علامة
	التشديد عند أهل المدينة ٨٠ — البدء بجمع
	المادة ٨٠ — تأخر البحث النحوي عن جمع المادة
	اللغوية ٨١ — النحو كهن نشا قبله كعلم ٨٢ —
	أول من الفوا في النحو ٨٣ — سبب وضع النحو ٨٦ —
	أمثلة لأولياء اللحن ٨٦ — الاقواء ٨٨ — عيسى بن
	عمر ٨٩ — أبو عمرو بن العلاء ٩٠ — عبد الله بن
	أبي اسحاق ٩٠ .
٩٣	الفصل الثاني : الأصوات
	عرض تاريخي ٩٣ — جهود النحاة ٩٣ — جهود
	المعجميين ٩٣ — علماء التجويد ٩٥ — المؤلفون في
	اعجاز القرآن وعلوم البلاغة ٩٦ — أصحاب

الصفحة

الموسوعات الأدبية ٩٨ — ابن جنی ١٠٠ — ابن سينا ١٠١ — بعض النتائج الصوتية التي توصل اليها العرب ١١٤ — تعقيب ١١٩ .

الفصل الثالث : النحو والصرف
 عرض تاريخي ١٢٣ — سيبويه ١٢٣ — الرد على سيبويه للمبرد ١٢٤ — الانتصار لسيبوبيه من المبرد لابن ولاد ١٢٥ — أبو جعفر الرؤاسي ومعاذ الهراء ١٢٦ — التناقض بين البصريين والковيين ١٢٦ هل وجدت مدارس نحوية عند العرب ١٢٨ — أهم الفروق بين مدرستي البصرة والكوفة ١٣٦ — ملاحظات ١٣٨ — دعوات التجديد والصلاح للنحو العربي ١٤٦ — أسباب الشكوى من النحو ١٤٦ — الشعوبيون والهجوم على النحو ١٥٢ — الكتب الميسرة ١٥٤ — مقترنات اصلاح النحو : ابن ولاد ١٥٦ — أبو العلاء المعري ١٥٧ — ابن حزم ١٥٨ — ابن مضاء ١٥٩ — قيمة الدراسات نحوية عند العرب ١٥٩ .

الفصل الرابع : المعجم
 ١ — **مقدمة للموضوع**
 صعوبة العمل المعجمي ١٦١ — تعريف المعجم ١٦٢ — المعجم اللغوي والموسوعة ١٦٢ — أنواع المعاجم ١٦٣ — معنى كلمة معجم واشتقاقها ١٦٣ — جمعها ١٦٤ — شروط المعجم ١٦٥ — وظيفة المعجم ١٦٥ — الخطوات الاجرائية لاعداد المعجم ١٦٧ — أول من استخدم لفظ معجم ١٧٣ — معجم وقاموس ١٧٣ .

الصفحة

٢ - الترتيب المعجمي عند العرب ١٧٥

القسم الأول : معاجم الألفاظ : درسية الترتيب المخرجى : العين للخليل ١٧٨ - الاحصاء الرياضى ١٧٩ - الشكوك حول العين ١٨٣ - ترتيب العين ١٨٩ تهذيب اللغة للأزهرى ١٩٣ - البارع للقائى ١٩٦ - مختصر العين للزبیدى ١٩٨ - المحيط للصاحب بن عباد ١٩٩ - المحكم لابن سیده ٢٠٠ - مثلان تطبيقيان على معاجم الترتيب الصوتى ٢٠١ - مدرسة الترتيب الأنباى : وضع الكلمة تحت أسبق حروفها : الجمهرة لابن دريد ٢٠٣ - مثلان تطبيقيان على معجم الجمهرة ٢٠٨ - وضع الكلمة تحت حرفها الأول بعد تجريدها : الجيم لابى عمرو الشيبانى ٢٠٩ - المقاييس لابن فارس ٢١٢ - مجلل اللغة لابن فارس - مثلان تطبيقيان على معجمي المقاييس والمجلل ٢١٥ - أساس البلاغة للزمخنرى ٢١٧ - المصباح المنير للفيومى ٢١٩ - وضع الكلمة تحت حرفها الأول دون تجريد : المقصور والمحدود لابن ولاد ٢٢٠ - غريب القرآن للسجستانى ٢٢٠ غريب القرآن وغريب الحديث ٢٢٠ - العرب للجواليقى ٢٢١ - السر في عدم شيعون هذا النظم بين المعجمين ٢٢١ - وضع الكلمة تحت حرفها الآخر دون تجريد : التقنية في اللغة للبندينجى ٢٢١ - وضع الكلمة تحت حرفها الأصلى الآخر : لمن الريادة ٤ ٢٢٢ - الصحاح للجوهرى ٢٢٤ - بين الصحاح وديوان الأدب ٢٢٥ - الأعمال التي دارت حول الصحاح : التنبية والإيضاح ٢٤١ - نفوذ السهم ٢٥١ - الوشاح ٢٥١ - التكلمة والذيل والصلة للصفانى ٢٥٢ - المختصرات ٢٥٢ - العباس

الصفحة

- للصفاني ٢٥٣ — لسان العرب لابن منظور ٢٥٥ —
 القاموس المحيط للفيروز ابادي ٢٥٧ — نظامه ٢٥٧
 بين الفيروز ابادي والجوهري ٢٥٩ — اضاءة
 الراوموس لابن الطيب الفاسى ٢٦٤ — تاج العروس
 للزبيدي ٢٦٦ — التكملة للزبيدي ٢٦٨ — مدرسة
 الترتيب بحسب الابنية : مدخل ٢٦٩ — مرحلة التمهيد
 ٢٧٠ — مرحلة المعجم الكامل : ديوان الادب لفارابى
 ٢٧٣ — المقدمة ٢٧٤ — المادة اللغوية ٢٧٥ —
 التذيليات ٢٧٨ — فائدة هذا النوع من المعاجم
 ٢٧٩ — تقدير القدماء لديوان الادب ٢٨٠ — عيوبه
 ٢٨١ — شمس العلوم لنشوان ٢٨٢ — نظامه ٢٨٣ —
 بين ديوان الادب وشمس العلوم ٢٨٤ — مقدمة الادب
 للزمخترى ٢٨٦ .

القسم الثاني : معاجم المعانى : الكتيبات والرسائل
 اللغوية ٢٨٨ — كتب الصفات والغريب المصنف
 ٢٨٨ — المخصص لابن سيده ٢٨٩ — كفاية المتحفظ
 لابن الأجدابى ٢٩١ — المؤلفات على كفاية المتحفظ
 ٢٩٣ .

- ٣ — المأخذ على المعاجم العربية ٢٩٥
 اهمال الترتيب الداخلى ٢٩٥ — الخروج على النهج
 المرسوم ٢٩٦ — اخطاء الشرح ٢٩٦ — الشرح المعيب
 ٢٩٨ — اهمال ضبط الكلمة ٢٩٨ — التقليد الاعمى
 ٢٩٨ — تقدير فترة التسجيل ٣٠٠ — تجاوز وظيفة
 المعجم ٣٠٠ — جمود المعجم العربى في العصر الحديث
 ٣٠١ .

الصفحة

- ٤ — اهم المحاولات لوضع معجم حديث ٣٠٤
 محاولات الانفراد : وضع منهجية جديدة وجهود احمد فارس الشدياق ٣٠٤ — تأليف المعاجم الميسرة : محيط المحيط ٣١٠ — قطر المحيط ٣١٠ — أقرب الموارد ٣١٠ — المنجد ٣١٠ — البستان وفاكهه البستان ٣١١ — متن اللغة ٣١١ — الرائد ٣١١ — المساعد ٣١١ — اعادة ترتيب المعاجم القديمة : ترتيب القاموس المحيط ٣١٣ — مختار القاموس ٣١٣ — المختار من صحاح اللغة ٣١٤ — الافصاح في فقه اللغة ٣١٤ — معاجم المستشرقين : محاولة فيشر ٣١٦ — معجم لين ٣١٩ — معجم دوزي ٣٢١
 محاولات الماجع اللفووية : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٣٢٢ — المعجم الوسيط ٣٢٣ — المعجم الكبير ٣٢٤ — معجم الفاظ القرآن الكريم ٣٢٥ — مصطلحات العلوم والفنون ٣٢٥ — المعجم الوجيز ٣٢٥ — المكتب الدائم لتنسيق التعریف ٣٢٦ —
 المجمع العلمي العربي بدمشق ٣٢٨
- ٤ — قائمة بكلمات يصعب معرفة أصلها ٤٢٩
- الفصل الخامس : الدراسة المقارنة ٤٣٣
 الرزعم ان الدراسة المقارنة لم توجد الا في العصر الحديث ٤٣٣ — قدم الدراسة المقارنة عند العرب ٤٣٣ — ابن بارون ٤٣٣ — جودة بن قريش ٤٣٦
- الباب الثالث — قضية الناشر والتأثر ٤٣٩ — ٤٦٥
- تمهيد ٤٤١

الصفحة

الفصل الأول : احتمالات التأثير الاجنبي	٣٤٣
الهنود ٣٤٣ — اليونان ٣٥٠ — السريان ٣٥٢ —	
العبرانيون ٣٥٥ .	
الفصل الثاني : احتمالات التأثير العربي	٣٥٧
النحو السرياني ٣٥٧ — النحو القبطي ٣٥٨ —	
النحو العبرى ٣٥٨ — المعجم : الهنود ٣٥٩ — الترك ٣٥٩ —	
ديوان لفاس الترك للكاشغرى ٣٦٠ .	
قاموس الأروام ملا صالح ٣٦٣ — الفرس ٣٦٣ —	
استعارة الحروف العربية ٣٦٤ — العروض العربي ٣٦٤ .	
مراجع الكتاب :	٣٨٢ — ٣٦٧
١ — المراجع العربية	٣٦٩
٢ — المراجع الأجنبية	٣٨١
كتب أخرى للمؤلف	٣٨٣

المقدمة

يتناول هذا الكتاب بالتاريخ الدراسات اللغوية عند العرب ، منذ نشأتها المبكرة إلى أن وصلت إلى مرحلة النضج والكمال ، ولا يتجاوز ذلك القرن الخامس الهجري بـأى حال من الأحوال . ففى هذا القرن اكتملت الاتجاهات المعجمية ، وفي القرن الذى قبله وصل الدرس النحوى والمصرف والأصواتى إلى قمته . ولم يبعد ما تلا ذلك من الدراسات أن يكون ترديداً أو شرحاً أو تلخيصاً أو نظماً لأعمال سابقة .

ولم يتجاوز القرن الخامس إلا في حالة واحدة ، هي أن أبدأ بالحديث عن اتجاه ما ، ثم لا أجد له ينتهي بانتهاء هذا القرن ، فلم يكن هناك بد من السير بالاتجاه إلى نهايته . وقد حدث هذا – مثلاً – حين تتبعى المدارس المعجمية ، وحدث كذلك حين الكلام عن دعوات التجديد والاصلاح للنحو العربي .

ولما كان الحكم على العقلية العربية ، وتقسيم ما قدمته في ميدان الدراسات اللغوية من أبحاث ونظريات لا يكتمل إلا بمعرفة جهود السابقين والمعاصرين في نفس الميدان ، رأيت أن أخصص فصلاً في الباب الأول لعلاج هذا الموضوع واختارت له عنوان « الدراسات اللغوية عند غير العرب » . وتسلم هذه الدراسة للأعمال اللغوية الأجنبية – إلى جانب الأعمال اللغوية العربية – إلى تساؤل يتعلق بمدى الصلة بين الجهدتين ، ومقدار ما قدمه كل طرف لآخر أو أخذه عنه . وقد أفردت لعلاج هذا الموضوع باباً خاصاً هو الباب الثالث الذي عالج قضية التأثير من جانبيها ولكن في أيجاز وتركيزه .

ولست أزعم أن كل ما جاء في هذا الكتاب جديد ، وبعضاً منه – وهو قليل – لا جديد فيه على الاطلاق ، وبعضاً قد تم وضعه في ثوب جديد ، وبعضاً – وهو كثير – جديد بالنسبة للمقارئ العربية .

وأرجو أن يغنى هذا الكتاب طلاب الدراسات العليا في جامعتنا العربية عن الرجوع إلى المظان المختلفة وبعضاها نادر الوجود وبعضاها الآخر مصور أو مخطوط . كما أرجو أن يكون نافذة تفتح عيونهم على كثير من المقضايا التي ماتزال معلقة حتى الآن ، أو ماتزال في حاجة إلى تحليل وتمحيص .

وأحمد الله أن لاقى هذا الكتاب رواجاً كبيراً لم يكن أتوقعه حتى صدرت له خمس طبعات في خمس عشرة سنة . وقد اقتضاني هذا إعادة النظر فيه عند كل مرة أدفعه إلى المطبعة . وكتت في كل مرة أتجنب ما قد أجده من هفوات أو مواطن نقص وأزيد ما بدا لي ضرورياً .

وتختلف هذه الطبعة عن الطبعات السابقة اختلافاً ملمساً وتتميز بما يأتي :

- ١ - تحرير القول في موقف اللغويين والنحاة من القراءات القرآنية .
- ٢ - تدقيق النظر في موقف اللغويين من الحديث النبوى الشريف .
- ٣ - إعطاء آراء ابن سينا الصوتية اهتماماً خاصاً بعد أن نشر كتابه «أسباب حدوث الحروف» نشرة علمية محققة .
- ٤ - توسيع الفصل الخاص بالمعاجم ليلبى حاجات الطلاب والمدارسين ، وبخاصة بعد أن أصبح علم المعاجم مقرراً مستقلاً في كثير من الجامعات العربية ، وبعد أن تطورت صناعة المعجم على المستوى العالمي .

وقد أضفت في هذا الفصل عناوين كثيرة مثل :

المعجم اللغوى والموسوعة - الخطوات الاجرائية لاعداد المعجم -
مجمل اللغة لابن فارس - دراسة تحليلية لكتاب ابن برى «التبنيه
والايضاح» - التكملة والذيل والصلة للزبيدي - حاضر المعجم العربى -

وضم منهجية جديدة للمعجم العربي وجهود أحمد فارس الشدياق -
معجم المساعد للكرملي •

كما أضفت بعض الأمثلة التطبيقية على معاجم الترتيب الصوتى
والجمهرة والمقاييس نظراً لصعوبة الكشف فيها ، وحاجة مستعملها إلى
تدريب خاص •

وهناك اضافات أخرى وتعديلات موزعة في شايا الكتاب يصعب
حصرها •
والله الموفق •

المؤلف

سبتمبر ١٩٨٧





الباب الأول

دراسات تمهيدية



الفصل الأول

مصادر اللغوين العرب

من الممكن حصر المصادر التي استقى منها اللغويون العرب مادتهم

فيما يأتي :

- ١ - القرآن الكريم •
- ٢ - القراءات القرآنية •
- ٣ - الحديث النبوي •
- ٤ - الشعر •
- ٥ - الشواهد النثرية •

وان وجد بينهم خلاف حول بعضها • واليكم بيان ذلك :

١ - القرآن الكريم

وقد اعتبروه في أعلى درجات الفصاحة وخير ممثل للغة الأدبية المشتركة ، ولذا وقفوا منه موقعاً موحداً فاستشهدوا به ، وقبلوا كل ما جاء فيه • ولا يعرف أحد من اللغويين قد تعرض لشئ مما أثبتت في المصحف بالنقد والتخطئة^(١) • ويقول الراغب الأصفهانى في كتابه المفردات مبيناً قيمة اللفظ القرآنى : « المفاظ القرآن الكريم هي لب كلام العرب

(١) بل كانوا يدافعون عن النص القرآني ضد ما يوجه إليه من شبكات كما فعل ابن هشام في شذور الذهب حين نقل ما يروى عن عثمان أنه قال : « إن في المصحف لحنًا وستقيمه العرب بأسنتها » . وما يروى عن عائشة أنها قالت : « هذا خطأ من الكاتب » (في قوله تعالى : « والمقيمين » و « الصابئون » و « إن هذان ») فقد ذكر أن الخبر باطل لوجوه منها : ١ - أن الصحابة كانوا يتشارعون إلى إنكار أدنى المكررات فكيف يقررون

اللحن في القرآن ؟

ب - أن العرب كانت تستتبع اللحن فكيف لا تستتبّعه في القرآن ؟

ج - أن المصحف يطلع عليه العربي وغيره .

وزبنته ، وواسطته ، وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء .. واليها مفزع حذق الشعراء والبلغاء .. وما عداها .. كالقصور والنوى بالإضافة الى أطلايب المثمرة » .

والمراد بالقرآن النص القرآني المدون في المصحف ، وهو غير القراءات . يقول الزركشى في البرهان : « القرآن والقراءات حقيقة متغيرةتان . فالقرآن هو الوحي المنزلي على محمد ﷺ للبيان والاعجاز . والقراءات هي اختلاف الفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثنيل وغيرها .. » (١) . ويقول الإمام في الأحكام : « أما حقيقة الكتاب فقد قيل فيه هو ما نقل العينا بين دفتى المصحف بالأحرف السبعة المشهورة نقاً متوافراً » (٢) .

ومن الحقائق المسلمة أن القرآن نزل أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ، ثم أصبح للعرب أن يقرأوه بلغتهم . ولم يكلف أحد منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أخرى للمشقة (٣) ، وكانت الإباحة بعد أن كثر دخول العرب في الإسلام وذلك بعد الهجرة (٤) . فلما جاء عثمان وأراد جمع القرآن في المصاحف ونسخها « اقتصر من سائر اللغات على لغة قريش » (٥) ، ولذلك « جعل مع زيد النفر المترشين لئلا يكون شيء من القرآن مرسوماً على غير لغتهم » (٦) ، وقال عثمان للترشيين :

د - أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب « التابوه » باللهاء فأمره عثمان أن يكتبه بالفاء على لغة قريش .

ه - أن عمر بلغه قراءة ابن مسعود « عتى » فأمره أن يدعها ويقرئ الناس بلغة قريش فإن الله إنما أنزله بلغتهم (شرح شذور الذهب بحاشية الأمير ، ص ١٨) .

(١) البرهان ٢١٨/١ .

(٢) الأحكام ٢٢٨/١ .

(٣) القراءات واللهجات ، ص ٨ .

(٤) النووي على مسلم ١٠٣/٦ .

(٥) الاتقان ٦٣/١ .

(٦) المتنع ص ١٠٩ .

« إن أختلفتم في شيء أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه على لسان قريش فانما
نزل بلسان قريش » ^(١) .

٢ — القراءات القرآنية

وهي الوجوه المختلفة التي سمح النبي بقراءة نص المصحف بها قصدا
للتيسير ، وللتى جاءت وفقاً للهجة من اللهجات العربية . يقول ابن الجزرى
في كتابه النشر ^(٢) :

« فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتحقيق على هذه الأمة وإرادته
اليسر بها والتهوين عليها وتوسيعه ورحمه وخصوصية لفضلها وإيجابية
لقصد نبيها . حيث أتاه جبريل فقال له : إن الله يأمرك أن تقرئ أمته
القرآن على حرف ، فقال صلى الله عليه وسلم أسأل الله مغافاته ومعونته
إن أمتى لا تطبق ذلك ، ولم يزد يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف » .

ويقول : « إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق
أحمرها وأسودها عربها وعجميها ، وكانت العرب الذين نزل القرآن
بلغتهم لغاتهم مختلفة ، وإن سنتهم شتى ، ويحسن على أحدهم الانتقال
من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر ، بل قد يكون بعضهم لا يقدر
على ذلك ولا بالتعليم والعلاج لاسيما الشيخ والمرأة ، ومن لم يقرأ
كتاباً . فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن سنتهم لكان من
التكليف بما لا يستطيع ، وما عسى أن يتكلف وتتأبى الطياع » .

ثم ينقل ابن الجزرى عن ابن قتيبة في كتابه « تأويل مشكل القرآن »
قوله :

« فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن
يقرئ كل أمة بلغتهم وما جرت عليه عادتهم : فاللهذى يقرأ (عنى حين

(١) المرجع ص ٥ .

(٢) النشر ٤٢/١ .

يريد (حتى) ٠٠ والقرشى لا يهمز ، والآخر يقرأ (قيل لهم وغيض الماء) بالأشمام ٠٠ وهذا يقرأ (عليهم ومنهم) ٠٠ والآخر يقرأ (عليهمو ومنهمو) بالصلة ٠٠ الى غير ذلك ٠ ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنـة فيه » ٠

شروط قبول اللغويين للقراءة :

يحتاج موقف اللغويين من القراءات القرآنية وشروط قبولهم لها إلى توضيح ، لأن هناك خلطاً كثيراً وقع في هذه القضية ٠ وأحب بادىء ذى بدء أن أميز بين منهجين مختلفين وموقفين متبابعين من القراءات القرآنية :

أولهما : موقف القراء وعلماء الأصول ٠

والآخر : موقف اللغويين والنحاة ٠

الفريق الأول حكمته النظرة إلى القراءة باعتبارها وسيلة تبعد وتنقرب إلى الله ، وشرطها لصحة الصلاة ، ومصدراً للتشريع ٠

أما الفريق الثاني فقد حكمته النظرة إلى القراءة باعتبارها أحد المصادر اللغوية المعتمدة ، وشاهداً لا يصح النظر إليه بمعزل عن سائر الشواهد اللغوية ٠

الفريق الأول — حين غالب المقياس الديني — وضع لقبول القراءة شروطًا ثلاثة هي :

١ — موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتتمالاً ٠

٢ — موافقة العربية ولو بوجهه ٠

٣ — صحة سندتها واتصال روایتها^(١) ٠

(١) النشر لابن الجزرى من ١ - ٩ .

أما الفريق الثاني - وهو الذي يهمنا - فقد وضع لصحة القراءة شرطاً واحداً هو صحة الرواية عن القاريء العدل حتى لو كان فرداً ، وسواء رويت القراءة بطريق التواتر أو الأحاداد ، وسواء كانت سبعية أو عشرية أو شاذة . بل إن ابن جنی في كتابه « المحتسب » كان حريضاً على وضع القراءة الشاذة على قدم المساواة مع القراءة السبعية ، وذلك في قوله : « إنه نازع بالثقة إلى قرائة ، محفوف بالرواية من أمامه وورائه . ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه » . وإذا كان اللغويون لم يستطردوا القول المتواتر في أي نص لغوي فلماذا يشترطونه في القراءة القرآنية . وإذا كانوا قد صرحوا بقبول نقل الواحد إذا كان الناقل عدلاً رجلاً كان أو امرأة ، حراً كان أو عبداً^(١) فلماذا يوضع قيد على قبول القراءة دون غيرها ؟ بل أكثر من هذا يصرح السيوطي بأن العدالة وإن كانت شرطاً في الراوى فهي ليست شرطاً في العربي الذي يحتاج بقوله .

والى جانب عدم اشتراط اللغوي للتواتر لم يستشرط اتصال السند ورفعه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . واللغويون بهذا يتعاملون مع القراءة على أنها نص عربي رواه أوقرأ به من يوثق في عربيته على فرض التشكيك في نسبة القراءة إلى الرسول . وبهذا يدخل في باب الاحتجاج اللغوي كثير مما عده القراء من باب التفسير أو الشرح اللغوي .

أما شرط موافقة القراءة لأحد الصاحف العثمانية فلا يتقييد به اللغوي كذلك . بل هو يرى في هذا الشرط حداً من ماندة تعدد القراءات واضاعة للحكمة من تشريعه ، وهي التخفيف على هذه الأمة وارادة الميسر بها كما سبق أن ذكرنا .

إن العادات النطقية والقدرة على التلفظ ببعض الأصوات دون بعض إنما ترتبط بالجانب الصوتى لا الكتابى . وإلا فأى صعوبة نطقية تتحقق

(١) الاقتراح للسيوطى ص ٨٦ .

فَإِنْ يَقْرَأُ الْقَارِئُ الْكَلْمَةَ كَمَا قَرَأْتَ : « فَتَبَيَّنُوا » أَوْ « فَتَبَيَّنُوا » ؟ وَأَيْ صَعْوَدَةٍ فِي أَنْ يُنْطَقَ كَلْمَةً « عِبَادٌ » فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا نَعْلَمُ مَا فِي أَعْيُنِهِمْ » كَمَا قَرَأَهَا ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ عَامِرٍ وَنَافِعٍ وَغَيْرَهُمْ : « عِنْدَ الرَّحْمَنِ » ، أَوْ كَمَا قَرَأَهَا أَبْنَى وَسَعِيدُ بْنُ جَبَرٍ : « عِنْدَ الرَّحْمَنِ » ، (بَفْتَحِ الْعَيْنِ وَسَكُونِ الْبَاءِ) أَوْ كَمَا قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ : « عَبْنَادَ الرَّحْمَنِ » (بِضمِ الْعَيْنِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ) ؟ وَهُلْ تَظْهَرُ الْحَكْمَةُ مِنْ تَعْدُدِ الْقِرَاءَاتِ فِي مُثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَسَخَرْ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ » ، حِينَما قَرَأَتْ « مِنْهُ » تَارَةً : « مِنْتَهَ » (بِكَسْرِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ وَالنَّصْبِ) وَتَارَةً : « مَنْتَهَ » (بَفْتَحِ الْمِيمِ وَضْمِ النُّونِ الْمَشَدُودَةِ وَالْأَضَافَةِ) ، وَتَارَةً : « مِنْتَهَ » (بِكَسْرِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ وَالرَّفْعِ) ؟

فَإِذَا كَانَ مُثْلِ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ يَدْخُلُ فِي بَابِ الْمُقْبُولِ مَعَ غِيَابِ حَكْمَةِ التَّخْفِيفِ فِيهَا ، فَلَمَّاذَا نَسْتَبِعُ قِرَاءَاتٍ أُخْرَى تَبْعُدُ حَكْمَةَ التَّخْفِيفِ وَاضْحَى مِنْهَا لِمَجْرِدِ مُخَالَفَتِهَا لِرِسْمِ الْمَصْحَفِ ؟ وَالْأَمْثَلَةُ كَثِيرَةٌ عَلَى الْقِرَاءَاتِ الَّتِي تَدْخُلُ فِي بَابِ الْعَادَةِ الْكَلَامِيَّةِ أَوِ الْخَاصَّةِ الْلَّهِجِيَّةِ — مَمَّا يَقْبِلُهُ الْلُّغُويُّ دُونَ تَرْدُدٍ — وَيُسْتَبِعُهُ الْقَارِئُ مُخَالَفَتِهِ لِرِسْمِ الْمَصْحَفِ ، مُثْلًا :

١ - (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ « بِضَنِينَ ») ، الَّتِي قَرَأَتْ : « بِظَنِينَ » .
وَكُلُّنَا يَلْاحِظُ التَّدَافُلَ بَيْنَ صَوْتِ الْضَّادِ وَالظَّاءِ حَتَّى فِي لُغَةِ الْمُعَاصِرِينَ .
وَرِسْمُ الْمَصْحَفِ لَا يُسْمَحُ بِالتَّبَادُلِ بَيْنَ الضَّادِ وَالظَّاءِ .

٢ - قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِذَا السَّمَاءُ « كَسَطَتْ ») ، وَقَوْلِهِ (فَأَمَا الْيَتَيمَ فَلَا « تَكَهَرَ ») فَنَقْدُ قَرَأَهُمَا ابْنُ مُسَعُودٍ عَلَى خَلَفِ سَائِرِ الْقِرَاءَ حِينَ أَبْدَلَ الْكَافَ قَافًا فِي الْأُولَى فَصَارَتْ : « قَشَطَتْ » ، وَأَبْدَلَ الْقَافَ كَافًا فِي الثَّانِيَةِ فَصَارَتْ « تَكَهَرَ » . وَالصَّلَةُ الصَّوْتِيَّةُ بَيْنَ الْكَافِ وَالْكَافِ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى تَعْلِيقٍ ، وَرِسْمُ الْمَصْحَفِ لَا يُسْمَحُ بِالتَّبَادُلِ بَيْنَ الْكَافِ وَالْكَافِ .

٣ — قراءة ابن مسعود : « عتى حين » في : « حتى حين » ، وهي خاصة لهجية معروفة منقولة عن هذيل .

٤ — ومثل هذا يقال عن قراءة : « إنا أنتيناك الكوثر » بدلاً من : « أعطيناك الكوثر » ، وقد قرأ بها كل من الحسن وطلحة وابن محيسن وأئم سلمة .

بل إنني أرى أن شرط موافقة القراءة لأحد المصاحف العثمانية قد فتح ببابا دخل منه بعض القراء واللغويين الذين غلبوا جانب الرسم على جانب الرواية ، فسمحوا بالقراءة بما يوافق الرسم دون التحقق من صحة الرواية . وهذا باب خطير دخل منه كثير من الطاعنين في القراءات حين ردوا كثيراً مما روى منها إلى الاجتهاد في النطق بما هو مرسوم . ولهذا كان حمزة بن حسن الأصفهانى في كتابه « التبييه على حدوث التصحيح » حريضاً على أن يوضح أن احتمال المجاز لا يكفى بل لا بد أن يقرأ بهما لتصيرأ قراءتين . أما إذا احتمل المجاز لفظين ولم يقرأ بهما فلا تصيران قراءتين . وضرب الأصفهانى أمثلة لقراءات وافتقت رسم المصحف ولم تصح الرواية فيها فنعدت من التصحيح ، منها القراءات المنسوبة إلى حماد الرواية ، قال الأصفهانى : « وكان حماد الرواية يقرأ القرآن دون روایة فكان يقع في التصحيح » ، وما صحفه ، « بل الذين كفروا في غرة (بكسر الغين) وشناق » ، بدلاً من « في عزة وشناق » ، وكذلك : « لكل أمرىء منهم يومئذ شأن يعنيه » ، بدلاً من « شأن يعنيه » . وغير ذلك .

أما شرط « موافقة العربية ولو بوجهه » فلا يرى اللغوى ضرورة له ، لأنه أمر متحقق لا محالة حين يتحقق شرط الرواية ، ولهذا يقول ابن الجزري : « وقولنا في الضابط : (ولو بوجهه) نزيد به وجهًا من وجوه النحو سواء كان أفعى أم فصيحاً ، مجمعًا عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الأئمة

بالاسناد الصحيح ٠٠٠ » ٠ وحين أراد ابن الجزرى أن يمثل لما نقله الثقة ولا وجه له في العربية لم يجد ما يمثل به الا ما كان من قبيل السهو والخطأ ، ومع ذلك عقب بقوله : وهو قليل جدا بل لا يكاد يوجد »^(١) ٠

ومن الغريب أن نجد من بين المشتغلين بالقراءات من المعاصرين من يحاول اسقاط مادعا القراءات السبع من الكتب ، ويرفض اثباتها أو الاشارة إليها لأى غرض من الأغراض ٠ فأقصى ما يمكن أن يقوله قائل : انه لا تصح الصلاة بغير المتواتر ، لانه ليس بقرآن ٠ ولكن اذا لم يكن قرآنا ، أليس من وجة النظر اللغوية البحثة كلاما عربيا فصحيحا ؟ وإذا كان يحظر التبعد به أو قراءته في الصلاة ، أليس هناك مجالات أخرى لروايته والاستشهاد به ؟ يقول القسطلاني^(٢) : « ان من قرأ بالشواذ غير معتقد أنها قرآن ولا يوهم أحدا ذلك ، بل لما فيها من الأحكام الشرعية عند من يحتاج بها ، أو الأحكام الأدبية فلا كلام في جواز قرائتها » ٠ وبهذا ينبع أن تدخل القراءات بجميع درجاتها ومستوياتها في الدرس الأدبي واللغوى دون حرج ٠

نظرة اللغويين إلى القراءة :

تختلف نظرة اللغويين إلى القراءة باختلاف الغاية من الاستشهاد بها ٠ فلن كانت الغاية اثبات وجود اللفظ في اللغة ، أو ضبط نطقه ، أو ذكر معناه ، أو غير ذلك من النتائج الجزئية التي لا تعمم حكما ، ولا تبني قاعدة — اذا كانت الغاية كذلك فلا يهم كثرة التماذج اللغوية المواقفة لهذه القراءة أو قلتها ، كما لا يهم أن تكون القراءة هي النموذج الوحيد المنقوللينا ٠ وقد قبل اللغويون روایات الآحاد بالنسبة لجميع الشواهد اللغوية في مثل هذه الحالة ٠

(١) النشر ١٠/١ ، ١٦ .

(٢) لطائف الاشارات ص ٧٣ .

أما إذا كانت الغاية من الاستشهاد وضع قاعدة ، أو استنباط حكم أن تقنين نمط فإن اللغوى حينئذ يضع القراءة إلى جانب غيرها من النصوص ، ويوازن بينها ، وبينى القاعدة على الكثير الشائع ، سواء كان مقرولاً به ، أو غير مقرؤه ، وسواء كانت القراءة متواترة أو غير متواترة . والقراءة حينئذ لا تتميز بوضع خاص ، ولا تتفرد بنظرية معينة بالنسبة لسائر المصادر اللغوية . وكيف تتميز والنصل القرآنى نفسه لم يعط أى ميزة في مجال التقعيد على غيره من النصوص ؟

ألم يتوقف اللغويون عند بعض الآيات الترآنية فمحفظوها ولم يقيسوا عليها لأنها لم تأت طبقاً للنموذج الشائع في لغة العرب ؟

أينما يسمح بأن يقيس المتعلم على الآية القرآنية « إن » (بنون مشددة) هذان لساحران » فيرفع الطرفين بعد « إن » ؟ (الآية ٦٣ طه) وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة وعاصم والكتائى من القراء السبعة . ومثل هذا يقال عن قراءة معظم السبعة « بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاء » (النساء ١٦٢) .

فالقراءة إذن في مجال التقنين والتقعيد لا تعزل عن بقية المصادر اللغوية وهي القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف والشعر الجاهلى والإسلامى ومؤشر النثر من حكم وأمثال خطب ٠٠٠ وهى تتوضع مع غيرها في سلة واحدة ويصنف الجميع ويحلل ثم توفضح القاعدة على ما تثبت كثرتها ويتبين شيوخه واطراده ، لأنه هو الذى يمثل اللغة المشتركة أو القاعدة التي يجب محاكاتها واللتزام بها .

ومعنى هذا أن معيار اللغوى ومنهجه يختلف عن معيار القراء ومنهجه ، وأن أي محاولة لفرض منهج القراءة على اللغويين سيعني فرض منهج علم على علم آخر ، كما سيظهر اللغوى بمظهر المضطرب أو المتناقض في أقواله وأفعاله .

وعلى هذا فحين يقول اللغويون عن القراءات :

١ - « والقراء لم يطالبوا بأن يحملوا القراءة على ما يجوز في
كلام العرب بل ان قراءتهم مردودة الى الرواية » (رسالة الملاكمة
للمعرى) .

٢ - « الرواية تصلها الى رسول الله ، والله تعالى يقول : (وما
آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) وهذا حكم عام في المعنى
والالفاظ » (المحتسب لابن جنى) .

٣ - « والسلامة عند أهل الدين اذا صحت القراءات عن الجماعة
ألا يقال احدهما أوجد من الأخرى لأنهما جمعا عن النبي ﷺ فيأثم
من قال ذلك » (إعراب القرآن للنحاس) .

فليس معنى هذا أنهم لابد أن يقعدوا عليها بصورة مطلقة ، وأن
يخالفوا أمثلتهم الكثيرة ليعنوا على ما كان منها قليلا . كنا أنه ليس
معنى رفضهم التقعيد على بعض القراءات أنهم يرفضون قبول
القراءات كل .

وبهذا يمكننا أن نفهم وجهة نظر اللغويين القدماء الذين استبعدوا
من مجال الاستشهاد القراءات سبعة مثل :

١ - قراءة ابن عامر : وكذلك زين (بضم الزاي) لكتير من المشركين
قتل (بضم اللام) أو لادهم (بفتح الدال) شركائهم « بالفصل بين
المضاف والمضاف اليه بالمفعول .

٢ - قراءة حمزة : « واتقو الله الذي تسألون به والأرحام »
بالجر على عطف الظاهر على الضمير المتصل دون إعادة حرف الجر .
وقد وضع أبو علي الفارسي ذلك قائلا : « وهذا ضعيف في القياس وقليل
في الاستعمال ، وما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن » .

٣ — قراءة نافع : « وجعلنا لكم فيها معاش » بابدال ياء مفعلة همة في الجمع وهي ليست زائدة • وقد قال المازنی تعليقا على هذه القراءة : « أصل أخذ هذه القراءة عن نافع ، ولم يكن يدرى ما العربية » ، وقال الزجاج : « ولا أعلم لها وجها الا التشبيه بصحيفة وصھائف ، ولا ينبغي التعويل على هذه القراءة » •

وفي نفس الوقت قبلوا في الاستشهاد قراءات غير سبعية مثل :

- (أ) قراءة الحسن : اهبطوا مصر (بمنع مصر من الصرف) •
(ب) قراءة الحسن : ولا خوف (بفتحة واحدة) عليهم ولا هم يحزنون •
(ج) قراءة الأعمش : وإن منها لما يهبط (بضم الباء) من خشية الله •

فالنوع الأول وان حقق شروط القراء لم يحقق شروط اللغويين ، والنوع الثاني وان لم يحقق شروط القراء فقد حقق شروط اللغويين •

مناقشة اللغويين المعاصرین :

أدى عدم تقرقة كثير من اللغويين المعاصرین بين الاستشهاد بالقراءة في مجال اللغة والاستشهاد بها في مجال النحو ، وعدم القزام كثير من النحاة بالاستشهاد بالقراءة في مجال النحو رغم تصريحاتهم الكثيرة بأن القراءة سنة ، وأن الرواية تصلها إلى الرسول — أدى هذا وذاك إلى التلبيس على كثير من الباحثين وايقاعهم في الحيرة والاضطراب حين أرادوا التوفيق بين تصريحات اللغويين ومواقف النحاة :

- (أ) فالدكتور عبد الفتاح شلبي ^(١) يرى أن موقف قدامي النحاة من القراءات كان موقفاً مهادنة لأن مدرسة الإقراء ومدرسة النحو

(١) رسالته للدكتوراه المعونة « أبو على الفارسي » — غير مرقمة
الصفحات .

هشأتا متصلتين ، ثم حينما أخذتا في الانفصال تميزتا حتى بلغ من انفراج الشقة بينماما أن عرض النحاة المتأخرن بمسانيد القراء وضعفهم في العربية .

ونحن لا نستطيع أن نسلم بهذا الرأي بعد أن وجدنا من النحاة الأول من كان يلعن القراء ويتعذر لهم بالنقض والتخطئة .

١ - فقد حكى البغدادي في خزانته أن النحاة في عصر أبي عمرو بن العلاء أنكروا على القراء قراءتهم « وما أنت بمصرحي » بكسر الياء ، ففزع أحدهم إلى أبي عمرو بن العلاء قائلا له : إن أصحاب النحو يلعنوننا فيها ، فقال له : هي جائزة أيضا لا تبال (١) .

ومن طعن في هذه القراءة من قدامى النحاة الفراء الذي وصفها بأنها من وهم القراء اذ ظنوا أن الياء في « بمصرحي » خافضة للفظ كله ، مع أن الياء للمتكلّم (٢) . كذلك طعن فيها أبو عبيدة وقال : « فراهم قد غلطوا ظنا أن الياء تكسر لما بعدها » . وطعن فيها أيضا أبو حاتم والأخفش والزجاج وغيرهم (٣) .

٢ - قرأ نافع وابن عامر : « أتحاجوني » بنون خفيفة ، كما قرأ نافع : « فبم تبشرؤن » . وقد خطأ أبو عمرو بن العلاء القراءتين محتاجاً لأن يقول : « أنتم تقوموا » بحذف نون الاعراب (٤) كما خطأها

(١) خزانة الأدب ٢٥٩/٢ .

(٢) معانى القرآن للقراء ، ورقة ٨٩ ، والبحر المحيط ٤١٩/٥ .

(٣) البحر المحيط ٤١٩/٥ .

(٤) اعراب القرآن للنحاس ، ورقة ٦٠ ، ٩٧ . وجمهور النحاة على جواز الجمع بين التوينين بدون ادغام وبادغام وجواز الاكتفاء بنون واحدة . وقد اختلف النحاة في المخوف منها .

() انظر اعراب القرآن للنحاس ورقة ٩٧ ، واوضح المسالك ٧٩/١ .
الهامش رقم ١) .

أبو حاتم وقال : « هذا يكون في الشعر اضطراراً » ^(١) .

٣ - قرأ الحسن وزيد بن علي وعيسى بن عمر وسعيد بن جبير
ومحمد بن مروان السدى : « هؤلاء بناتي هن أطهراً لكم » ^(٢) بمنصب
أطهراً . وقد قال أبو عمرو بن العلاء في شأن هذه القراءة : « من قرأ
هن أطهراً لكم فقد تربع في لحنه » ^(٣) . وقال الخليل : هذا لا يجوز .
وقال سيبويه : احتبى ابن جؤية في اللحن في قوله : « هن أطهراً
لكم » ^(٤) .

٤ - قرأ حمزة : « ولا يحسين الذين كفروا سبقوها » ، وقد قال
النحاس عن هذه القراءة : وما علمت أحداً من أهل العربية بصرى ولا
كوفيا الا وهو يمنع أن تقرأ هذه القراءة ^(٥) .

٥ - قرأ الحسن وأبو جعفر : « أن نتخذ من دونك من أولياء »
بضم نون نتخذ ، وقد قال عن هذه القراءة أبو عمرو بن العلاء وعيسى
ابن عمر : لا يجوز نتخذ ، اذ لو كانت كذلك لحذفت « من » الثانية
فقلت : أن نتخذ من دونك أولياء ^(٦) .

٦ - قرأ بعضهم : وكذلك زَيْنُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُتِلَ أَوْلَادَهُم
شَرَكَائِهِمْ » ففصل بالمعنى بين المضاف والمضاف إليه . وقد قال
أبو حيان عن هذه القراءة : « جمهور البصريين يمنعونها متقدمون
ومتأخر لهم » ^(٧) .

(١) البحر المحيط ٤٥٨/٥ . (٢) البحر المحيط ٢٤٧/٥ .

(٣) البديع لابن خالويه ص ٦٠ ، ومجالس ثعلب ٢٤٧/٢ ، والبحر
المحيط ٢٤٧/٥ .

(٤) اعراب القرآن للنحاس ورقة ٨٧ ، ومجالس ثعلب ٤٢٧/٢ .
ووجهة نظر المنكرين ان « هن » في الآية لا تصلح أن تكون ضمير فصل
لان ما بعدها فصلة .

(٥) اعراب القرآن للنحاس ورقة ١٣٢ ، ومعاني القرآن للمراء
ورقة ١٢٩ .

(٦) اعراب القرآن للنحاس ورقة ١٣٣ .

(٧) البحر المحيط ٢٢٩/٤ .

(ب) والدكتور مهدي المخزومي يقسم النحاة إلى فريقين : فالبعض يلجئون إلى التأويل عند مواجهتهم قراءة من القراءات السبع لا سبيل إلى انكارها ، ويغلوطون ما عداها . أما الكوفيون فلهم موقف آخر يغاير البصريين كل المغايرة . فقد قبلوا القراءات واحتجموا بها وعقدوا على ما جاء فيها كثيراً من أصولهم وأحكامهم . وهم إذا رجعوا القراءات التي يجتمع القراء عليها فلا يرفضون غيرها ، ولا يغلوطونها ، لأنها صواب عندهم أيضاً . كذلك يعد الدكتور المخزومي القراءات المختلفة - حتى الشاذ منها - من مصادر دراسات القراء ، ويقول أنه لا يبني بيت شهد بها ويصوبها ويحتاج بها ^(١) .

(ج) والأستاذ إبراهيم مصطفى يقول : « كان في حلب ... مدرسة نحوية عظيمة أسسها أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (سنة ٣٧٠) وأبواه الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ . ولم هذه المدرسة أسلوب في البحث يتميز بعنایتها بالقرآن وجمع روایته وتوجيه ما سمي منها شذا » ^(٢) وقرب منه ما يقلره الدكتور عبد الفتاح شلبي عن ابن جنى من « أنه كان أسلم موقفاً من شيخه الفارسي ومن المرد بتتأليفه كتاب المحتسب » ^(٣) .

ولا يسعنا كذلك أن نسلم بأى من هذه الآراء ، فقد اتضح لنا بعد طول البحث والاستقصاء أن موقف النحويين من القراءات مرتفع موحد لا يختلف فيه كوفي عن بصرى ، ولا يشذ فيه ابن خالويه أو ابن جنى أو غيرهما عنهم . فهم جميعاً كانوا ينقدون القراءة ويقيسونها بمقاييسهم النحوية وهم جميعاً كانوا لا يتورعون عن تخطئة القراءة سواء كانت سبعية أو عشرية أو شاذة أو غيرها ، وهم جميعاً كانوا لا يقبلون القراءة إلا إذا وجدوا لها من كلام العرب نظيراً ، وهم جميعاً كانوا

(١) مدرسة الكوفة صفحات ١٦٦ ، ٣٨٩ ، ٣٨٨ .

(٢) المهرجان الالقى لأبى العلاء ص ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٣) أبو على الفارسي .

لا يتحرجون عن تخطئة القراءة أو تلحينها إذا عجزوا عن فهمها أو توجيهها ، لا فرق في ذلك بين من استغل بالقراءة إلى جانب النحو أو تخصص للدرس النحوي .

ونعرض من بين القراءات التي خطأها ابن خالويه وابن جنى الأمثلة الآتية :

١ - قرأ بعضهم : « ولكل جعلنا موال » وقد قال ابن خالويه عن هذه القراءة : وإنما يجوز مثل هذا في الشعر كقول الشاعر :

فلو أن واش باليمامه (١) .

٢ - ويقول ابن خالويه في قراءة : « ساحران ظاهرا » بالتشديد : تشديده لحن لأنّه فعل ماض وإنما تشدد في المضارع (٢) .

٣ - ويقول كذلك ابن خالويه في قراءة : « وله أخ » بالتشديد : قال ابن دريد : التشديد لغة وقال ابن خالويه : وأهل العربية يرون لهنا (٣) .

وغير ذلك (٤) .

٤ - قرأ الحسن : « وما تنزلت به الشياطون » ، وقد قال عنها ابن جنى « الشياطون غلط » (٥) ، على الرغم مما هو ثابت أنها قد سمعت من بعض العرب فقد حكى أبو العلاء المعري في كتابه (عبث الوليد) عن بعض العلماء أنه سمع أعرابيا يقول : « هذه بساتون بنى فلان » (٦) .

(١) البديع ص ٢٥ .

(٢) المرجع ص ١١٣ .

(٣) المرجع ص ٢٥ وانظر كذلك الحجة لابن خالويه ورقة ٤٦ والبديع له ص ٣٥ .

(٤) المحتسب ورقة ١١٨ .

(٥) عبث الوليد ص ٢٢٦ .

٥ -قرأ يحيى بن عامر : « وان أدرى لعله » ، « وان أدرى أقرب » ، وقد قال ابن جنى : « أنكر ابن مجاهد تحرير هاتين المياعين ، وظاهر الأمر لعمرى كذلك » (١) .

٦ -قرأ ابن محيىن : « ثم اطّره » وقد قال ابن جنى : « هذه لغة مرذولة » (٢) .

أما القراءات التي خطأها الكوفيون فقد سبقت نماذج منها ونضيف ما يأتي إلى ما سبق :

١ -قرأ بعضهم : « واتقوا الله الذى تسألون به والأرحام » وقد قال عنها الفراء : « وفيه تبّح » (٣) .

٢ - قال الفراء في قراءة الحسن : « وما تنزلت به الشياطون » : « غلط الشيخ » (٤) .

٣ - استقبح الكسائي قراءة : « بيت طائفة » بادغام الماء في الطاء ، مع أنها قراءة أبي عمرو والكوفيين (٥) .

نعم ان الكوفيين كانوا أقل تخطئة لقراءات ، وأكثر قبولاً لها من البصريين ، ولكن ذلك لا يرجع - في نظرنا - إلى احترامهم لقراءات وحسن تقبلهم لها ، وإنما يرجع إلى ما عرفوا به من توسيع في أصول اللغة ، وقياس على القليل ، واعتداد بالمثال الواحد (٦) ، فأمكنتهم بذلك توجيهه كثير من القراءات وتخريجها على مقتضى أصولهم . ومن هنا قلت تخطئتهم لها . وإذا كان الدكتور مهدى المخزومى قد ساق أمثلة قبل فيها الكوفيون

(١) المحتسب ورقة ١٠٣ .

(٢) المرجع ورقة ٢٢ .

(٣) معانى القرآن للفراء ورقة ٣٦ .

(٤) البحر المحيط ٤٦/٧ .

(٥) اعراب القرآن للنحاس ورقة ٤٣ . وانظر أمثلة أخرى في معانى القرآن للفراء ورقة ١١٠ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ومعانى القرآن للنحاس ورقة ١٧٨ .

(٦) انظر : من أسرار اللغة ص ١١ .

بعض القراءات وصححوها^(١) ، فإن هذا لا يكفي لاثبات دعواه ٠ وقد ذكرنا أمثلة مضادة تكتفى لهم تلك الفكرة ، ولا نزعم أنها كل ما أنكره الكوفيون من قراءات ٠

وإذا كان الكوفيون — كما يقدّم الدكتور مهدى المخزومى — يعتقدون بالقراءات فلماذا يحاولون الاستدلال على صحتها بالتماس وجه لها في العربية تخرج عليه ؟ ولماذا يخطئون ما يعجزون عن تخریجه ؟ وأنت ترى ذلك واضحًا في قول امام من أئمتهم وهو الفراء : « وقرأ الحسن : (إلا من هو صال الجحيم) فإن كان أراد واحدًا فليس بجائز ، لأنك لا تقول هذا قاضن ولا رام»^(٢) (بالضم) ، وإن يكن عرف فيما لغة مقلوبة مثل عاث وعثا فهو صوابه » فعلام هذا الترديد ؟ ولماذا يتوقف تصحيح القراءة على سماع نظير لها من لغة العرب ؟ لقد اشتهر الكوفيون بأنهم يقيسون على المثال الواحد ، فلماذا لا يقيسون على القراءة ولو لم يكن لها نظير فيما نقلوه من لغة العرب ، ويعتبرونها هي المثال الواحد ؟ إن ترك هذا يعني — في نظرنا — أن القراءة عندهم لا ترقى إلى مرتبة الشاهد في الاستدلال ، ويعنى كذلك أن القراءة لا يوثق فيها بمفرداتها ، ولا يصبح الاستشهاد بها إلا مع سند من كلام العرب وهذا ينفي فكرة استشهادهم بالقراءات واحترامهم لها ٠ وليس معنى هذا أنهم كانوا يرفضون كل لفظ يرد في القراءات وإنما معناه أنهم كانوا لا يكتفون بالقراءات حين يرد فيها لفظ من الألفاظ بل يدعونها بنص آخر شعري أو نثرى حتى يمكن أن يؤخذ بها ٠

ونحن لا نعيّب على النحاة عدم استشهادهم المطلق بالقراءات ورفضهم بناء اللغة الألهية المشعتركة عليها إلا ما وافق منها الأصول العامة وجوى على القاطع العربي الفصيح ، فذلك عين المسوّب كما سبق

(١) مدرسة الكوفة ص ٢٨٤ - ٣٩٥ ٠

(٢) معانى القرآن للفراء ورقة ١٦٠ ٠

أن بینا ، وانما نعیب عليهم وصفهم بعض القراءات بأنه قبيح أو ردئ أو وهم أو غلط ^(١) . وقد كان في امكانهم أن يصفوها بأنها جاءت على لهجة محلية أو أقل فصاحة فلا تبني عليها قاعدة ، دون أن يطعنوا على القارئ أو يشكوا في صحة القراءة . ونحن لا ندعى — ولا غينا — أن القراءات كلها على مستوى واحد من الفصاحة ^(٢) ، فما هي في معظم حالاتها إلا تمثيل للهجات ، واللهجات تتفاوت فيما بينها في درجات الفصاحة . ولهذا يقول أبو نصر القشيري : « فإننا لا ندعى أن كل القراءات على أرفع الدرجات في الفصاحة » ^(٣) .

وقد كان الطبرى أكثر توفيقا في تعليقه على بعض القراءات حين كان يقول : « وأعجب القراءتين إلى كذا » ، وكذلك كان الفراء في تعليقات له مثل : « وانه لأحب الموجهين إلى » ، ومثل : « ولست أشتمن ذلك » .

٣ - الحديث النبوى

الشهور بين الباحثين أن قدامى اللغويين والنحاة كانوا يرفضون الاستشهاد بالحديث في اللغة ، فلا يستشهدون إليه في إثبات ألفاظها أو

(١) من سوء تعبيرهم قول المبرد عن قراءة لابى عمرو : « هي لحن لا يجوز في كلام ولا شعر » ، وقوله عن قراءة أخرى : « لو صليت خلف امام يقرأ بها لأخذت نعلى ومضيت » ، وقول الزمخشري عن قراءة لابن عاصي أنها « شيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكن سمجا مردودا فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن » .

(٢) لم أجد أحدا من الباحثين قد وضع القرآن وقراءاته في مستوى واحد من الفصاحة الا الأستاذ عباس حسن الذى قال : « بعض القراء قرأ ما ودعاك ، افيفون هذا شذوذًا في الاستعمال مع قراءة القرآن به ، وكيف يتافق القول أن يكون القرآن أسمى لغة عربية ببيانية مع اشتتماله على الشاذ » ؟ مجلة رسالة الاسلام العدد ٣ السنة ١٠ ص ٢٨٤ . وهو هنا يخلط بين حقائقتين متغيرتين ويثبت لأحداهما ما هو للأخرى .

(٣) القراءات واللهجات ص ١٣١ .

وضع قواعدها ، يقول الشيخ أحمد الاسكندرى ، « مضت ثمانية قرون والعلماء من أول أبى الأسود الدولى الى ابن مالك لا يحتجون بلفظ الحديث فى اللغة الا الأحاديث المتواترة »^(١) . ويقول أبو حيان معتبرا على ابن مالك لاستشهاده بالحديث : « على أن الواضعين الأولين لعلم النحو والمستقرئين للأحكام من لسان العرب ، والمستبطين المقاييس كأبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيعويه من أئمة البصريين ، وكمعاذ والكسائى والفراء وعلى بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك »^(٢) .

وقد حاول المؤخرون أن يعللوا هذا الرفض المزعوم وانتهوا إلى أنه يرجع لسبعين : أحدهما أن الرواية جوزوا النقل بالمعنى والثانى أنه وقع اللحن كثيرا فيما روى من الحديث لأن كثيرا من الرواية كانوا غير عرب بالطبع^(٣) .

والذى نحب أن نلفت النظر إليه أن هؤلاء القدماء الذين نسب إليهم رفضهم الاستشهاد بالحديث لم يثروا هذه المسألة ، ولم يناقشوا مبدأ الاحتجاج بالحديث ، وبالتالي لم يصرحوا برفض الاستشهاد به . وإنما هو استنتاج من المؤخرين الذين لاحظوا — خطأ — أن القدامى لم يستشهدوا بالحديث ، فبنوا عليه أنهم يرفضون الاستشهاد به ، ثم حاولوا تعليل ذلك .

وهناك أسباب كثيرة تحمل على الشك في صحة ما نسب إلى الأقدمين من رفضهم الاستشهاد بالحديث ، بل هناك من الدلائل ما يكاد يقطع — إن لم يكن يقطع فعلا — أنهم كانوا يستشهدون به ويبينون عليه قواعدهم ، سواء منهم من اشتغل باللغة أو النحو أو بهما معا .

(١) مجلة المجمع ٢٩٩/١ .

(٢) التذليل والتكميل ١٦٨/٥ .

(٣) خزانة الأدب ٥/١ ، ٦ ، ٧ ، والتذليل والتكميل ١٦٨/٥ .

ولهذا لا يسع الباحث المدقق أن يسلم بما ادعاه المتأخرون وسندوه
في ذلك ما يأتي :

١ - أن الأحاديث أصح سندًا من كثير مما ينقل من أشعار العرب .
ولهذا قال صاحب المصباح المنير بعد أن استشهد بحديث « فائتوا عليه شرًا » - على صحة اطلاق الثناء على الذكر بشر - قال : « قد نقل هذا العدل الضابط عن العدل الضابط عن العرب الفصحاء عن أفحص العرب ، فكان أوثق من نقل أهل اللغة ، فإنهم يكتفون بالنقل عن واحد ولا يعرف حالي » ^(١) .

٢ - أن من المحدثين من ذهب إلى « أنه لا تجوز الرواية بالمعنى إلا من أحاط بجميع دقائق اللغة ، وكانت جميع المحسنات الفائقة بأقسامها على ذكر منه فيرعاها في نظم كلامه . وإنما لا يجوز له روایته بالمعنى » ^(٢) . على أن المجوزين للرواية بالمعنى معترفون بأن الرواية باللفظ هي الأولى ، ولم يجيزوا النقل بالمعنى إلا فيما لم يدون في الكتب ، وفي حالة الضرورة فقط ^(٣) . وقد ثبت أن كثيراً من الرواية في الصدر الأول كانت لهم كتب يرجعون إليها عند الرواية . ولا شك أن كتابة الحديث تساعده على روایته بلطفه وحفظه عن ظهر قلب مما يبعده عن أن يدخله غلط أو تصحيف ^(٤) .

٣ - أن كثيراً من الأحاديث دون في الصدر الأول قبل قيام
اللغة على أيدي رجال يتحرج بأقوالهم في العربية . فالتبديل على فرض ثبوته إنما كان من يسوغ الاحتجاج بكلامه . فغاياته تبديل لفظ يصح الاحتجاج به بلطف كذلك ^(٥) .

(١) المصباح المنير مادة « ثقى » . وانظر مجلة المجمع ٢٠١/٣ .

(٢) ابن علان في « شرح الاقتراح » ص ٩٤ .

(٣) مجلة المجمع اللغوی ٢٠٤/٣ .

(٤) تعليق الفرائد للدماميني - باب الفاعل (غير مرقم الصفحت) .

(٥) ابن علان ص ٩٤ ، تعليق الفرائد - باب الفاعل .

٤ — أن هناك أحاديث عرف اعتقاد ناقلها بلفظها المقصود خاص ، كالآحاديث التي قصد بها بيان فصاحتها عليه السلام كتابه لهمدان ، وكتابه لوسائل ابن حجر ، والأمثال النبوية ^(١) .

٥ — وإذا كان قد وقع في روایة بعض الأحاديث غلط أو تصحیف فإن هذا لا يقتضي ترك الاحتجاج به جملة ، وإنما غایته ترك الاحتجاج بهذه الأحاديث فقط ، وحمله على قلة ضبط أحد الرواية في هذه الألفاظ خاصة ^(٢) ، وقد وقع في الأشعار غلط وتصحیف ، ومع ذلك فمی حجة من غير خلاف . وإذا كان العسكري قد ألف كتابا في تصحیف رواية الحديث ، فقد ألف كتابا فيما وقع من أصحاب اللغة والشعر من التصحیف ^(٣) .

٦ — لو صح أن القدماء لم يستشهدوا بالحديث فليس معناه أنهم كانوا لا يجيزون الاستشهاد به ، اذ لا يلزم من عدم استدالهم بالحديث عدم صحة الاستدال به ^(٤) ، فقد تكون العلة لتركه « عدم تعاطيهم إياه » . وقد ثبت فعلاً أن أوائل النحاة من شيوخ سبويه حتى زمن تدوين صحيح البخاري لم يكثروا من الاستشهاد بالحديث لأنه لم يكن مدوناً في زمانهم ^(٥) .

٧ — على أني وجدت من قدامى اللغويين من استشهد بالحديث في مسائل اللغة كأبي عمرو بن العلاء ^(٦) والخازيل ^(٧) والكسائي ^(٨)

(١) خزانة الأدب ١/٦ عن الشاطبي .

(٢) مجلة المجمع اللغوى ٣/٢٠٧ .

(٣) المرجع والصفحة .

(٤) خزانة الأدب ١/٥ .

(٥) شرح كتابة المحفظ ورقة ١٦ ، وانظر خديجة الحديشى ص ٤١٢ .

(٦) اعراب القرآن للنحاس ورقة ١٣٨ .

(٧) العين ١/٧٠ - ٧٢ . وغير ذلك كثير .

(٨) اعراب القرآن للنحاس ورقة ١٧٢ .

والفراء (١) والأصمعن (٢) وأبى عبيد (٣) وابن الأعرابى (٤) وابن السكيت (٥) وأبى حاتم (٦) وابن قتيبة (٧) والمبرد (٨) وابن دريد (٩) وأبى جعفر النحاس (١٠) وابن خالويه (١١) والأزهرى (١٢) والفارابى (١٣) والصاحب بن عبد (١٤) وابن فارس (١٥) والجوهرى (١٦) وابن سيده (١٧) وابن منظور والفيروز أبادى وغيرهم . ولا يختلف موقف النحاة عن هذا ، إذ لا يعقل أن يستشهد الخليل مثلاً بالحديث في اللغة ، ثم لا يستشهد به

(١) معانى القرآن للفراء ورقة . ٨٥ ، ٤٠ .

(٢) الأضداد للأصمعن ص ١٢ ، ٢٣ . ٢٧ ، ٢٣ .

(٣) اعراب القرآن للنحاس ورقة ١٧٣ ، ١ ، والغريب المصنف لأبى عبيد ص ١١٨ ، ٤٧٨ .

(٤) اعراب القرآن للنحاس ورقة ١٦٧ .

(٥) الأضداد لابن السكيت ص ١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٢ ، ١٦٧ ، والقلب والإبدال له ٣١ .

(٦) الأضداد لأبى حاتم ص ٣٦ ، ١٣٥ ، والمخصص لابن سيده ص ٤٠ .

(٧) المسائل والأجوبة لابن قتيبة ص ٨ .

(٨) اعراب القرآن للنحاس ورقة ٢٠٠ .

(٩) الجمهرة ١/١ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٣٣ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٠٠٠ . الخ الخ .

(١٠) شرح المعلقات للنحاس ورقة ٧٢ ، ومعانى القرآن له ورقة ٤٤ .

(١١) كتاب ليس لابن خالويه ص ٥ ، ٦ ، ١١ ، ٦ ، ٢٤ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٦٧ ، ٧٧ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٦٣ ، ٧٤ ، ٧٤ ، ٦٧ .

(١٢) ١/٣٠ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٥٧ ، ٤٢ ، ٣٨ ، ٨٦ ، ٦٨ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١١٣ ، ١٠٠ .

(١٣) انظر ديوان الأدب ٧٣/١ ، ٢١١ ، ٢٠١ ، ١٥٣ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ٢١١ .

(١٤) المحيط للصاحب بن عبد ٩/٣ ، ٢١ ، ١٧ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٦٩ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٢ ، ١٢٣ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٥١ ، ١٧٨ ، ٠٠٠ .

(١٥) مقاييس اللغة ١/١٤ ، ١٦ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٦٥ .

(١٦) الصحاح ١/٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ .

٥٤ ، ٦٤ ، ٦٦ .

(١٧) المخصص ١/٤٠ ، ٤٠ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٤٨ ، ٤٠ ، ٢٢ ، ١٨ .

١٦٠ ، ٧٧ ، ٦٠ ، ٥٠ .

فِي النَّحْوِ ، وَهُمَا صَنْوَانٌ يُخْرَجُانِ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ ، وَمِنْ اسْتِشْهَادٍ بِالْحَدِيثِ مِنَ النَّحَّاجَةِ : أَبُو عُمَرٍ بْنِ الْعَلَاءِ وَالْخَلِيلِ وَسَيِّدِهِ (١) وَالْفَرَاءِ (٢) وَالْكَوْفِيُّونَ (٣) وَالْمَبْرَدَ (٤) وَالْزَّاجِجِيُّ وَالْزَّمْخَشْرِيُّ (٥) وَابْنِ خَرْوَفَ (٦) وَابْنِ الْخَبَازَ (٧) وَابْنِ مَالِكَ (٨) وَابْنِ عَقِيلَ (٩) وَابْنِ الدَّمَامِيَّنِ (١٠) وَالْأَشْمُونِيَّ (١١) وَالْمُسِيَّبُوتِيُّ وَغَيْرِهِمْ وَغَيْرِهِمْ (١٢) . وَفَاقُهُمْ فِي ذَلِكَ كُلُّ ابْنِ مَالِكٍ وَبَلْغَ الْذُرْوَةَ فِي كِتَابِهِ « شَوَاهِدُ التَّوْضِيحِ وَالتَّصْحِيفِ لِشَكَلَاتِ الْجَامِعِ الصَّحِيفِ » حِيثُ عَقَدَهُ لِلْأَحَادِيثِ الَّتِي يَشْكُلُ إِعْرَابَهَا ، وَذَكَرَ لَهَا وَجُوهَهَا يَسْتَبِينُ بِهَا أَنَّهَا مِنْ قَبْلِ الْعَرَبِيِّ الصَّحِيفِ . بَلْ أَنْ ابْنَ الضَّائِعِ (١٣) وَابْنَ حَيَّانَ (١٤) وَهُمَا عَلَى رَأْسِهِمْ مِنْ رَفِضِ الْاسْتِشَهَادِ بِالْحَدِيثِ لَمْ تَخْلُ كِتَبَهُمَا مِنْ

(١) وَقَدْ اسْتِشَهَدَ بِثَلَاثَةِ عَشَرَ حَدِيثًا فِي الْكِتَابِ (اَنْظُرْهَا فِي مَوْقِفِ النَّحَّاجِ مِنَ الْاِحْتِجاجِ بِالْحَدِيثِ لِخَدِيجَةِ الْحَدِيثِيِّ صِ ٥٣ وَمَا بَعْدَهَا وَصِ ٦٧) . وَانْظُرْ خَدِيجَةَ الْحَدِيثِيِّ صِ ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٣ ، ٥٠ .

(٢) شَرْحُ الْمَفْصِلِ لَابْنِ يَعْيَشِ ٤/٣ ، ١٠٣ ، وَالْاِنْصَافَ ٢/٣٠٠ .

(٣) الْاِنْصَافَ ٢/٣٠ ، ٣٦٧ ، ٣٠٣ ، ٣٦٨ .

(٤) احْتَجَ الْمَبْرَدُ فِي الْمُتَقْضِبِ بِالْحَدِيثِ فِي ثَلَاثَةِ عَشَرَ مَوْضِعًا (اَنْظُرْ خَدِيجَةَ الْحَدِيثِيِّ صِ ٩٧) .

(٥) شَرْحُ الْجَملِ لَابْنِ عَصْفُورِ وَرَقَةَ ٦٥ ، وَشَرْحُ الْمَفْصِلِ لَابْنِ يَعْيَشِ ٧/٣ ، ٣١ ، ٦/٤ ، ١٥٣ ، ٦/٤ ، ١٥٣ ، وَخَدِيجَةَ الْحَدِيثِيِّ صِ ١١١ .

(٦) تَقْيِيقُ الْأَلْبَابِ فِي شَرْحِ غَوَامِضِ الْكِتَابِ لَابْنِ خَرْوَفَ صِ ٣٨ .

(٧) شَرْحُ الْفَيْيَةِ ابْنِ مَعْطِيِّ لَابْنِ الْخَبَازِ وَوَرَقَةَ ٣٠ ، ٧٩ ، ٧١ ، ١٠٠ .

(٨) اَنْظُرْ كِتَابَهُ شَوَاهِدُ التَّوْضِيحِ ، فِي اَمْكَنْ كَثِيرَةٍ .

(٩) شَرْحُهُ عَلَى الْأَلْفَيَّةِ ١/٥٨ ، ٢٩٣ ، ٥٣٨ ، ٨٢/١ .

(١٠) حَاشِيَّةُ عَلَى الْمَغْنِيِّ وَرَقَةَ ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٣ .

(١١) شَرْحُ الْأَشْمُونِيِّ ١/٨٢ ، ٨٥ ، ١١٩ ، ٩٦ ، ٨٥ ، ٢٢٥ ، ٢٠٤ ، ١٨٣ ، ٩٦ .

(١٢) ٤٠٠ ، ٣٢٢ ، ٢٩٢ ، ٢٦٦ .

(١٣) هَذِيعُ الْهَوَامِعِ ١/٤٠ ، ٢٢٣ ، ١٧١ ، ٤٠/١ . وَانْظُرْ اسْتِشَهَادَاتِ الزَّاجِجِ وَابْنِ السَّرَّاجِ وَابْنِ الْأَنْبَارِيِّ وَابْنِ النَّحَّاسِ وَابْنِ دَرْسَتَوِيهِ وَابْنِ خَالِدِيِّ وَابْنِ عَلَى الْفَارَسِيِّ وَالرَّمَاتِيِّ وَابْنِ جَنِيِّ ٠٠٠ فِي خَدِيجَةِ الْحَدِيثِيِّ صِ ٩٨ وَمَا بَعْدَهَا .

(١٤) شَرْحُ الْجَملِ لَابْنِ الضَّائِعِ (غَيْرِ مَرْقُمِ الصَّفَحَاتِ) بَابُ الْاِسْتِنَاءِ ، بَابُ الْاِخْتَصَاصِ ، بَابُ لَوْلَا .

(١٥) التَّذَكِيرُ وَالتَّكْمِيلُ فِي تَبْرِحِ التَّسْهِيلِ لَابْنِ حَيَّانِ ١/٤٤ ، ١٣٩ .

بعض الحديث . وقد فطن الى هذا ابن الطيب الفاسى فقال : « بل رأيت الاستشهاد بالحديث في كلام أبي حيان نفسه مرات ولا سيفها في مسائل الصرف » ^(١) . ولكن إحقاقاً للحق أقول إن شواهد النحاة من الحديث ليست في غزارة شواهد اللغويين وكثرتها . فهي قليلة بالنسبة إليها وبخاصة عند قدامى النحاة . وقد وأينا كيف أن سببويه لم يستشهد إلا بثلاثة عشر حديثاً فقط .

٨ - وقد وجدت في المزهر لسيوطى نصاً يؤيد ما ذهبت إليه ، فهو يقول : « قال أبو الحسن الشارى : ومذهبى ومذهب شيخى أبي ذر الخشنى وأبى الحسن بن خروف أن الزبيدى أخل بكتاب العين كثيراً لحذفه شواهد القرآن والحديث وصحىح أشعار العرب منه ٠٠٠ ولما علم بذلك الإمام ابن التیانى عمل كتابه (فتح العين) وأتى فيه بما في العين من صحيح اللغة ٠٠٠ دون اخلال بشيء من شواهد القرآن والحديث ٠٠٠ » ^(٢) .

فهذا صريح في أن الخليل كان يستشهد بالحديث في كتابه « العين » . ولم يكن الخليل بدعا من اللغويين ، فما صنعه الخليل صنعه غيره من أئمة اللغة .

٩ - وقد انتهى ابن الطيب الفاسى الى نفس النتيجة التي انتهي إليها إذ قال : « ذهب الى الاحتجاج بالحديث الشريف جمع من أئمة اللغة منهم ابن مالك وابن هشام والجوهرى وصاحب البديع والحريرى وابن سيده وابن فارس وابن خروف وابن جنى وابن برى والسمهلى ٠٠٠ » .

(١) شرح كفاية المحفظ ورقة ١٦ . وقد حضرت الدكتورة خديجة الحديثى لأبى حيان فى كتابه ارتشاف الضرب ، ومنهج المسالك ثمانية وعشرين حديثاً افرد فى الاحتجاج بها ، وبنى عليها حكماً جديداً أو معنى جديداً أو استعمالاً جديداً (ص ٣٩١ ، ٣٦٣) .

(٢) المزهر ٨/١ .

وغيرهم من يظول ذكره . وهو الذي ينبغي التعويل عليه والمصير إليه . على أنها لا نعلم أحداً من علماء العربية خالفاً في هذه المسألة إلا ما أبداه الشيخ أبو حيان في مرح التمهيل ، وأبو الحسن بن الصائغ في شرح الجمل وتابعهما منه « السيفي طه » ^(١) .

١٠ - كذلك انتهت الدكتورة خديجة الحديشى إلى ما انتهيت إليه وأرخت بداية الاحتجاج بالحديث النبوي بأبي عمرو بن العلاء والخليل وسيبويه ^(٢) .

وأفن فقد كان المتأخرون مخطئين فيما أدعوه من رفض القدماء الاستشهاد بالحديث ، وكلئنها واهمين حينما ظنوا أنهم هم أيضاً برفضهم الاستشهاد بالحديث إنما يتلذذون ~~بتلذذ~~ لهم ويتهجرون نجومهم . ونحن نحمل ابن الصائغ وأبا حيان تبعه شروع هذه القضية الخاطئة ، فهما أول من روج لها ونادى بها ^(٣) ، وعنهمما أخذها العlamاء دون تمحيص لـ تحقيق ، هقة في حكمهما أو تخفا من البحث وركونا إلى الراحة والتسلية لأيسى السبل .

ولعل منشأ تلك الفكرة الخاطئة ما يأتي :

١ - أن النهماء لم ينصوا على الاستشهاد بالحديث واكتفوا بدخوله تحت المعنى العام لكلمة « النصوص الأدبية القديمة » ، ثم حين جاء من تلواهم ودونوا هذه الفكرة كانوا يفهمون ذلك فلم يخصوا الحديث بمنص مستقل . فلما جاء ابن الصائغ وأبا حيان وغيرهما ، ولم يجدوا نصاً مستقلاً يعد الحديث من مصادر اللغة ظنوا أن القدماء لم يكونوا

(١) شرح كتابة التحفظ ورقة ١٥ .

(٢) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث من قبل المؤلفة بين يسون بنحاة ما قبل الاحتجاج بسبعة وثباتين حديثاً نبوياً ، وتسعه وعشرين حديثاً مروياً عن آل البيت والصحابة (منها ١٨٩) .

(٣) الهرجع والمححة ، والتذليل والتكميل ٥/٢٦٨ ، ١٦٩ ، وخزانة الأنبياء ١/٥ .

يستشهدون به وسجلوا هذا الظن على أنه حقيقة واقعة . وجاء من بعدهم فنثروا عنهم دون تمحص وتابعوهم من غير بحث .

ويؤيد هذا الافتراض أن السيوطي^(١) استنبط من قول بعضهم : « النحو علم يستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله تعالى وكلام فصحاء العرب » أن اللغويين لم يكونوا يستشهدون بالحديث ، فعقب على ذلك بقوله : « فقصره عليهما ولم يذكر الحديث » .

٢ - أن سبيوبيه في احتجاجه بالحديث لم يكن يقدم له بما يوضح أنه من الحديث ، فالتبس الحديث بغيره على الباحثين حتى نسب إليه أبو حيان وغيره عدم الاحتجاج بالحديث . وربما كان السبب في إغفال سبيوبيه للنسبة أنه كان يحتاج بالحديث كما يحتاج بأى عبارة منشورة من كلام العرب الفصحاء . . . ولم يكن إغفاله النسبة إلى النبي خارجاً عما فعله مع معظم الشواهد الشعرية والنشرية التي لم يهتم بمنسبتها إلى شخص معين^(٢) .

٤ - الشعر

لaci الشعر اهتماماً كبيراً من اللغويين واعتبروه الداعمة الأولى لهم حتى لقد تخصصت كلمة الشاهد فيما بعد وأصبحت مقصورة على الشعر فقط . ولذلك نجد كتب الشواهد لا تحوى غير الشعر ولا تهتم بما عداه .

وقد كان اللغويون يستشهدون بالشعر المجهول قائله إن صدر عن شقة يعتمد عليه . ولذا اعتبروا الأبيات التي وردت في كتاب سبيوبيه أصح شواهد اعتمد عليها خلف بعد سليف من أن فيها أبياتاً عديدة جهل

(١) الاقتراح من ١٨ .

(٢) خديجة الحديشي من ٧٨ ، ٤١٢ .

قائلوها^(١) . وقد كان سيبويه يحرص على إطلاق البيت من النسبة فكان إذا استشهد ببيت لم يذكر ناظمه . وإنما امتنع سيبويه عن تسمية الشاعر « لأنه كره أن يذكر الشاعر وبعض الشعر يرى لشاعرين ، وبعده مجهول لا يعرف قائله لأنه قدم العهد به » . وأما الأبيات المنسوبة في الكتاب إلى قائلها « فالنسبة حادثة بعده ، اعنى بنسبتها الجرمي . قال الجرمي : نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً . فأما الألف فعرفت أسماء قائلها فأثبتتها ، وأما خمسون فلم أعرف أسماء قائلها »^(٢) .

بل إن اللغويين والنحاة قد صرحو بأن تعدد الروايات في البيت الواحد لا يسقط حجيتها ، وأن كل رواية — مادامت قد نقلت عن ثقة — يصح الاستشهاد بها . يقول ابن ولاد : « الرواية عن الفرزدق وغيره من الشعراء قد تغير البيت على لغتها وتزويه على مذاهبه مما يوافق لغة الشاعر ويخالفها . ولذلك كثرت الروايات في البيت الواحد ٠٠٠ ولغة الرواية من العرب شاهد ، كما أن قول الشاعر شاهد » ، ويقول : « مجىء الروايات في البيت الواحد يجعل كل رواية حجة إذا رواها فصيح ، لأنه يغير البيت إلى ما في لغته ، فيجعل ذلك أهل العربية حجة »^(٣) .

وحيثنا عن الشاهد الشعري يجرنا إلى الحديث عن قضية « الضرورة الشعرية » أو ما يسمى « بضرورة الشعر » حينما يحاول اللغوي أو النحوي أن يستبعد البيت من مجال الاستشهاد . فما حد هذه الضرورة ؟ ومتي يكون الشاعر مضطراً اضطراراً يسقط حجية الاستشهاد بيته ؟ لقد اختلف النحاة في ذلك إلى فريقين : ففريق يرى — وهو جمهورهم —

(١) خزانة الأدب ٨/١ ، ١٧٨ .

(٢) خزانة الأدب ٨/١ ، ٧٨ . وانظر مقال الدكتور رمضان عبد التواب :

« أسطورة الأبيات الخمسين » .

(٣) الانتصار لابن ولاد ص ١١ ، ١٩٣ .

أن الضرورة هي « ما وقع في الشعر مما لم يقع في النثر سواء أكان للشاعر عنه مندوحة أم لا »^(١) .

ومذهب ابن مالك — وهو الصحيح عن سيبويه — أنها « ما ليس للشاعر مندوحة عنه »^(٢) . ويبين أثر هذا الخلاف فيما جاء في الشعر ووجدت فيه المندوحة ، فالجمهور يقصره على السماع ، وابن مالك يقيس عليه : « ولذلك أجاز وصل ال بالمسارع قليلاً ، ولم يجعله ضرورة استدلاً بقوله :

* ما أنت بالحكم الترضي حكمته *

لتمكنه من أن يقول : « المرضي حكمته »^(٣) ، وحيث لم يقل ذلك مع الاستطاعة ، ففي ذلك ، اشعار بالاختيار وعدم الاضطرار »^(٤) . وكأني بأصحاب المذهب الأول قد وسعوا في مدلول الضرورة ، وأطلقوها دون قيد لتكون سيفاً مصلتاً ، وسلاماً يشهرون في وجه كل بيت يخالف قواعدهم ويعجزون عن تخریجه فيجدون الخلق في هذا الوصف السهل يلقونه دون نظر أو تفكير . وكأن ذلك لم يفهم فرموا بعض الأبيات بالضرورة ، لا فراراً من الاخلال بالوزن أو التقافية ، بل فراراً من المزحاف ، وهو ما تأباه النظرة الفاحصة المتأنية .

ولهذا نجد أبا العلاء المعري في كثير من كتبه — وقد كان ذا نظرة تحريرية — يهاجم رأى الجمهور وينصر مذهب الأقلية ، ولا يترك فرصة للذود عنه والانتصار له إلا انتهزها فهو يرى أن المزحاف لا يحمل الشاعر على ارتكاب ضرورة ، فهو كثير في الشعر ، وبخاصة في بعض الأوزان .

(١) موطنة الفصيح لابن الطيب الفاسي ، ورقة ١٩ ، ٢٠ ، والضرائر لللوسي ص ٦ .

(٢) موطنة النصيح ص ١٩ ، ٢٠ .

(٣) موطنة الفصيح ورقة ٢٠ .

(٤) خزانة الأدب ١٥/١ .

وهو يرى أن من الأبيات الشعرية ما يختل وزنها إن غيرت ، فهذه هي محل الضرورة ، ومنها مالا يكون تغييرها مخلا بالنظم ، فهى كالنثر لا يصح أن يقال عنها أنها ضرورة ولهذا فهو يقول في رسالة الملائكة : « ينشد قول أبي ذؤيب المذلى :

ترکوا هوى وأعنقا لهواهم فتخرموا وكل جنب مصرع
ولو أنشد هوى لم يكن بالوزن بأس . والاشتشهاد بالشعر على نوعين : أحدهما لا مزية فيه للمنظوم على المنثور ، والآخر يكون حكم الوزون فيه غير حكم النثر . فالضرب الأول كبيت أبي ذؤيب الذى مر ، وقول الآخر .

أنا ابن التارك البكرى بشر عليه الطير ترقبه وقوعا
خفف « بشر » ونصبه لا فضيلة فيه للوزن ، وكذلك خفض « البكرى » ونصبه ، لأنه قويم في الحالين . والضرب الآخر هو الذى يكون الوزن إن غير عما استشهد به عليه لحقه إخلال ك قوله :

ألا من مبلغ الحررين عنى مغللة وخص بها أبيا
يطوف بي عكب في معد ويطعن بالصلمة في قنيا

فهذا لا يمكن إلا على لغة من قال قفي ^(١) .
ويقول في موضوع آخر : « وأنشد المراء قول زهير » :
عليهم فرسان كرام لباسهم سوابين زغف لاتخرقها نبل
فهذه زيادة بغير ضرورة ، لأنه لو حذف لم يضر بالبيت ^(٢) .
ويقول في بيت المذلى :

أبيت على معاري فاخرات بهن ملوب كدم العباط
الذى يدعى النحاة أنه ضرورة — يقول أبو العلاء : « ولو قال معار

(١) رسالة الملائكة ص ١٨١ - ١٨٣ .

(٢) رسالة الملائكة ص ٢٠٥ ، ٤١٠ .

فاخرات لم يخل بالبيت » (١) فلن يكون فيه سوى تسكين لام « مفاعلتن » فلأين هي الضرورة ؟ وكأنما شعر النحاة بانهيار دعوام هام تلك الحجة القوية ، فحاولوا أن يتمسوا مخلصا لهم ، فادعوا أن الشاعر ارتكب هذه الضرورة كراهة الزحاف ، فقال أبو العلاء مفتدا تلك الحجة : « وهذا قول ينتقض ، لأن في هذه الطائية أبياتا كثيرة لا تخلو من زحاف . وكل قصيدة للعرب وغيرها على هذا القرى » قوله :

عرفت بأجدى فنون عرق علامات تحبير النمط
ذيه زحافان من هذا الجنس ، ثم يجيء في كل الأبيات إلا أن يندر
شيء » (٢) .

وكأنما حاول بعضهم أن يتعلّق بأن هذا الزحاف – مع كثرته في شعرهم – قد يخل بموسيقى البيت ، فرد عليه أبو العلاء بأن حركة الزحاف هذه لا تنفر منها الأذن « ولا يشعر بها في الغريزة » (٣) .

وأيا ما كان الأمر فقد قسم اللغويون الشعراء إلى طبقات أربع هي :
١ - الشعراء الجاهليون ، وهم قبل الاسلام .
٢ - الشعراء المخضرمون ، وهم الذين أدركوا الجاهلية والاسلام .
٣ - الشعراء الاسلاميون ، وهم الذين كانوا في صدر الاسلام
كجريير والفرزدق ، وأخرهم ابن هرمة . قال : الأصمي : « ختم الشعر
بابن هرمة » (٤) ، وقال أبو عبيدة : « افتحت الشعر بامرىء القيس ،
وختم بابن هرمة » (٥) .

(١) رسالة الملائكة ص ٢٠٥ ، ٢١٠ .

(٢) رسالة الفرقان ص ٢٩٢ .

(٣) رسالة الملائكة ص ٢١٠ .

(٤) الاقتراح ص ٢٦ .

(٥) العمدة ص ٥٦ .

٤ - المولدون ، وهم من بعدهم إلى زماننا هذا كبشر وأبى نواس^(١) .

فالطريقتان الأوليان يستشهد بشعرهما اجمعان ، وإن كان من بينهم بعض شعراء طعن فيهم ، كعدي بن زيد ، وأبى دؤاد الایادي . قال الأصمى : « عدى بن زيد وأبى دؤاد الایادي لا تروى العرب أشعارهما لأنّ الفاظهما ليست نجدية »^(٢) . وقال المزباني : « كان عدى بن زيد يسكن الحيرة ، ويراكن الريف فلان لسانه وسهل منطقه »^(٣) .

أما الطبقة الثالثة فالصحيح جواز الاستشهاد بشعرها . وقد كان أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي اسحق والحسن البصري وعبد الله بن شبرمة يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة وأصرابهم . و كانوا يعدونهم من المولدين^(٤) . وقد كان الأصمى يذكر أبرق الرجل وأرعد ، فلما احتج عليه ببيت الكمي :

أبرق وأرعد يأيزيء د فما وعيك لى بضائر

لما احتج عليه ببيت الكمي هذا قال : ليس بيت الكمي بحجة ، إنما هو مولد^(٥) .

وقال الأصمى : « جلست إلى أبي عمرو بن العلاء ثماني حجج ، فما سمعته ي يحتاج ببيت إسلامي »^(٦) .

ومع تحرى العلماء جانب الصواب ، ووضعهم شروطاً في الرواية على نمط شروط المحدثين في رواة الحديث فقد دست عليهم بعض الإشعاع ،

(١) الخزانة ٣/١ .

(٢) الموضع ص ٧٣ .

(٣) الخزانة ٣/١ .

(٤) ديوان الأدب ٢ ٣٤٦/٢ .

(٥) العمدة ص ٥٧ .

فجاء في شواهدهم أبيات لم تسلم من المطنة ٠ ومن ذلك استشهاد سيبويه
بقول الشاعر :

حضر أمورا لاتخاف وآمن ما ليس منجيه من الأئمان

فهذا البيت مصنوع ومع ذلك رواه سيبويه في الكتاب ، « ذكر أبو يحيى اللاحقى أن سيبويه سأله : هل تعدى العرب فعلا ؟ قاله :
فوضعت له هذا البيت » ٠ ومن قال بوضعه كذلك الصدقى في نفوذ
السهم ^(١) ٠

ومن ذلك استشهاد الفارابى اللغوى بقول اموى، القيس :

وعمر بن درماء الهمام اذا غدا بذى شطب عصب كمشية قسروا
على أنه أراد قسورة فمحذف التاء ^(٢) ٠

وقد أنكر أبو العلاء المعري هذا البيت ورأى أنه مصنوع وعبر عن
ذلك بطريقته الخاصة التى عرف بها في رسالة الغفران فأجرى حوارا بين
صاحب ابن القرح وامرئ القيس جاء فيه : « وَهُنَا لَنْرُوا لَكَ بَيْتًا مَا هُوَ
فِي كُلِّ الرَّوَايَاتِ ، وَأَظْنَهُ مُصْنَوِعاً لَأَنَّ فِيهِ مَا لَمْ يَجِدْ عَادِتُكَ بِمُثْلِهِ وَهُوَ
قُولُكَ ٠ ٠ قُسُورَا ، فَيَقُولُ (امروءُ القيس) أَبْعَدَ اللَّهُ الْآخِرُ ٠ لَنْكَ اخْتَرْصَ
فَمَا اتَرَضَ وَانْتَنَبَ هَذَا إِلَى لَأَعْدَهُ أَحَدُ الْوَصْمَاتِ ٠ ^(٣) ٠

وأما الطبقة الرابعة فال صحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقا ، ومنهم
من أباح الاستشهاد بكلام من يوثق به منهم ، ومن هؤلاء الزمخشري
اللغوى وال نحوى الشهور الذى كان يرى الالتحاج بشعر أبي تمام ^(٤)

(١) سيبويه امام النحوة ص ١٤٦ ٠ ونفوذ السهم مادة هرع ، وأسطورة
الآيات الخمسين ص ١٧ ٠

(٢) ديوان الادب ورقة ٢٩٨ ٠

(٣) رسالة الغفران ص ٢٣٥ ٠

(٤) راجع الكشاف . آية : (وَإِذَا أَظْلَمْ عَلَيْهِمْ قَلِيلًا) [سورة البقرة]

وغيره من أئمة اللغة ورواتها ، ويقول ردا على من سأله كيف يستشهد في الكشاف بشعر لأبي تمام : « أجعل ما ينظمه بمنزلة ما يرويه » .
يشير إلى مجموع أبي تمام المعروف باسم « ديوان الحماسة » والذي تلقاه العلماء بالقبول والثقة . وإذا كان الزمخشري يصرح بثقته في شعر أبي تمام وأضرابه ولذا فهو يستشهد به ، فهناك من اللغويين من استشهد في استخناء بشعراء من هذه الطبقة . ومن هؤلاء الخليل بن أحمد الذي استشهد في « العين » بحفص الأموى وبشار بن برد ^(١) . ونسب إلى سيبويه أنه استشهد في كتابه ببيت لبشار بعد أن توعده بالهجاء : « وأصحاب بشار يررون له هذا البيت :
وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه وما كل مؤت نصحه بليبي
وفي كتاب سيبويه نصف هذا البيت الآخر ، وهو في باب الأدغام
لم يسم قائله » ^(٢) .

وفي العصر الحديث ارتفعت أصوات تنادي بباباحة الاستشهاد بالأدباء والشعراء المشهورين حتى وقتنا الحاضر ، بشرط موت الشاعر ، لأن المعاصرة حجاب كما يقولون ، وبشرط أن يكون الشاعر من شهد لهم بالفصاحة والبيان . ونسى هؤلاء أن الشاعر أو الأديب لا يعد من زعماء البيان الا إذا صحت لفته واستقام لسانه ، ولن يتم له ذلك الا إذا جرى على النمط العربي السليم ، ومتنى فعل ذلك فقد صار عربيا بلغته ، وتماثلت اللغتان بل تطابقتا وبهذا فهو لم يخلق شيئا لم يعرفه العرب ولم يأت بجديد . بالإضافة إلى أن مؤهلات الزعامة لا ضابط لها ، وقد تفتح بابا لدخول كل طامع . ولكننا نجد من أصحاب هذا الرأى من يقولون لقد ورد في شعر بعض المعاصرين ما لم يرد في شعر القدماء مثل شوقي الذي يقول :

(١) المعجم العربي ٢٤١/١ .

(٢) رسالة الفرانص ص ٣٦٥ . وانظر الاقتراح ص ٢٦ . وذكر الدكتور رمضان ان البيت لأبي الاسود الدؤلي ، أو لمودود العنبرى (أسطورة : ص ٩) .

ولى بين الضلوع دم ولحم هما الواهى الذى ثكل الشبابا
 حيث أخبر عن المثنى بالفرد ، ومثل قوله أيضا :
 ان عزا لم يظلل في غـد بجناحيك ذليل مستباح
 حيث نفى بلم المستقبل بدليل قوله « في غـد » و « لـم » لنفي الماضي (١) .

٥ - الشواهد النثرية

تشمل الشواهد النثرية نوعين من المادة اللغوية :

أحدهما : ما جاء في شكل خطبة أو وصية أو مثل أو حكمة أو نادرة .
 وهذا يعد من آداب العرب الهمامة ويأخذ في الاستشهاد به مكانة الشعر
 وشروطه .

وآخرهما : ما نقل عن بعض الأعراب ومن يستشهد بكلامهم في
 حديثهم العادى ، دون أن يتحقق له من التائق والذيع مثل ما تحقق
 للأول .

وقد وضع اللغويون شروطاً تشمل الزمان والمكان بالنسبة لهذا النوع
 من المادة .

أما من ناحية الزمان ، فقد حددوا نهاية الفترة التي يستشهد بها
 بأخر القرن الثاني الهجرى بالنسبة لعرب الأمصار ، وأخر القرن الرابع
 بالنسبة لعرب البدائية (٢) . وأما المكان فقد ربطوه بفكرة البداوة
 والحضار ، فكلما كانت القبيلة بدوية أو أقرب إلى حياة البداوة كانت
 لغتها أفعص ، والثقة فيها أكثر ، وكلما كانت متحضرة ، أو أقرب إلى
 حياة الحضارة كانت لغتها محل شك ومثار شبهة ، ولذلك تجنبوا الأخذ

(١) اللغة والنحو ص ٢٤ وما بعدها ، وصفحة ١٢٩ . ومحاضرات الدكتور انيس لطلبة الليسانس بكلية دار العلوم عام ١٩٦٤ .

(٢) انظر : اللغة والنحو للأستاذ عباس حسن ص ٢٤ .

عنها . وفکرthem في ذلك أن الانعزال في كبد الصحراء ، وعدم الاتصال بالأجناس الأجنبية يحفظ اللغة نقاوتها ويصونها عن أي مؤثر خارجي ، وأن الاختلاط يفسد اللغة وينحرف بالألسنة . وأول من روی لنا قلائمة محددة بالقبائل التي يستشهد بها والتى لا يستشهد بها الفارابي في كتابه الألفاظ والحروف . وتعد هذه القائمة وثيقة هامة فنناقلتها كتب اللغة المتأخرة مثل « شرح التسهيل » لأبي حيان « والمزهر » و « الاقتراح » للسيوطى . وهذا هو نص الوثيقة :

« كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفضل من الألفاظ ، وأسئلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعا ، وأبینها ابنة عما في النفس . والذين نقلت عنهم اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس وتميم وأسد . فإن هؤلاء هم الذين عنهم أخذ أكثر ما أخذ ومعظمهم ، وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب وفي التصريف . ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائين . ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة فلم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا عن سكان البرارى منمن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لجاورتهم أهل مصر والقبط . ولا من قضاعة وغسان وإياد لجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية ، ولا من تغلب والنمر ^(١) ، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاوريين لليونان . ولا من بكر لجاورتهم للنبيط ^(٢) والفرس . ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالفتين للهند والفرس . ولا من أهل اليمن لخالفتهم للهند والحبشة . ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لخالفتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز ، لأن الذين نقلوا اللغة

(١) في المزهر : واليمن . والتصحيح من الاقتراح ، مخطوطة دار الكتب المصرية ١١٦ مجاميـع .

(٢) في المزهر : للقبط ، والتصحيح من الاقتراح .

صادفونهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم . والذى نقل اللغة واللسان العربى عن هؤلاء وأثبتها فى كتاب فصیرها علما وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب »^(١) .

وجاء ابن خلدون فأيد في مقدمته رأى الفارابي ، وأوضح هذه الفكرة ، وارتکر على نفس الأساس السابق ، وان كنا نجد بعض فروق طفيفة في تحديد أسماء القبائل . يقول ابن خلدون : « الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معناهم ، وذلك لما اختصوا به من نك العيش وشظف الأحوال . فلا ينزع إليهم أحد من الأمم . . . فيؤمن عليهم لأجل ذلك من اختلاط أنسابهم . . . واعتبر ذلك في مصر من قريش ، وكتانة وثقيف وبني أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة ، لما كانوا أهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع ، وبعدوا من أرياف الشام والعراق ومعادن الأدم والحبوب . . . وأما العرب الذين كانوا بالتسلول ، وفي معادن الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان مثل لخم وجذام وعسان وطبيء وقضاعة وإياد فاختلطت أنسابهم وتداخلت شعوبهم »^(٢) .

ويظهر أن هذه القائمة لم تكن محل اتفاق بين جميع اللغويين ، ويظهر كذلك أن البصريين كانوا أكثر تمسكا بها من الكوفيين ، ولهذا كانوا يفتخرن بقولهم : نحن نأخذ اللغة عن حرثة الضباب وأكلة الميرابيع ، وهؤلاء (يعنون الكوفيين) أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميغ وأكلة الشواريز ^(٣) . كما كانوا يتهمونهم بأنهم يأخذون اللغة عن غير الفصحاء ، يقول أبو جعفر النحاس : « واحد الآباء إنى لا يعرف البصريون غيره . وحكى الفراء واحد الآباء إنى »^٠

(١) المزهر ٢١٢ ، ٢١١/١ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٣) أخبار النحوين البصريين للسيرافي ص ٦٨ .

وللفراء في هذا الباب في كتاب المصور والممدوح أشياء قد جاء بها
٠٠ قد أنكرت عليه ، وروها الأصمى ، وابن السكين ، والمتقنون من أهل
اللغة على خلاف ما روى • والذى يقال في هذا انه مأمون على مارواه ،
غير أن سماع الكوفيين أكثره عن غير الفصحاء » (١) .

ومن لم يلترمها من المتأخرین ابن مالک في مؤلفاته • قال المسوطي
بعد أن نقل هذه القائمة : « ونقل ذلك أبو حیان في شرح التسهيل معتبراً
به على ابن مالک حيث عنى في كتبه بنقل لخ و خزاعة و قضاعة وغيرهم ،
وقال : ليس ذلك من عادة آئمہ هذا الشأن » (٢) .

ذلك كانت هذه القائمة محل نقاش من بعض المعاصرین ، كما فعل
الدكتور مهدی المخزومی الذي يرى أن التفرقة بين القبائل خطأ منهجی ،
ويشرح ذلك بقوله : « ولا نرى هذا الا لغو الكلام • انهم يجعلون أن
اللغة سلیقة وطبيعة ، ويجعلون أن صاحب اللغة لا يغفل في لغته ، لأنها
جزء من حياته التي فطر عليها وعادة من عاداته التي نشأ عليها • وإذا
كان الجاهليون يغفلون ، والمخضرمون يغفلون ، والاسلاميون يغفلون ،
فعلى من بعد هؤلاء يعتمد النهاة ؟ بماذا يحتاجون ؟ ومن أين جامعوا
بهذه الأصول التي وضعوها ، وهذه القواعد التي استتبعوها » . ثم
يمناقش فكرتها في وجود الفصاحة في كبد الصحراء فقط بعيدة عن ملابسات
الحضارة فيقول : « ولو كان مقاييس الفصاحة هو الانعزال في كبد الصحراء
وعدم الاتصال بالأجانب ل كانت لغة قريش أبعد اللغات عن الفصاحة ،
ولا قائل بهذا » (٣) والدكتور المخزومی على حق في هذا ، فقريش كانت
تقسّن مكة وما حولها ، وهم أهل تجارة ، والتجارة تؤدي إلى الاختلاط ،
والاختلاط يفسد اللغة على حد زعمهم • فعلام التفریق اذن بين قريش

(١) اعراب القرآن للناحیس ٣٦٢/٢ .

(٢) الاقتراح ورقة ١٠٦ ، مخطوطة دار الكتب رقم ١١٦ مجامع .

(٣) مدرسة الكوفة ص ٧٣ ، ٧٧ .

وناك القبائل التي اتهمت في فصاحتها ؟ ولم أخذوا عن قريش ورفضوا الأخذ عن غيرها من وجده في حالة مشابهة لحالتها^(١) ؟

ويلاحظ أن علماء اللغة جميعاً في حال الرواية لم يجيزوا الاعتماد على النص المكتوب ، وإنما استندوا أساساً على المشافهة والتلقى ، وحدروا العالم من الاعتماد على النص المدون ، وحدروا المتعلم من تلقى العلم على من يفعل ذلك . ومن أقوالهم المشهورة : « لا تأخذوا العلم عن صحفى ، ولا القرآن عن مصحفى » . وهم بذلك لا يختلفون كثيراً عن النهج الحديث الذي يعتمد على الراوى اللغوى ، ويعتمد على الكلام المنطوق دون المكتوب .

ولكننا نأخذ عليهم بعض ما أخذ مثل :

١ - عدم استمرار المشافهة طوال فترة الدراسة ، ولجوء بعضهم إلى مشافهات الآخرين يعتمدون عليها .

٢ - تكميل التغرات بالمنطق والقياس لا بمعاودة المشافهة .

٣ - اعتقادهم أن اللغة شيء وراثي يتناقله الأبناء عن الآباء وفترضه الأمهات للأطفال . وللهذا سيطرت عليهم فكرة ارتباط الفصاححة بالجنس ارتباطاً وثيقاً ، وأنكروا على الفارسي أو اليوناني امكان اتقان اللغة العربية كما يتقنها أهلوها من العرب مهما بذلوا في تعلمها ، وثبتروا في المران عليها ، وتلقواها منذ الصغر ، ومهما كان حضورهم مبكراً إلى الجزيرة العربية ، ولو أجنة في بطون أمهاطهم ، ومهما كان حظهم من الثقاقة العربية . وللهذا كان اللغويون العرب يرفضون الأخذ عن ابن المفع لأصله الفارسي ، برغم فصاحته وتلقينه اللغة منذ نعومة أظفاره ،

(١) انظر تعليق الدكتور عبد الراجحى على تفضيل قريش : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٤١ وما بعدها .

في حين كانوا لا يتورعون عن الاستشهاد بكلام الأطفال والجانين . قال السيوطي : « قال ابن دريد في أمالله : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه الأصمى قال : سمعت صبيحة بحمى ضريرة (بين البصرة والكرفة) يتراءون فوقفت وصدونى عن حاجتى ، وأقبلت أكتب ما أسمع اذ أقبل شيخ فقال لي : أتكتب كلام هؤلاء الأقزام الأدناع » ، و قال : « وكذلك لم أرهم توقوا أشعار المجانين من العرب بل رواها واحتلوا بها » ^(١) .

٤ - خلطهم الشواهد الشعرية بالشواهد النثرية ، ومحاولة استخلاص قواعد عامة تجمعها مع أنه من المعروف أن للشعر قواعده ونظمه الخاصة التي ينفرد بها .

٥ - أنهم لم يكتروا من الاستشهاد بالحديث مع أنه أهم من الشعر في ميدان البحث اللغوى ، لأنه من النثر الذى لا تحكمه ضرورة من وزن أو قافية ، وأنه يعطى الباحث اللغوى صورة صحيحة لروح عصره بخلاف الشعر الذى يحتوى على كثير من الصيغ الفنية والعبارات المتكلفة التى تبعده عن تمثيل الحياة العادية وتنقية عن الروح السائدة فى عصره .

٦ - أنهم خلطوا مستويين من اللغة لا يصح الخلط بينهما ، وهما مستوى اللغة الأدبية النموذجية المثلثة في القرآن والحديث والشعر والخطب والأمثال ، ومستوى اللهجات العامية المتمثلة في القراءات القرآنية ولغة الخطاب .

٧ - أنهم لم يكونوا على حق في ربطهم الفصاحة بالبداؤة ، لأن اللغة بنت الحاجة والاستعمال ، واللغة لا تنشأ في فراغ ، وإنما تعبر عن

(١) المزهر ص ١٤٠ .
وفي تهذيب اللغة : سمعت صبياً من بنى عقيل يقول لصبي آخر :
وجهى زين ووجهك شين . والنقدير : وجهى ذو زين ووجهك ذو شين ،
ففعتهما بالمصدر . (٢٥٥/١٣) .

تجارب واحتياجات وثقافات معينة . ولا شك أن تجارب البدوى واحتياجاته تختلف عن تجارب الحضرى واحتياجاته ، ولذلك ليس من المعقول أن تنفى احدى اللغتين عن الأخرى ، وليس من الحق أن نعد لغة البدوى أرقى من لغة الحضرى برغم أنها لا تتفى باحتياجاته .

٨ — أن عنايتهم باللهجات العربية كانت ضئيلة ، فهم أولاً قد أبعدوا جزءاً منها من مجال التسجيل اللغوى ، وهم ثانياً لم يكونوا حريصين على تسمية اللهجة ، مما تركنا في ظلام دامس حين نريد تتبع الظواهر اللهجية الحديثة ونردها إلى أصلها القديم . وفرق بين أن نسجل اللهجة وننسبها ، وبين أن نقيم عليها قاعدة تكون نموذجاً لن يريد أن يحتذى الصواب .

٩ — أن جميع علماء اللغة لم يكونوا يعرفون شيئاً عن اللغات السامية كالعبرية والسريانية معرفة صحيحة ، فنشأ عن ذلك أنهم لم يوفقاً في بيان المعنى الدقيقة التي يؤدّيها كثير من الكلمات العربية في أصل وضعها ونشأ عن ذلك أيضاً وقوعهم في أغلاط فيما يتعلق بالاشتقاق . كما أن معرفتهم المحدودة باللغات الأجنبية جعلتهم غير مرافقين في رد كثير من الكلمات العربية إلى أصولها الأجنبية .

الفصل الثاني

الدراسات اللغوية عند غير العرب

تمهيد :

ليس من همنا في هذا الفصل أن نعرض بالتفصيل للجهود اللغوية التي قام بها غير العرب من اللغويين ، وإنما همنا أن نعرض صورة موجزة لأهم هذه الجهود . كذلك ليس من همنا أن نعرض لكل الجهود اللغوية الأجنبية ، وإنما همنا أن نعرض للجهود التي سبقت أو عاصرت الدراسات اللغوية عند العرب . وليس هذا البحث مقصوداً لذاته ، وإنما هدفه الأساسي خدمة بحث تال يتناول قضية التأثير والتأثير ، ويناقش احتمالات التأثير الأجنبي على الدراسات اللغوية العربية والعكس .

وسوف نحصر أنفسنا في الدراسات اللغوية عند الشعوب التالية
ووحدتها :

- ١ - الهندو ·
- ٢ - اليونانيون ·
- ٣ - المصريون القدماء ·
- ٤ - السريان ·
- ٥ - العبرانيون ·
- ٦ - الصينيون ·

١ - الهندو

ظهرت في الهند القديمة دراسات لغة السنسكريتية (لغة الهند الكلاسيكية) على مستوى عال من التنظيم والدقة . ولربما كان الهند

أسبق — حتى من اليونانيين — في هذا الميدان ، سواء من ناحية الزمن أو ناحية القيمة . وقد أثرت عن الهنود دراسات ، في فروع علم اللغة المختلفة تتناول الأصوات والاشتقاق والنحو والمعاجم ، كما نتناول كثيرا من مشكلات فقه اللغة ، ويرجع أقدم هذه الدراسات إلى فترة مجاهلة لنا ، أما أقدم ما وصلنا منها فيرجع إلى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد .

ويحتاج عرض الدراسات اللغوية عند الهنود إلى حيز كبير لا يسمح به المقام ، ولذا سنكتفى بإشارات سريعة ، تاركين التفصيات إلى بحث آخر (١) .

أما الدراسة الصوتية عندهم فكانت متنوعة وشاملة ل معظم جوانب هذا العلم . فدرسوا الصوت المفرد وقسموه إلى علل وأنصاف على وسوakan وقسموا العلل إلى بسيطة ومركبة ، كما قسموا السواكان بحسب مخارجها . وتوصل الهنود إلى أثر القفل في انتاج الأصوات الانفجارية ، والفتح في انتاج أصوات العلة والتضييق في انتاج الأصوات الاحتاكية . وتحدث الهنود عن كيفية تسرب الهواء من التجويف الحنجرى ، وذكروا أنه اذا فتح ما بين الورتين الصوتين ينتج النفس وإذا ضيق ما بينهما ينتج الصوت ، وصرحوا بأن النفس يحدث في حالة الأصوات الساكنة المهموسة والصوت في حالة السواكان المجمورة أو العلل .

ولم يكف الهنود بالحديث عن الصوت المفرد فتحديثوا عن المقطع ، وكان حديثهم مفصلا بشكل مثير للدهشة . كذلك وضع الهنود قواعد دقيقة للنبر في لغتهم القديمة ، واعتبروه من خصائص العلل لا السواكان ، وقسموه إلى درجات ثلاث .

(١) انظر كتابنا المطبوع بعنوان « البحث اللغوى عند الهنود » وما ذكرناه هنا ملخص عن هذا الكتاب .

ويكفي المندى فخراً أن تكون جهودهم الصرتية هي الأساس الذي بنى عليه علماء الأصوات المحدثون . يقول بروفيسور ألن : « إن الاتصال بين الهند القديمة والمدارس الغربية الحديثة في دراسة اللغة أشد وأوثق في مجال الأصوات عنه في مجال النحو » . ويعترف العلامة فرث الإنجليزي أن المدرسة الأصواتية الإنجليزية لم تنشأ في القرن التاسع عشر إلا على أكتاف المعلومات التي قدمها وليم جونز عن النحاة والأصواتيين الهنود .

وأما في مجال النحو ، فإنه من غير المبالغ فيه أن نقول إن هذا العلم لم يلق من العناية في أي بلد من بلاد العالم مثل ما لقيه من الهند . وقد كان في الهند القديمة ما يقرب من اثنين عشرة مدرسة نحوية مختلفة ، وأكثر من ثلاثة مؤلف في النحو ، ووصلتنا فعلاً دراسات تزيد على الألف عدا بعضها أصلى وبعضها شارح .

ويمثل بانييني (١) فترة النضج في الدراسات نحوية عند الهند ، ولذا نال كتابه المعنى « الأقسام الثمانية » شهرة غطت على أي مؤلف آخر سبقه أو لحقه . وقد كتب بانييني تأليفه في شكل قواعد مختصرة ، وبذل فيه جهداً ضخماً للتفريق بين الآراء والاتجاهات المتعارضة التي كانت موجودة حينئذ .

وأهم ما يميز النحو الهندي :

(١) اختلف بدرجة كبيرة في تحديد زمنه . وأشهر الآراء أنه كان موجوداً بين عامي ٧٠٠ و ٦٠٠ ق.م ، وقد وصلنا فعلاً كتاب بانييني المعنى «Ashtadhyayi» (الأقسام الثمانية) واحتفل به العلماء وترجموه إلى لغات عددة . وقد نال عمل بانييني شهادات التقدير من القديماء والمحدثين على السواء ، فقد قال عنه باتنجالي (١٥٠ ق.م) : « انه محيط واسع من العلم » . وقال عنه ماكس مولر : « لا يوجد نحو في أي لغة يمكن أن يعادل نحوه » . وقال بلومفيلد : « ان نحو بانييني يعد واحداً من أعظم الشواهد القديمة على تقدم العقل البشري » . وقال روبنس : « بين كل النحاة الهنود يقف اسم بانييني متبيزاً عن غيره » .

- ١ — أنه بدأ بجمع المادة اللغوية وتصنيفها ثم انتقل إلى استخلاص الحقائق منها . فنقطة البداية في النحو الهندي مختلفة عنها في اليوناني ، الذي بدأ من الفلسفة وحاول أن يطبق القواعد الفلسفية على حقائق اللغة .
- ٢ — أنه سبق النحو اليوناني في تحديد أقسام الكلام (اسم - فعل - حروف اض-افية - أدوات) .
- ٣ — أنه حل هذه الأقسام إلى عواملها الأولية فميز بين الجذر أو الأصل ، وبين الزيادة أو الحروف التشكيلية .
- ٤ — عرف النحو الهندي الأعداد الثلاثة : المفرد والثنى والمجمع منذ عصر مبكر .
- ٥ — قسم النحو الهندي الفعل السنسكريتي إلى ثلاثة أقسام بحسب الزمن وهي : ماض وحاضر ومستقبل .

وأما الأعمال المعجمية عند الهندود فقد بدأت في شكل قوائم تضم الألفاظ الصعبة الموجودة في نصوصهم المقدسة ، ثم تطور هذا النظام فألحق بكل لفظ في القائمة شرح لمعناه ، ويمكن أن يعتبر هذا العمل من نوع « معاجم الموضوعات » أو « معاجم المعاني » . وبعد ذلك ظهرت كتب لا تقتصر نفسها على ألفاظ النصوص المقدسة ، وأقدم ما وصلنا من هذه الكتب معجم ظهر في القرن السادس الميلادي أو قبله ، مؤلف بوذى اسمه أمara سنها Amara Sinha وقد ضم هذا المعجم (واسمه Amara Kosa) جزءاً ضم كلمات المترادفات ، وجزءاً في كلمات المشترك اللفظي ، وجزءاً عن الكلمات غير المترادفة والكلمات المذكورة أو المؤنثة أو المعايدة . ويعيب هذا الكتاب وأمثاله أنه كتب في شكل منظوم ليسهل حفظه وأنه لم يتبع أى ترتيب ييسر اللجوء إليه والعنور على المراد بسرعة ، فيما عدا المشترك اللفظي الذي رتب بحسب الحروف الساكنة في أواخر كلماته . ولا نجد عملاً آخر

يستحق الاشارة اليه بعد ذلك سوى معجم كتب في القرن الحادى عشر الميلادى ، وهو معجم ضخم رتبت الكلمات فيه أولاً بحسب عدد مقاطعها ثم بحسب الجنس (مذكر ومؤنث) ثم بحسب الحرف الأول ٠

٢ - اليونانيون

أول عمل لغوى في اليونان — وقد تم بالطبع قبل وصول أي تسجيلات — كان تطوير نظام هجائى للكتابة في أوائل الألف قبل الميلاد ٠ وفي هذا النظام المهجائى مثل اليونانيون كل الأصوات سواء المساواة منها والعكل ، وفيما بعد مثلوا كذلك النبر برموز خاصة به (١) ٠

أما التفكير اللغوى فقد بدأ مرتبطا بالفلسفة *philosophia* وهي علم كان يغطى مجالاً أوسع عند اليونانيين القدماء من المصطلح *philosophy* اليوم ٠ ولذلك فإن أسماء اللغويين اليونانيين الأولين هي أسماء فلاسفتهم الأولين ٠ وربما كان أقدم ما وصلنا من أبحاث اليونانيين يرجع إلى حوالي القرن السادس قبل الميلاد على أيدي السوفسطائيين ٠ وبعد ذلك نجد ستراط يدللى برأيه في بعض مشكلات اللغة ويليه أفلاطون (٤٢٨ قم إلى ٣٤٨ قم) وأرسطو (٣٨٤ قم إلى ٣٢٢ قم) (٢) ٠ وربما كان من أهم المشاكل التي لفتت أنظار اليونانيين موضوع اللغة نفسها وهل هي أمر طبيعى أو عرف ناتج عن اتفاق البشر ٠ وقد خصن أفلاطون جزءاً من محاوراته لمعالجة هذه القضية وعرض وجهتى النظر المختلفتين ٠ كما عالج أصل الكلمات أو موضوع العلاقة بين الاسم والاسمى (٣) ٠ وتطور النقاش بعد ذلك ليصل إلى أيدي القياسيين *Analogists* والشذوذيين *Anomalists* ، فقال الأولون إن اللغة فطرية وقياسية ومنطقية ، وقال الآخرون إن عدم

(١) انظر : روبنس «A Short History» ص ١٢ - ١٣ ٠

(٢) راجع روبنس المرجع السابق ص ١٤ و «On Language» ص ٣ ٠

(٣) انظر : «On Language» ص ٣ ٠

اطراد اللغة خير دليل على بطلان الرأى الأول^(١) . وعلى الرغم من أن أفلاطون لم يسوق آراءه اللغوية بشكل مترابط ، ولم يجمعها في مكان واحد – فقد عده الباحثون رائد الدراسات النحوية اليونانية « وأول فاحد للمشكلات النحوية »^(٢) . ويعد أفلاطون أول من فرق بين الاسم والفعل كما أنه أعطانا تقسيماً ثلاثة للأصوات يمكن أن يكون : أصوات العلة – الأصوات الساكة المجهورة – الأصوات الساكنة الممومسة^(٣) . وأنه أرسطه تقسيم أفلاطون للنملمة إلى اسم و فعل وزاد عليها قسماً ثالثاً سماه رابطة . وذلك أنه شعر أن الأفعال والأسماء تؤدي معانٍ مستقلة في حين أن سائر الكلمات ليس لها إلا الوظيفة النحوية فقط^(٤) .

وبعد ذلك انتقلت الدراسات اللغوية إلى أيدي الرواقيين Stoics الذين فصلوها عن الفلسفة واعتبرت حينئذ فرعاً مستقلاً تحت الحقل الواسع المعنى Philosophia . وقد نأسست مدرسة الرواقيين على يد Zeno (حوالي ٣٠٠ ق.م) ، وأعطى هؤلاء شخصية مستقلة لكل من الأصوات والنحو والاشتقاق ، وإن كان معظم اهتمامهم منصبًا على النحو وحده ، حتى اعتبر بعضهم بدء النحو بمعناه الحديث على أيدي هؤلاء الرواقيين^(٥) .

وعلى أيدي الرواقيين زيد قسم رابع ثم خامس إلى أقسام الكلمة الثلاثة عند أرسسطو ، كما قدمت شروح مستفيضة لآراء أرسسطو اللغوية . كذلك يجدوا أن الرواقيين كانوا أول من درسوا العدد والمطابقة بين الاسم

(١) «On Language» ص ٣ ، وRobins ص ١٧ وما بعدها .

(٢) Robins ص ١٤ .

(٣) «Greek Pioneers» ص ٣ ، و «On Language» ص ١٠٧ ، ١٠٩ .

وانظر : Robins ص ٣ ، ١٠٦ .

(٤) «Greek Pioneers» ص ١١٠ و «On Language» ص ٣ – ٤ .

(٥) Robins ص ٢٧ و «Greek Pioneers» ص ١٠٧ .

وال فعل ، وحالات الاسم الاعربية ، وحالات الفعل من حيث المصيغة والزمن^(١) .

وبعد الرواقيين تحول مركز الدراسات النحوية إلى الاسكندرية وظهرت مدرسة نحوية كاملة في الاسكندرية خلال القرن الأول قبل الميلاد كما سنعرض فيما بعد .

أما في المجال المعجمي فقد أنتجوا عدداً ضخماً من المعاجم . ونقول دائرة المعارف البريطانية إن Athenaeus قد اقتبس نصوصاً من ٣٥ عملاً معجمية فقدت جميعها^(٢) . ولكن كثيراً من هذه المعاجم تم إنتاجه في الاسكندرية ولذا نترك الحديث عنها الآن إلى مكان آخر . ويعتبر العلماء القرون الأولى بعد الميلاد هي العصر الذهبي للمعاجم اليونانية وبخاصة في مدينة الاسكندرية كما سنتحدث فيما بعد ، ولكن اشتهر من بين المعاجم اليونانية معجم أبوقراط Hippocrate الذي ألفه Glaucus عام ١٨٠ ق.م وهو معجم ألفبائي^(٣) .

٣ - المصريون القدماء

اتجهت أبحاثهم إلى عدة فروع من الدراسات اللغوية ، فدرس بعضهم الآثار الأدبية اليونانية القديمة دراسة فلولوجية ، واتجه بعضهم إلى الدرس النحو ، وفريق ثالث اتجه إلى وضع المعاجم . ودارت كل هذه الدراسات حول اللغة اليونانية وتركزت جميعها في الاسكندرية .

أما الدراسة الفلولوجية فقد وجدت في الاسكندرية في وقت مبكر جداً ، وكان الهدف منها تصحيح النصوص المكتوبة وتفسيرها والتعليق

(١) On Language ص ٥ ، وروبنس ص ٢٨ .

(٢) مادة Dictionary .

(٣) الجرح ص ١٤ و Haywood ص ٨ .

عليها^(١) . وظهرت في القرن الثالث قبل الميلاد شروح على أشعار هرميونس وغيره من الشعراء . كما وجّه اهتمام إلى دراسة المفردات وجمع الألفاظ الصعبة أو الكلمات الشعرية أو الكلمات التي تتبع إلى لهجات خاصة^(٢) .

وأما النحو فنبغ فيه علماء كثيرون أبرزهم Dionysius Thrax الذي ألف في النحو كتاباً اشتمل - ضمن ما اشتمل عليه - على آراء النحاة السابقين . ونال كتابه شهرة جعلته المرجع الأول للنحو اليوناني في الألف والثمانمائة سنة التالية . وقد أكد ديونسيوس العلاقة بين النحو والأدب ، وأهمل كلية الكلام العامي ، وزاد في أنفسام الكلام حتى بلغ بها ثمانية ، وكان بكل تأكيد تقدماً كبيراً بالنسبة لأفلاطون وأرسطو ^(٢) . ويقول عنه أحد الباحثين : « إن جزءاً كبيراً من نحوانا مدين له . لقد كان عمــله هذا في مدرسته لثلاثة عشر قرناً . ويدين له بالفضل كذلك النحاة اللاتين التقدماء وأهل العصور الوسطى » ^(٣) .

ومن أهم التجديدات والإضافات التي قام بها لغويو الاسكتلندية رفضهم بعض أقسام الكلام التي توصل اليها سابقوهم وأضافتهم أقساماً جديدة مثل حروف الاضافة prepositions ومثل الضمير pronoun ، ومن ذلك فصلهم اسم الفاعل واسم المفعول عن الفعل . وتناولوا الاسم من حيث التذكير والتأنيث ومن حيث العدد ، وقسموا الفعل باعتبار الزمن والصيغة ، وغير ذلك كثير .

وهناك نقطة أخرى هامة في نحوهم هي أنهم اهتموا فقط بالاستعمالات

(١) السعران ص ٣٥١ ، ودى سوسير ص ١ .

٣٥١ ص المعران (٢)

«On Language» (۲) ص ۵

٤) «Greek Pioneers» و«On Language» من ١١٢ ص وانتظر : .

الموجودة في الشعر والكتابات النثرية وأهملوا ما عداها^(١) .

أما في مجال المعاجم فإن أقدم معجم يوناني معروف لنا هو معجم Appollonius السوفسطائي ، وكان موجودا في الإسكندرية في عصر Augustus . ويتناول هذا المعجم الكلمات التي استعملها هوميروس^(٢) . ولكن العصر الذهبي للمعاجم كان في القرون التي تلت المسيحية ، وشمل ذلك معاجم كثيرة عرفنا من أسمائها :

١ - معجم Orion (٣٩٠ - ٤٦٠ م) ، الخاص بالاشتقاق وقد ألفه بمصر .

٢ - معجم Helladius الذي ألفه بالإسكندرية في القرن الخامس وكان ترتيبه ألفبائياً .

٣ - معجم Ammonius وكان معاصرًا للسابق ، وقد خصص معجمه للكلمات المتفقة في اللفظ المختلفة في المعنى^(٣) .

٤ - معجم اللهجات والسمات المحلية لمؤلفه Hesychius^(٤) وغير ذلك .

٤ - السريان

احتكر السريان باليونان منذ القدم ، واحتلّطوا بهم إما بحكم الجوار أو بحكم خصوصهم لسلطان اليونان . ولذلك ترجم السريان النحو اليوناني إلى السريانية ، ونقلوا إلى لغتهم كثيراً من الكلمات والاصطلاحات .

(١) «Greek Pioneers» ص ١١١ وما بعدها .

(٢) دائرة المعارف البريطانية Dictionary .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الجرح ص ١٤ .

وليس هذا فحسب ، بل قلدوا اليونان في نحوهم حين وضعوا قواعد لغتهم .

أول نحوى سريانى نعرفه هو يوسف الأهوazi أستاذ مدرسة نصيбин المتوفى سنة ٥٨٠ م (حوالي ٤٢ ق ه) ، فقد كتب رسالة في النحو ، وترجم كتابا في نحو اللغة اليونانية اسمه : « الصناعة النحوية » إلى السريانية . كذلك اخترع بعض علامات للشكل ، وكتب رسالة عن الكلمات التي تكتب بصورة واحدة ولكن يتعدد معناها .

وقد عثر على قطعة من كتاب ألف في القرن السادس في نحو السريان يوضح منها أن مؤلفها اتبع قواعد نحو اليونانى .

وفي القرن السابع ظهر نحوة سريان ينسب إلى بعضهم ابتداع نقط الإعجام في السريانية واحتراز الحركات . ويعود يعقوب المراوى الذى ولد حوالي عام ٦٤٠ م (١٩ ه) ، وتوفى عام ٧٠٨ م (٩٠ ه) أول من وضع نحوا شاملا ، وقواعد اللغة السريانية مبنية على النحو اليونانى ، وقد عثر على قطع من هذا الكتاب ^(١) فيها حديث عن الصوائت (الحركات) وقد استعارها من اليونانية ووضعها أولا بين الحروف ، ثم قام بوضعها فوق الحرف أو تحته في المكان الذى يوجد به فراغ ^(٢) . ووجدت طريقة ثلاثة أقدم من هاتين ، وهى وضع نقطة أو نقطتين ، بطريقة رأسية أو أفقية أو مائلة ، فوق الحرف أو تحته ، ليوضح شكل حركة من الحركات .

وفي القرنين الثامن والتاسع ظهرت بعض مصنفات في نحو السريانية ، وكان أشهر المؤلفين فيه أبو زيد حنين بن إسحاق المتوفى سنة ٨٣٣

(١) كان الباحثون يظلون أن عمل يعقوب قد فقد إلى أن عثر وليم ريت على صفحات قديمة منه في المتحف البريطانى ، ثم عثر على قطع أخرى في البدليانا بأكسفورد .

(انظر : Fragments of the Syriac Grammar : Wight .)

(٢) المرجع السابق ص ٤ . وانظر الأداب السامية للأبراشى ص ٦٣ - ٦٧ .

(١) ٥٢٦٠ .

وقد ألف معظم أعماله بالعربية ، وكذلك مترجماته من اليونانية ٠ وقد عرفنا له ثلاثة كتب هي : « النحو السريانى » ، و « المعجم السريانى » ، كذلك كتب حنين رسالة عن المترادفات ٠

وقد مد حنين ومدرسته في القرنين التاسع والعشر الميلاديين المسلمين بكل ما يعرفونه عن العلوم اليونانية سواء أكان طبًا أم رياضة أم فلسفه (٢) ٠

أما في القرن العاشر فنجد أن التأليف بالسريانية قد ضعف ، إذ أصبح معظم المؤلفين يفضلون — حتى في الكتابات الدينية والرسمية — الكتابة بالعربية ٠ وقد فعل ذلك علماء مثل : أبو على عيسى بن اسحاق ابن زرعة (٩٤٣ - ١٠٠٨ م) ، وأبو زكريا يحيى بن عدي (توفي ٩٧٤ عن أحدهي وثمانين سنة) (٣) ٠

٥ — العبرانيون

يعدو أن الدراسات اللغوية العبرية لم تزدهر في فترة ما قبل

(١) في تفصيل الحديث عن نشأة النحو السريانى راجع — إلى جانب المرجع السابق — ما يأتي :

A Short History of Syriac Literature

— ١ —

تأليف وليم ريت ص ١١٥، ١١٦، ١٥٠ ٠

ب — نشأة النحو عند السريان وتاريخ نحاتهم تأليف زاكية رشدى ص ٢١٥ - ٢١٧ ٠

ج — تاريخ اللغة السريانية لزاكية رشدى ، ص ٢٦٦
A Short History of Syriac Literature : Wright (٢)

ص ٢١٢ - ٢١٤ ٠

وورد في دائرة المعارف البريطانية مادة (Syriac Literature) أن معظم المؤلفات والوثائق ترجمت من اليونانية إلى السريانية خلال عدة قرون مكونة جزءاً من التراث السريانى ٠ وساهمت هذه الترجمات في تركيب الحضارة الإسلامية فيما بعد حيث كانت الترجمة أسهل من السريانية إلى العربية عن الترجمة من اليونانية إلى العربية ٠

• A Short History ص ٢٢٢ (٣)

الاسلام ، وأن أهم الأعمال التي قدمت لم تظهر إلا بعد اختلاطهم بالعرب ، وخوفهم من اندثار لغتهم ، لأن صرف الناس عنها وتعلمهم اللغة العربية . يقول كاتب مادة grammar في دائرة المعارف اليهودية : « إن الحافز لدراسة الفلكلوجى العبرى قد قوى بعامل خارجى ، وبالتحديد بمثال الذى قدمته اللغة العربية . وقد استمرت اللغة العربية تؤثر على علم اللغة العبرى وكان النموذج العبرى هو الذى احتذاه العبرانيون ثم طوروه » . ويقول Hirschfeld : « هناك شواهد مؤكدة أن النفوذ العبرى كان موجودا حتى منذ اللحظة الأولى للنشاط اللغوى العبرى . فإننا نجد الأسماء العبرية للحركات الثلاث الرئيسية هي نفسها الأسماء العربية (الفتحة - الكسرة - الخمة) . وكذلك الكلمة المستعملة للصلة تعد نقلأ حرفيأ من العربية (حركة) ^(١) . وينص سعيد الفيومى (ولد فى صعيد مصر ٨٩٢ م ومات ٩٤٢ م) فى مقدمة معجمه على السبب فى تأليفه بقوله : « إن اليهود يعطون اهتماما قليلا للغة الفصيحة ، واهتمامًا أقل للكلمات الصعبة ، وأسلوبهم مليء بالأخطاء كما أن شعرهم معيب من ناحية القافية ، وغير واضح ، وتافه » ^(٢) .

ومع هذا دعنا نلقى نظرة على أهم الأعمال التي قدمها اليهود عن اللغة العبرية قبل الاسلام أو بعده حتى القرن الرابع المجرى :

بدأت دراسة اللغة والنحو في العبرية لخدمة الكتاب المقدس ثم استقرت ^(٣) وقد أطلق على البداية الأولى للنحو العبرى اسم Masorah وكان اهتمام المشتغلين بها محصورا في التفرقة بين الصيغ المختلفة للكلمات الموجودة في الكتاب المقدس ، وربط الأشكال المشابهة في مجموعات ، وتسجيل غرائب النص . ولكن علهم لم يعط أي اهتمام

(١) Literary History of Hebrew ص ٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣ ، ودائرة المعارف اليهودية مادة « Saadia » .

(٣) دائرة المعارف اليهودية مادة « grammar » .

للتقسيمات النحوية ، ولا لحصر الصيغ الموجودة في اللغة العبرية .
وطلت الـ *Masorah* مزدهرة حتى بعد ظهور علم النحو .

وحتى من قبل نشأة علم النحو وجدت دراسات تتعلق بتصنيف السواكن والعلل ، وتقديم النصائح لقاريء النص المقدس ، كما وجد نظام للنقط ووضعت قواعد للكتابة ، والضبط بالشكل ، وأشار إلى ظاهرة النبر ولوحظت الفروق في أشكالها ^(١) .

وهناك خلاف كبير حول ما إذا كان شرف البدء بالأعمال النحوية يرجع إلى الربانيين *Rabbanites* أو القرائين *Qaraite*s ، ولكن يمكن أن يقال إن القرائين كانوا أكثر اهتماماً بال نحو من الربانيين . واستناداً إلى الشواهد التاريخية يمكن القول أن الأحكام النحوية الأولى التي وصلت إلينا ترجع إلى *Nissi b. Noah* الذي بُرِزَ في النصف الأول من القرن التاسع وكانت أعماله مكتوبة بالعبرية ، لأنَّه من المعروف أن اليهود لم يستعملوا اللغة العربية لكتاباتهم قبل القرن العاشر الميلادي ^(٢) :

وفي القرن العاشر الميلادي نجد عالماً كبيراً سبق أن أشرنا إلى اسمه وهو سعيد الفيومي الذي أنتج أعمالاً يدخل بعضها في عداد النحو وبعضها الآخر في عداد المعاجم . والتأثير العربي واضح عليه لأنَّه في أول عمل أنتجه ، وكان له من العمر ٢١ سنة ، أشار إلى عنوانين مؤلفات الكتاب العربي الذين عالجوها فصاحة الأسلوب .

وتختصر جهود سعيد الفيومي فيما يأتى :

١ - عمل معجم يسمى *Agron* ، وقد اجتاز تأليف هذا المجم

(١) راجع *Literary History of Hebrew* ص ٥٦٠٩ .

وراجع دائرة المعارف اليهودية مادة «Grammar» .

(٢) *Literary History* ص ٧ - ٨ .

مرحلتين اثنتين . فقد ظهر أولاً في شكل معجم عبرى خالص مرتب ترتيباً هجائياً تبعاً لبدايات الكلمات ونهاياتها . وكل مادة كانت تتوضع باقتباسات من الكتب المقدسة . وكان غرض المؤلف مساعدة الشعراء الدينيين في نظم القصائد من النوع المسمى acrostics^(١) وفي المثور على قوافٍ مناسبة لقصائدهم^(٢) .

ومن سوء الحظ أن قدرًا صغيراً منه فقط قد حفظ لنا ، وبذا لا يمكننا أن تكون فكرة كبيرة عن محتوياته . ولكننا نملك المقدمة العبرية التي تعطينا بعض المعلومات الهامة . وفي هذه المقدمة تحدث المؤلف عن موضوعات أساسية مثل تكوين الكلمات من جزئين يعد واحداً منها أساسياً والآخر اضافياً . والجزء الاضافي يقوم بوظيفة الجمعية والملکية والزمن ، في حين يبقى الجزء الأساسي من الكلمة غير متغير .

ويبدو أن سعيد الفيومي قد أحسن بذوع من عدم الرضا عن عمله . ولذا نجده فيما بعد يلبسه ثوباً جديداً ويظهره في شكل آخر ، اذ قام بإضافة ترجمة عربية للكلمات موضوع البحث ، كما كتب مقدمة عربية ووضع لها عنواناً جديداً هو « كتاب الشعر » .

٢ - تمثلت اهتمامات سعيد فيما بعد في جمعه لرسائل نحوية اثنى عشرة تحت عنوان « كتب في اللغات » وقد ضاع هذا المجموع فيما عدا بعض اقتباسات منه بقيت في كتاب آخر له شرح فيه « كتاب الخلقة » .

٣ - شرح « كتاب الخلقة » ، وفي هذا الشرح ناقش الأصوات الخلقية *guttural* في أماكنها المتعددة في الكلمات ، والتغيرات النطقية

(١) هي قصائد اذا جمعت اوائل حروف ابياتها كانت اسماء او جملة .

(٢) Literary History of Hebrew ص ١١ ، دائرة المعارف اليهودية

التي تلتها حينما ترفض أي نوع من التضييف . وهو في بحثه هذا لم يكن مسبوقا ، لأن هذه الأصوات لم يوجه لها اهتمام خاص في اللغة العربية .

٤ - كذلك أخرج سعيد عملا معجينا ثانيا يتمثل في قائمة مفرداته للكلمات التي وردت في الكتاب المقدس مرة واحدة . والمفردات في هذه القائمة ليست مرتبة بأى شكل وقد أضيفت إليها تعليقات وشروح ، وترجمة عربية لبعض الكلمات (١) .

وهناك معاصر لسعيد الفيومي اشتغل بالنحو هو أبو يوسف القرقسانى Qirqisani ، وقد تلمذ معه على مدارس بغداد ، وظهرت آثار ثقافته العربية في أعماله النحوية . وأهم ما تركه علان نحويان أحدهما تأليف والآخر شرح . وقد اعتبره مؤلف : « التاريخ الأدبي للنحو المعجميين العربين » مثلا لأحسن نموذج لدراسة القراءين ووضعه في مرتبة تالية لسعيد الفيومي وصف أبحاثه بالدقة والعمق في فهم اللغة العربية (٢) .

وهناك أعلام أخرى يهودية لمعت في هذا القرن مثل :

داود بن إبراهيم الذي كان من مواطنى مراكش . وقد ألف معجما يشبه معجم سعيد الفيومي ، وقسم الكلات العبرية إلى أربعة أقسام تبعاً لعدد الحروف التي اعتبرها أصلية ، بدأها بالكلمات التي تشتمل على أصل واحد . واعتبر المؤلف ما زاد على الأربعة استثناء . وقدم المؤلف إلى جانب هذا عملا نحويا ، وقام ببعض الأبحاث المقارنة (٣) .

ميناحيم بن سروق الذي ألف معجما عريا خالصا رتب مادته ترتيبا هجائيا . ولكن المؤلف فشل في التعرف على بعض الجذور فرتب كثيرا

(١) Literary History of Hebrew ص ١١ - ١٥ .

(٢) ص ١٦ .

(٣) Literary History of Hebrew ص ٢٠ ، ٢١ .

من الكلمات بحسب صورتها الخارجية . ولهذا فإنك تجد كلمات ذات أصول اشتقالقية متباعدة — تجدها في مكان واحد . وقد أعطى المؤلف في معجمه قائمة بالكلمات ذات الأصل الواحد ، وأخرى بالكلمات ذات الأصافين . وقد تحدث ميناحيم عن حروف الماء التي لا تأتى إلا أصلية فقط وعن الحروف التي تأتى أصلية وزائدة . وقد كان ميناحيم من سكان قرطبة ولد عام ٩١٠ ومات عام ٩٧٠ م^(١) .

يهودا بن حيوج الذى ارتفع بعلم اللغة العبرى إلى مستوى عالى رفيع . وقد كان من مواطنى فاس ومن تلاميذ ميناحيم السابق ذكره . وبلغ من علو مكانته أن اعتبره بعض المؤرخين أول النحاة العربىين . وقد ساعدته معلوماته العميقه فى العربية ودراساته على التعمق فى البحث اللغوى العبرى . وقد وصلتنا أجزاء من بعض مؤلفاته^(٢) كما وصلنا أحد أعماله كاملاً متمثلاً فى ثلث رسائل كتبت باللغة العربية .

وفي أحدى هذه الرسائل نجد دراسة فونولوجية متقدمة ، تعالج العلل والسوakan والتنتغيم والنبر والمقطع . ومن الخصائص الفونولوجية التى ذكرها المؤلف أنه لا توجد كلمة عبرية تبدأ بـ سـ اـ كـ غير متبع بـ بـ لـ ءـ ، كما لا توجد كلمة تنتهي بـ بـ لـ ءـ . وبلغ من عمق تحليلاته ودققتها أن اعتبره بعضهم صاحب « أول محاولة لوضع قواعد فونولوجية للغة العبرية مؤسسة على أساس علمية »^(٣) .

(١) المرجع ص ٢٤ - ٢٦ . ودائرة المعارف اليهودية «Menahem b. Saruq» ، ودائرة المعارف البريطانية «Dictionary» .

(٢) من ذلك قطع من أحد كتبه عشر عليها في لينجراد ونشرت عام ١٩١٦ . وهى تعالج اشتقالق بعض الكلمات العبرية . كما تفرق بين الكلمات ذات الأصول المختلفة التي تبدو متفقة في الصورة .

(٣) Literary History of Hebrew ص ٣٥ - ٣٩ .

وقرب نهاية القرن العاشر ظهر عالمان يستحقان الاشادة وهم :
أبو الوليد بن جناح القرطبي الذي ولد في نهاية هذا القرن
واشتغل بالطلب أولا ثم اتجه لدراسة اللغة العبرية . وقد ألف كتابا
كثيرة أشهرها :

- (أ) كتاب بالعربية أسماه «كتاب المستحق» وهو ذيل على
عمل يهودا بن حيوج .
- (ب) كتاب بالعربية أسماه «كتاب التتبية» رد فيه اعترافات
خصومه واحدا بعد الآخر ، وعالج فيه بعمق كثيرا من الصيغ الشاذة .
- (ج) كتاب ثالث أسمه «رسالة التقريب والتسهيل» ، يعتمد
تعليقات على كتاب ابن حيوج ، ويعالج جزءه الأول موضوعات
فونتولوجية ، وجزءه الثاني مشكلة الأصول الثلاثية للكلمات ، وجزءه
الثالث الكلمات ذات الأصل الثالث الضعيف (الناقصة) والكلمات
الضعفة .
- (د) كتاب في النحو أسمه «اللمع» يحتوى على ٤٦ فصلا ويسير
على النمط العربي .
- (ه) كتاب أسمه «كتاب الأصول» وهو معجم عبرى باللغة
العربية (١) .
- ويلاحظ أنه كتب جميع مؤلفاته باللغة العربية .

وأبو الفرج هارون الذى أتم عملا لغويا ضخما عام ١٠٢٨ م وأسماه
«الكتاب الشامل فى الأصول والفروع للغة العبرية» . ويهتوى الكتاب
على ثمانية أبواب تعالج الستة الأولى منها مسائل نحوية ، والرابع
يشكل معجما ، في حين أن الأخير يعالج الكلمات الآرامية الموجودة في
الإنجيل . وفي الجزء المعجمى كان يأخذ الأصل الثلاثى ويناقشه ويعرض

(١) المرجع السابق ص ٤٦ . ودائرة المعارف البريطانية مادة «Dictionary»

معانيه المختلفة واستعمالاته ، ثم بعد ذلك يعيد ترتيب حروف الكلمة بشكل آخر ويفعل ما سبق فعله . وهكذا يقلب الكلمة على احتمالاتها الواردة في اللغة . وله أعمال لغوية أخرى ^(١) .

٦ - الصينيون

يقول « فيشر » في مقدمة معجمه اللغوي التاريخي : « اذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته وبشعوره المبكر ب حاجته الى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب ^(٢) والذى يهمنا في هذه العبارة ما شهدت به من فضل للصينيين في مجال الدراسة اللغوية . وهذه حقيقة نريد أن نعرضها الآن في ايجاز وتركيز .

ربما كان أول عمل صيني معجمي قدّيما جداً ، ولكن أول محاولة منظمة للتعريف بالأشكال التعبيرية كانت العمل المسمى Eah Ya الذي يمكن أن يؤرخ بالفترة ما بين ٢٠٠ ق . م وميلاد المسيح . وهو أشبه بمعجم من معاجم المعانى التي توزع الكلمات تحت موضوعات أو معانٍ مختلفة .

Hû Shin

وفي نهاية القرن الأول الميلادي ظهر أول معجم حقيقي وهو معجم Shwo wan مؤلفه وعلى الرغم من أن هذا المعجم يشرح حوالي ١٠٦٠٠ كلمة فهو ليس معجماً شاملاً ، بل لا يحتوى حتى على جميع الكلمات التي وردت في مقدمته . وقد كان جل اهتمام المؤلف منصبًا على الكلمات التي وردت في النصوص الدينية .

وبعد ذلك ظهر نظام جديد للمعاجم الصينية رتبته فيه الكلمات

(١) Literary History of Hebrew ص ٥٠ - ٥٢ .

وقارن هذا بصنف الخليل في العين .

(٢) صفحة ٤ .

صوتيًا تبعاً لنطقها . فكل الكلمات ذات الصوت الواحد تعالج معاً في باب واحد بغض النظر عن اختلاف طرق كتابتها . وأول معجم صيني يتبع هذا النظام هو معجم *Hu Fa Yen* الذي كتب بين عامي ٦٠١ و ٥٨١ م.

وكان للصينيين دراسات صوتية ، لكن يبدو أنهم مدینون في التوصل إلى المنهود الذين نقلوا علومهم إلى الصين على يد الرهبان البوذيين فمنهم عرف الصينيون كيف يصنفون أصوات الكلام تبعاً لمكان النطق ^(١) .

(١) راجع في كل ما مضى : دائرة المعارف البريطانية مادة *Dictionary* «Arabic Lexicography» مؤلفه *Haywood* والذكر الجرح : المعجم *Robins* «General Linguistics» مؤلفه العربى صفحه ١٢ ، ١٣ ، و ٣٧٣ .

وهناك معجم صيني ضخم ظهر في القرن السادس الميلادى في اثنى عشر مجلداً واسميه *Yu Pien* واسم مؤلفه *Ku Ye Wang* .

وَمُؤْمِنٍ بِالْكِتَابِ وَالْمُرْسَلِينَ هُوَ الْمُبْرَكُ وَهُوَ
الْمُحْمَدُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ
الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ
الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ

وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ
الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ
الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ
الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ

وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ
الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ
الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ

وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ الْمُنْذِرُ وَهُوَ

الباب الثاني

الدراسات اللغوية عند العرب

الفصل الأول

مرحلة النشأة

لم يؤثر عن العرب أى نوع من الدراسات اللغوية قبل الاسلام ، ولهذا فهم متأخرون زمنياً عن كثير من الأمم التي سبق أن تحدثنا عن جهودها ، والتي عرف لبعضها دراسات لغوية راسخة قبل الاسلام بقرنون .

ولم يكن البحث اللغوي عند العرب من الدراسات المبكرة التي خفوا لها سرعاً ، لأنهم وجهاً اهتمامهم أولاً إلى العلوم الشرعية والاسلامية وحين فرغوا منها أو كادوا اتجهوا إلى العلوم الأخرى . يقول السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء معبراً عن الفكرة : إنه منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث النبوى ، ويفعلون في الفقه الاسلامي والتفسير القرآنى . وبعد أن تم تدوين هذه العلوم اتجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية ومن بينها اللغة وال نحو^(١) . ويقول الأستاذ أحمد أمين : « أكثر اللغة كتبت في العصر العباسي الأول لا قبله »^(٢) . وحتى ما وجد في القرن الأول من تأملات نحوية أو محاولات لدراسة بعض المشاكل اللغوية كان الحافز اليه اسلامياً ، ولم يقصد لذاته وإنما لاعتباره خادماً للنص القرآنى . ومن ذلك محاولة ابن عباس جمع الكلمات الغريبة في القرآن وشرحها إن صحت نسبة « غريب القرآن » إليه . وكذلك محاولة أبي الأسود الدؤلي لضبط المصحف بالشكل حين استحضر كاتباً وأمره أن يتناول المصحف ، وأن يأخذ صيغاً يخالف لون المداد فيضع نقطة فوق

(١) تاريخ الخلفاء ، ص ١٧٣ .

(٢) ضحى الاسلام ٢٩٨/١ .

الحرف اذا رأه يفتح شفتيه ، وتحت الحرف اذا رأه قد خفض شفتيه ، وبين يدي الحرف اذا رأه يضم شفتيه . أما اذا اتبع الحرف الاخبار غنة فينقط نقطتين فوق بعضهما . أما الحرف المساكن فقد تركه ^(١) . ثم اخترع أهل المدينة بعد ذلك علامة التشديد وهي قوس طرفاه الى أعلى هكذا ـ يوضع فوق الحرف المفتوح وتحت المكسور وعلى شمال المضوم . أما الفتحة فكانت ترسم داخل التسوس والكسرة تحته والضمة في شماله ثم استغنووا عن النقط في حالة استخدام الشدة وأصبحت الفتحة مع الشدة هكذا ـ ومع الكسرة ـ وضمة ـ ^(٢) :

ويبدو أن كثيرا من المحاولات الأولى للدرس اللغوى التى تمت في أماكن مختلفة من العالم كانت مرتبطة بالدين وبالعقيدة . نجد هذا عند الهرود الذين بدأوا بحثهم اللغوى لخدمة نصوصهم المقدسة المسماة بالفيفيا . ومثل هذا نجده عند الصينيين اذ كانت دراسة النصوص الدينية البوذية وغيرها سببا في نشأة المعاجم الصينية ، وكذلك كانت دراسة الشعر الحمسى والدينى في اليونان دافعا للتتأليف اللغوى . وبدأت دراسة اللغة والنحو في العبرية لخدمة الكتاب المقدس ^(٣) .

وعلى أي حال فمن المنطقى أن يكون البحث اللغوى عند العرب قد بدأ في شكل جمع للمادة اللغوية ، أو ما يعرف بمعن اللغة ، وأن يسبق ذلك الدرس النحوى . وقد تم هذا الجمع أولا بطريق المشافهة والحفظ ، ودون منهج معين في ترتيب المادة المجموعة أو تبويبها ، أو على حد تعبير

(١) الفهرست لابن النديم ص ٤٠ ، والخط العربي لسهيلة الجبورى ص ٥٦ - ٥٧ ، وقصة الكتابة لجمعة ص ٥١ - ٥٢ .

(٢) سهيلة الجبورى ص ٥٧ . والخط المتد يمثل الحرف المشدد .

(٣) انظر «Haywood» ص ٣ . ودائرة المعارف اليهودية مادة «Grammar» .

الأستاذ أحمد أمين : « كان المدونون الأولون للغة في هذا العصر يدونون المفردات حيثما اتفق ، وكما يتيسر لهم سمعها • فقد يسمعون كلمة في الفرس ، وأخرى في الغيث ، وثالثة في الرجل القصير ، وهكذا • فكانوا يقيدون ما سمعوا من غير ترتيب »^(١) • وبعد ذلك اتجه أهل اللغة إلى التبويب والتصنيف والتقطيع ورد النظير إلى النظير ، كل بطريقته الخاصة التي رآها • فمنهم من صنف المادة اللغوية بحسب الموضوعات ، مثل النبات والشجر والإبل والخيل والسلال والأنواع ، وأخرجها في شكل رسائل منفصلة • ومنهم من اتجه إلى الشعر الجاهلي أو الاسلامي يدونه ويرويه ويشرح مفرداته الصعيبة • ومنهم من اهتم بتسجيل بعض الظواهر الخلاصة التي لاحظها في بعض القبائل ٠٠٠ وهكذا • وتوجت هذه الجهود بظهور المعاجم اللغوية المنظمة التي كان رائدها الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٥ هـ) ، وذلك بوضعه معجم « العين » كما سنفصل الحديث فيما بعد ٠

أما البحث النحوي فلاشك أنه بدأ متأخراً عن جمع اللغة ، لأنَّه لا يمكن القيام به بدون مادة توضع تحت تصرف النحو ، وبعبارة أخرى لأن تعريف المفهود ما هو إلا فحص لمادة لغوية تم جمعها بالفعل ومحاولة لتصنيفها واستنباط الأسس والنظريات التي تحكمها • وأفضل ما يعبر عن ذلك قول عبد اللطيف البغدادي في شرح الخطب النباتية فيما نقله السيوطي عنه : « اعلم أن المغرى شأنه أن ينقل ما نطق به العرب ولا يتعداه • وأما النحوى ف شأنه أن يتصرف فيما ينقله المغرى ويقيس عليه ، ومثالهما المحدث والفقير ، ف شأن المحدث نقل الحديث برمته ، ثم إن المفقيه يتلقاه ويتصرف فيه ويوسط فيه عله ويفقيس عليه الأشياء والأمثال »^(٢) •

(١) ضحي الاسلام ٣٠٢/١ و ٣٠٣/٢ - ٢٦٤ - ٢٦٣ .

(٢) المزهر ٥٩/١ .

ومع ذلك فنحن نسمع عن إشارات أو أحكام سريعة تمت في وقت مبكر جدا لا يتجاوز النصف الثاني من القرن الأول الهجري كتلك التي قام بها أبو الأسود الدؤلي أو على بن أبي طالب أو غيرهما ٠

وفي رأينا أن النحو العربي قد نشأ فناً قبل أن يكون علمًا ، أي أن هذه الطرق الخاصة بالأداء في اللغة قد الترمت باطراد في تراكيبيها وأساليبيها ومررت عليها السنة العربية ، وتمكنت من طبائعهم قبل أن توضع لها القواعد النحوية ٠ ولهذا فنحن نستبعد تماما ما يقوله ابن فارس من أن علم النحو في اللغة العربية قديم بقدمها ومنزل كتنزيلها ، وأنه كان معروفاً ومدروساً من قديم ، ثم توسيط قواعده وأنت عليها الأيام حتى جاء أبو الأسود الدؤلي فأحيا ما اندثر منه ^(١) : ولا نرى رأيه أن اللغة العربية قد وجدت أول ما وجدت وفيها تلك المظاهر الفنية ، أو أن تكون قد عرفت أول ما عرفت وهي تميزة بضوابط الإعراب المختلفة ٠ وإنما الذي نراه أن اللغة العربية لابد أن تكون قد مررت بمراحل من الاضطراب وعدم الاستقرار ، وأن هذه الضوابط المتبعة في الأداء قد سلكت طريقاً طبيعياً في التكوين ، كما تسلك اللغة نفسها هذا الطريق ، فكانت في أول الأمر بسيطة غير مطردة ولكنها مع الزمن قد ذمت وعمت والتترمت واستقرت في النفوس على وجه يجعلها ملحة أو ما يشبه الملكة ، وجرى أهلها على سنن ثابت أو كالثابت في صوغ الكلمة وضبط حروفها وبناء الجمل والأساليب ^(٢) ٠

وأغلبظن أن كثيراً مما نجده في بطون الكتب القديمة ، وفي ثنايا النصوص من أمثلة نحوية وشواهد أدبية خارجة عن تلك القواعد التي وضعها النحاة ثم التمسوا لها تحريرجاً – إن هو إلا بقايا من اللغة العربية

(١) الصاحبي ص ١٠ ٠

(٢) اللغة والنحو لحسن عون ص ٥٧ ، ١٠٨ وعباس حسن : رأى في بعض الأصول ص ١٢ ٠

فِي مَرَاحِلِهَا الْأُولَى قَبْلَ أَنْ تَنْضَجْ . فَمِنْ ذَلِكَ إِهْمَالُ الْإِعْرَابِ فِي مُثْلِ
قُولِ امْرَىءِ الْقَيْسِ :

الْيَوْمِ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِثْمًا مِنَ اللهِ وَلَا وَاغْلَ

وَقُولُ الرَّاجِزِ :

مَتَىْ أَنَامْ لَا يُؤْرَقْنِي الْكَرَى لِيَلًا وَلَا أَسْمَعْ أَصْوَاتَ الْمَطَى
وَمِنْ ذَلِكَ حَذْفُ النُّونِ مِنَ الْمُثْنَى مِنْ غَيْرِ إِضَافَةِ كَوْلِ الشَّاعِرِ :
هَمَا خَطَّتَا إِيمَانًا إِسَارَ وَمَنَةً وَإِيمَانًا دَمَ وَالْقَتْلُ بِالْحَرَّ أَجْدَرَ

وَالْمُثْلُ الْعَرَبِيُّ الْقَدِيمُ : بِيَضْكَ ثَنَتَا وَبِيَضْكَ مَائَتَا^(١) . وَكَذَلِكَ إِلَزَامُ
الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ الْأَلْفِ مِثْلُهُ : مَكْرَهُ أَخْاَكَ لَا بَطْلَ .

أَمَا كَيْفَ نَشَأَ النَّحْوُ ؟ وَمِنْ أَوْلِ مِنْ أَلْفِ فِيهِ ؟ فَهَذَا سُؤَالُ الْأَنْ
مَا نَظَنَ أَنْ فِي أَيْدِينَا الْإِجَابَةُ عَنْهُمَا أَوِ الرَّدُّ عَلَيْهِمَا بِحَسْمٍ . وَأَغْلَبُ الظَّنِّ
أَنَّهُمَا سَيِّطَلَانُ مَعْلَقَيْنِ حَتَّى نَعْثَرَ عَلَى مَادَةٍ جَدِيدَةٍ تَكْشِفُ عَنْ بَدَائِيَّةِ النَّحْوِ
الْعَرَبِيِّ ، وَتَضَعُ حَدَّاً لِلْإِرْهَاصَاتِ وَالْتَّبَيُّؤَاتِ حَوْلَهَا^(٢) . فَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُ
عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُ نَصْرُ بْنُ عَاصِمٍ^(٣) . وَيُخْتَلِفُ مِنْ قَالُوا
إِنَّ أَبَا الْأَسْوَدَ هُوَ وَاسِعُ النَّحْوِ فِي الْبَاعِثِ لَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ :
إِنَّ عَلَى بْنَ أَبِي طَالِبٍ هُوَ الَّذِي أَوْعَزَ إِلَيْهِ بَوْضَعَ النَّحْوِ ، وَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَمِنْ قَائِلٍ إِنَّهُ زَيْدُ بْنُ أَبِيَهُ ، وَمِنْ قَائِلٍ إِنَّ أَبَا الْأَسْوَدَ
فَزَعَ بِنْفَسِهِ إِلَى وَضْعِ النَّحْوِ حِينَ سَمِعَ قَارئًا يَقْرَأُ : (لَا يَأْكُلُهُ)

(١) رسالة الغفران ص ٢٩١ ، واللغة والنحو ص ٨٦ ، ٩٤ .
وانظر مفتني الليبب ١٦٧/١ ، والمدخل إلى دراسة النحو لعابدين
ص ٣٦ .

(٢) يقول بروكلمان : « يبدو أنَّ أوائل علم اللغة العربية ستبقي دائمًا
محوطة بالغموض والظلم لأنَّه لا يكاد ينتظر أن يكشف النقاب بعد عن
مصادر جديدة تعين على بحثها ومعرفتها ، (١٢٣/٢) . »

(٣) الفهرست ص ٣٩ ، ومدرسة البصرة النحوية ص ٣٢ - ٣٥ .

إلا الخاطئين) أو قارئاً يقرأ : (إن الله بريء من المشركين ورسوله)
بكسر رسول . وقيل السبب إن ابنته قالت له : (ما أحسن السماء)
بضم أحسن تزيد التعجب ، ولكنه فهم الاستفهام فقال لها : نجومها
فقالت له يا أبتي : إنما أخبرك ولم أسألك فقال لها : إذن فقولي :
(ما أحسن السماء) بالنصب ^(١) . وتروى قصته مع ابنته برواية
أخرى إذ يقال إن أباً الأسود دخل عليها في وقعة الحر بالبصرة فقالت
له : يا أبتي ما أشد الحر (تعنى التعجب ولكنه فهم الاستفهام لأنها
رفعت) فقال لها : شهراً ناجر ^(٢) . فقالت له : يا أبتي إنما أخبرتك ولم
أسألك ^(٣) . وهناك رواية أخرى وردت في الفهرست لابن النديم
تقول : « ويقال إن السبب في ذلك أيضاً أنه مر بأبي الأسود سعد
وكان رجلاً فارسياً من أهل زندخان كان قدمن البصرة مع جماعة من أهله
فدفعوا من قدامة بن مظعون وادعوا أنهم أسلموا على يديه ، وأنهم
 بذلك من مواليه . فمر سعد هذا بأبي الأسود وهو يقود فرسه ، فقال :
 مالك يا سعد ، لم لا تركب ؟ قال : إن فرسى ضالع (أراد ظالعاً) فضحك
 به بعض من حضره فقال أبو الأسود : هؤلاء الموالى قد رغبوا في
 الإسلام ، ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة ، فلو عملنا لهم الكلام
 فوضع بباب الفاعل والمفعول ^(٤) . والرواية بصورتها هذه تحمل في
 طياتها بذور الشك فيها ، إذ لا علاقة مطلقاً بين خطأ الرجل (وهو
 نتيجة عادة كلامية خاصة) وبابي الفاعل والمفعول اللذين قيل إن
 أباً الأسود قد وضعهما من أجله .

أما رواية من قال إن زياداً هو الذي حرّك أباً الأسود لوضع النحو
 فتمضي قائلة : إن أباً الأسود رفض أولاً ، ففكّر زياد في حيلة « فبعث

(١) ضحي الإسلام ٢٤٥/١ .

(٢) في اللسان : شهراً ناجر أشد ما يكون من الحر ويزعم قوم أنهما
 حزيران وتموز . وناجر رجب ، وقيل صفر .

(٣) من تاريخ النحو للأفغاني ص ١ .

(٤) ص ٤٠ .

رجالا يقعد له بطريقه ، وأمره أن يقرأ شيئا من القرآن ويقمعه اللحن فقرأ : (إِنَّ اللَّهَ بِرَىءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ - بِالْجَرِ) فامتنع ثم ذلك أبو الأسود وقال : عز وجه الله ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يَبِرُّ مِنْ رَسُولِهِ . ثم رجع من فوره إلى زياد فقال : يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت «^(١) » .

وينقل ابن النديم رواية تدل على أن عليا هو أول من وضع النحو وذلك إذ يقول : « قال محمد بن اسحاق : زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبي الأسود الدؤلي ، وأن أبي الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب »^(٢) . بل أكثر من هذا يروي ابن الأنباري نصاً دفع به على لأبي الأسود جاء فيه : « الكلام كله اسم وفعل وحرف . فالاسم ما أنشأ عن المسمى ، والفعل ما أنشأ به ، والحرف ما أفاد معنى . واعلم أن الأسماء ثلاثة : ظاهر ومضر واسم لا ظاهر ولا مضر »^(٣) . ثم يمضي ابن الأنباري قائلا : ثم وضع أبو الأسود بابي العطف والنعت ، ثم بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصل إلى باب إِنْ وآخواتها ما خلا لكن ، فلما عرضها على علي على أمره بضم لكن إليها ، وكلما وضع بابا من أبواب النحو عرضه عليه^(٤) .

ولكن ابن النديم يعود فيذكر رواية أخرى تثبت هذا الوضع لأبي الأسود ، وذلك في فصل عقده بعنوان : « سبب يدل على أن من وضع النحو كلاما أبو الأسود الدؤلي » ذكر فيه أنه رأى بنفسه أربعة أوراق قديمة كتب عليها : « هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من أبي الأسود الدؤلي رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر . وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي : وتحته : هذا خط النضر بن شمبل »^(٤) :

(١) من تاريخ النحو للأفغاني ، ص ١٠ حاشية رقم ١ .

(٢) الفهرست ص ٣٩ .

(٣) ضحى الاسلام ٢٨٥/٢ .

(٤) الفهرست ص ٤١ - ٤٠ .

وقد تبين من هذا أن السبب الأساسي في وضع النحو — مهما كان واسعه — مافشا من لحن عقب الفتوحات الإسلامية ، وامتداد آفاق اللغة العربية إلى مجالات لم تتح لها من قبل ، وفساد الألسنة حتى بالنسبة للعرب أنفسهم نتيجة اختلاطهم بالأجانب . يقول الزبيدي : « لم تزل العرب تتطرق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجا ، وأقبلوا عليه أرسالا ، واجتمعت الألسنة المترفة واللغات المختلفة ففسدوا في اللغة العربية » ^(١) .

ونلقي من بين الأمثلة التي ذكرها المؤرخون للحن ما يأتي :

١ — تسكين أواخر الكلمات وترك الإعراب خوفاً من اللحن . ومن ذلك ما حكى أن مهدي بن مهلهل كان يقول : « حدثنا هشام بن حسان » بالتسكين على ما نقل الجاحظ ^(٢) .

٢ — الانحراف في نطق بعض الأصوات كنطق الطاء ضادا ، وقد سبق مثاله . وك Phonetic الصاد سينا ، كما يروى أن عمر بن الخطاب مر برجلين يرميان فقال أحدهما للأخر : أسبت (يعنى أصبت) فقل عمر : « سوء اللحن أشد من سوء الرمي » ^(٣) . ومثل ذلك ما يروى عن مولى زياد أنه كان ينطق الحاء هاء كقوله « أهدى لنا همار وحش » (أى همار وحش) ^(٤) .

٣ — الخطأ في قواعد النحو ، كما يروى أن مؤذنا سمع يقول : « أشهد أن محمدا رسول الله » (بنصب رسول) فقال له أعرابي : ويحك ، يفعل ماذا ؟ وما يروى أن أبا عمرو بن العلاء من بالبصرة فإذا

(١) عبد العزيز مطر ص ٢٩ عن طبقات الزبيدي .

(٢) ضحي الإسلام ٢٩٥/١ عن البيان والتبيين .

(٣) من تاريخ النحو ص ١٠ .

(٤) مطر ص ٣٠ .

أعدال مطروحة مكتوب عليها « لأبو فلان » فقال : يا رب يلحنون ويرزقون ؟ وما يرى أن رجلا دخل على زياد فقال له : إن أبينا هلك وإن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا ، فقال له زياد : ما ضيغت من نفسك أكثر مما صاع من مالك ^(١) .

٤ - الخطأ في بنية الكلمة ، كما يقال إن أول لحن سمع بالبادية قولهم (هذه عصاتي) ^(٢) .

ولم ينج الحكم والخلفاء من الموقعة في اللحن ^٠ فمنهم من كان بعد ذلك يكابر ^٠ ومنهم من كان يخجل ويحاول إصلاح نفسه وتقويم لسانه ، فمن النوع الأول ما يرى أن بعض الأمراء بالبصرة كان يقرأ : (إن الله وملائكته) — بالرفع — فمضى إليه الأخفش ناصحا فانته ^٠ وقال له : تلحنون أمراءكم ^(٣) .

ومن النوع الثاني الحجاج بن يوسف الثقفي الذي بلغ من حرصه على ترقى اللحن وتقزره منه أن أبعد يحيى بن يعمر الليثي لأنه اطلع على لحن له ^٠ والحكاية كما ترويها كتب اللغة والأدب تتلخص في أن الحجاج سأله يحيى بن يعمر : أتراني لحن على المنبر ؟ فقال يحيى خوفا من سطوة الحجاج وجبروتة — الأمير أفسح الناس إلا أنه لم يكن يرى الشعر فكرر الحجاج سؤاله فقال يحيى : نعم في آى القرآن ،

(١) من تاريخ النحو ص ١٠ . وهناك أمثلة أخرى كثيرة لهذا النوع كما يرى أن عمر بن الخطاب مر على قوم يرمون بالسهام فلم يعجبه رميهم . ولما أبدى هذا قالوا : إننا قوم متعلمين . وروى أن بشر بن مروان قال لغلام له : أدع صالحًا فقال الغلام : يا صالحًا فقال بشر : الغ منها الف . نقل له عمر بن عبد العزيز وكان حاضرا المجلس : وأنت فزد على ذلك الفا .

(٢) مطر ص ٢٩ . ومن أمثلته كذلك أن رجلا قال لأعرابي : كيف أهلك ، بكسر اللام . فقال : صلبا . لأنه أجابه على فهمه ولم يعلم أنه أراد السؤال عن أهله وعياله .

(٣) من تاريخ النحو ص ١٨ .

فقال الحجاج : فذاك أشنع . وما هو ؟ قال : تقول : « قل إن كان آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم أحب إليكم من الله ورسوله » (برفع أحب) وصحتها أحب (بالنصب) . فقال : والله لمن تسمعني لحن بعد ذلك وأبعده إلى خراسان ^(١) . ومن هذا النوع أيضاً - وإن اختلف سلوك كل - عمر بن عبد العزيز الذي لحن لحنه فنبه إليها فحبس نفسه في منزله ومعه من يعلمه العربية . ولم يخرج على الملا إلا وهو أفسح الناس ^(٢) ، ويروى كذلك أن عبد الملك ابن مروان - وإن لم يكن قد عرف عنه اللحن فإنه كان يتتجنبه ويتوقاوه وللهذا حين سُئل : « لماذا عجل الشيب إلى رأسك يا أمير المؤمنين » قال : « شبيحتي مواقف الخطابة وتوقع اللحن » .

ويرى الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس أن جميع الأمثلة التي ذكرها العروضيون للإقواء ليست من قبيل الخطأ الموسيقي ، وإنما من قبيل الخطأ النحوى . وعلى هذا فهو يرى أن حسان بن ثابت كان ينشد :

لا بأس بالقرم من طول ومن قصر جسم البغال وأحلام العصافير
કأنه قصب جفت أسفاله مثقب نفخت فيه الأعاصير

بكسر الأعاصير حفاظا على النغمة الموسيقية وإن كسر بذلك قواعد النحو (وليس بالرفع كما زعم النحاة حفاظا على قواعد النحو ، وإن كان يكسر النغمة الموسيقية) ؛ اذا لا يعقل أن الشاعر الفحل يخطيء في الموسيقى وإن عقل أن يخطيء في النحو . وإذا علمنا أن الإقواء كان شائعا بين الشعراء الجاهليين ^(٣) خرجنا من ذلك بأن اللحن كان شائعا

(١) محاضرات الدكتور إبراهيم أنيس لطلبة الليسانس بكلية دار العلوم (غير مطبوعة) ومن تاريخ النحو ص ١٢ .

(٢) من تاريخ النحو ص ١٤ .

(٣) يروى عن أبي عمرو بن العلاء قوله : فحلان من العرب الشعراء كانوا يقويان النابغة وبشر بن أبي خازم (ديوان النابغة الذبياني ص ٢٩) وفي التصيدة الثانية من ديوان النابغة أقواءان على الأقل (البيتان ٢ ، ١٧) .

حتى بين فصحاء العرب وشعرائهم ^(١) .

ومهما كان الأمر فقد تمت أوليات الدراسة النحوية في مدينة البصرة
وشمل ذلك الفترة التي تمتد من أبي الأسود إلى الخليل بن أحمد
وكانت الكوفة وقتها مشغولة برواية الأشعار والأخبار ^(٢) .

وفي الفترة بين أبي الأسود والخليل نجد أسماء — مجرد أسماء —
وبعض اقتباسات ، ولكن لم تصلنا أي مؤلفات وإن ذكرت التراجم
وجوادها . ومن أشهر نحاة هذه الفترة يحيى بن يعمر ، وعنترة الزيل ،
وميمون الأقرن ، وعيسيى بن عمر الثقفى ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعبد الله
ابن أبي اسحاق الحضرمى .

وليس هناك شيء يذكر بالنسبة للثلاثة الأوائل ، أما الثلاثة الآخر
فقد ذكرت عنهم كتب التراجم ما يأتي :

عيسيى بن عمر الثقفى : كان نحوياً بصرياً كفيما مولعاً بالغريب :
ومما حكى عنه في ذلك أنه سقط ذات يوم في سوق البصرة مغضياً عليه ،
ودار الناس حوله يقولون مصرؤع ؟ فبین قاريءً ومتعدداً من الجن .
فلما أفاق من غشيتها أمر الناس أن ينفضوا من حوله بلغة حشادها بالغريب
من الأناظ وحوشى الكلام ، حتى إن الناس لم يفهموه ، إذ قال لهم :
ما لكم تأكلتم على ؟ تأكلكم على ذى جنة . افرونقاً واعنى . فعلق أحد
الحاضرين بقوله : « إن جنبيه تتكلم الهندية » ^(٣) : ويروى كذلك أنه
أنكر وديعة أودعت عنده فضرب بالبياط ليقر فجعل يقول : « والله إن
كانت إلا أثياباً في أسيفاط قبضها عشاروك » ^(٤) . وقد مات عام ١٤٩ هـ

(١) محاضرات الدكتور إبراهيم أنيس .

(٢) نشأة النحو من ١٦ ، ١٧ .

(٣) وفيات الأعيان ٣/١٥٤ - ١٥٦ .

(٤) نشأة النحو من ٦١ (ط ثانية) . والسطح كالجواف والجمع
أسفاط .

بعد أن ترك كتابين هما «الجامع» و«المكمل». وقد مدحهما الخليل ابن أحمد بقوله :

بِطْلُ النَّحْوِ جَمِيعاً كُلَّهُ غَيْرَ مَا أَحْدَثَ عَيْسَى بْنُ عَمْرٍ

ذَاكِ إِكْمَالٌ وَهَذَا جَامِعٌ فِيمَا لِلنَّاسِ شَهْرٌ وَقَمْرٌ

وَلَكُنْ فَقْدُ الْكَتَابَيْنِ وَلَمْ يَعْثُرْ لَهُمَا عَلَى أَثْرٍ^(١) .

أبو عمرو بن العلاء : أحد الأعلام في القراءة والنحو واللغة وأحد القراء السبعة . قال فيه أبو عبيدة : «أعلم الناس بالقراءات العربية وأ أيام العرب والشعر ، وكانت دفاترها ملء بيته إلى السقف ». وقال فيه يونس : «لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله كله في شيء واحد كان ينبغي لقول أبي عمرو بن العلاء في العربية أن يؤخذ كله ». وقد أخذه هو وعيسي بن عمر في قولهم : «ليس الطيب إلا المسك » فكان أبو عمرو يجيز الرفع وعيسي بن عمر ينكره . وحين تجاجا قال أبو عمرو له : «نم وأدلج الناس ». ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ولا تميمى إلا وهو يرفع ». واحتكموا إلى الأعراب فشهدوا لأبي عمرو بن العلاء . وتوفي أبو عمرو عام ١٥٤ھ^(٢) .

عبد الله بن أبي اسحاق : سئل عنه يونس فقال : «هو والنحو سواء ». ويقال إنه أول من علل النحو وإنه كان شديد التجريد للقياس والعمل به . يقول ابن سلام : «كان أول من بعث النحو ومد القيس والعلل ». ويقول ابن الأباري : «إنه أول من علل النحو ». ولم ينقل عن ابن أبي اسحاق كتاب في النحو ولكنه عنى بالهمز ومهـر فيه حتى كان له فيه كتاب .

(١) الفهرست لابن النديم ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) الأفغاني : من تاريخ النحو ص ٣٦ - ٣٧ ، ونشأة النحو (ط الثانية) ص ٦٢ ، و «يونس» للدكتور حسين نصار ص ٢٢ .

ويروى أن والى البصرة في عهد هشام بن عبد الملك جمع بين أبي عمرو ابن العلاء وابن أبي اسحاق فقال أبو عمرو : « فغلبني ابن أبي اسحاق بالهمز يومئذ » ^(١) وبالرجوع الى فهارس كتاب سيبويه (إعداد هارون) يتبيّن أن نقول سيبويه عن ابن أبي اسحاق تبلغ تسعه فقط ^٠ ولكن جاء جانب من شهرة ابن أبي اسحاق من كثرة تتبعه لزلات الشعراء وتلمسه الأخطاء لهم ^٠ وأشهر من تعرض له الفرزدق ، وله معه قصص كثيرة ^٠ فمن ذلك أنه سأله يوما : كيف تنشد هذا البيت :

وعينان قال الله كونا فكاننا فعولان بالألياب ما تفعل الخمر ^(٢)

فقال الفرزدق : « فعولان » فرد ابن أبي اسحاق : ما كان عليك لو قلت فعولين ؟ فقال الفرزدق : لو شئت أن أسبح لسبحت ، ونهض فلم يعرف أحد مراده ^٠ وتعرض ابن أبي اسحاق للفرزدق في شعر له ، إذ عابه على قوله :

وغض زمان يا بن مروان لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف ^(٣)

وسأله : علام رفعت ؟ فقال الفرزدق : على ما يسوئك وينفؤك علينا أن نقول عليكم أن تتألووا ثم هجاه بقوله :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى موالي

فقال له ابن أبي اسحاق وهذا أيضا خطأ ، كان يجب أن تقول موالي لا موالي ^(٤) .

(١) نشأة النحو (ط ثانية) ص ٥٨ ، والنحو العربي لمازن المبارك من ٤١ ، ٥٣ .

(٢) يخرج البيت على أن « كان » تامة .

(٣) المسحت : المستاصل ، والمجلف : الباقي منه شيء .

(٤) محاضرات الدكتور أنيس ، ونشأة النحو (ط ثانية) ص ٥٩ - ٦٠ .

ولم تنقل كتب الترجم بمما رد عليه الفرزدق مع أن توجيه البيت قريب ، فمن العرب من يجر مثل هذه الكلمات بالفتح الظاهر لأنها ممنوعة من المصرف وعليه قول الهذلي :

أبيت على معارى فاخرات بهن ملوب كدم العباط

وقراءة (والنجر وليلى عشر) - بفتح ياء ليلي .

وكانت وفاة ابن أبي اسحاق عام ١١٧ هـ .

أما أول عمل نحوى كامل يصل إلينا فهو « الكتاب » لسيويه .
وسنفرد به ببحث خاص فيما بعد . وليس معنى أن « الكتاب » هو أول
عمل وصلنا أنه أول عمل على الإطلاق ، فقد سبق أن تحدثنا عن جمود
نحوية قبل سيويه وبسبق أن ذكرنا أسماء بعض مؤلفات لم تصلنا .

وندع مرحلة النشأة لنتحدث بشيء من التفصيل عن جهود العرب
في مجالات البحث اللغوى المختلفة ، وهو ما سيكون موضوع الفصول
التالية إن شاء الله .

ولما كان البحث اللغوى قد تتنوع وتعددت جوانبه فمن الأوفق أن
نتناول موضوعات كل فرع على حدة وذلك على النحو التالي :

- ١ - الأصوات .
- ٢ - النحو والمصرف .
- ٣ - المعجم .
- ٤ - الدراسة المقارنة .

الفصل الثاني

الأصوات

عرض تاريخي :

يعتبر علماء اللغة المحدثون دراسة الأصوات أول خطوة في أي دراسة لغوية ، لأنها تتناول أصغر وحدات اللغة ، وتعنى بها الصوت ؛ الذي هو المادة الخام للكلام الإنساني ٠

أما اللغويون العرب فلم ينظروا إلى الدراسة الصوتية هذه النظرية ، ولم يعالجوا الأصوات علاجاً مستقلًا وإنما تناولوها دائمًا مختلطة بغيرها من البحوث وذلك على النحو التالي :

١ - بالنسبة للنحو ، خصصوا بعض الأبواب في كتبهم النحوية لهذه الدراسة . بل إنهم لم يقصدوها لذاتها وإنما لغيرها ، حيث اعتبروها تمهدًا أو مدخلاً لدراسة ظاهرة الإدغام ، والحديث عن قواعد الإعلال والإبدال ، وقد عالج سيبويه « الإدغام » في نهاية مؤلفه « الكتاب » ، وعالج الأصوات قبل معالجة الإدغام . وعالج البرد في كتابه « المقتنب » الإدغام في الجزء الأول وقدم له بدراسة للأصوات ومخارجها . كذلك أنهى الزجاجي كتابه « الجمل » بالحديث عن الإدغام ، ومهى لحديثه ببعض الأفكار الصوتية . وأنهى الزمخشري كتابه « المفصل » بالإدغام ، وقدم بين يديه دراسة للأصوات .

٢ - كما تناول أصحاب المعاجم بعض المشكلات الصوتية ، إما في مقدمات معاجمهم ، أو في شنايا المادة اللغوية المجموعة . ويبعد الاهتمام بهذا النوع من الدراسة في المعاجم التي رقت صوتياً واتبعت نظام

التكلبيات « كالعين » للخليل ، أو اتبعت نظام التكلبيات فقط « كالجمهرة »
لابن دريد .

وقد تناولت مقدمة « العين » — التي شغلت مت عشرة صفحات من
المطبوعة — المشكلات الصوتية الآتية :

(أ) ترتيب الحروف ترتيباً صوتياً (١) .

(ب) اعتبار الراء والملام والنون ذات وضع خاص وتسميتها بحروف
الذلاقة لأنها تخرج من ذلك اللسان أى بطرف أسلته . ولا ينطوي طرف
اللسان إلا بالراء والملام والنون فقط . وألحق الخليل بهذه الثلاثة ،
الفاء والباء والميم لأنها شفوية ، وسحب عليها اسم الذلاقة كذلك (٢) .

(ج) تصريحه بأن حروف الذلاقة الستة أسهل من غيرها في النطق ،
ولذا تكثر في أبنية الكلام ، ولا يخلو أى بناء رباعي أو خماسي منها
أو من بعضها (٣) .

(د) الحديث عن مخارج الأصوات تفصيلاً (٤) .

وسوف نتعرض لبعض هذه المباحث بشيء من التفصيل فيما بعد .

أما مقدمة « الجمهرة » فقد تناولت جميع النقاط السابقة مع شيء
من التفصيل في بعضها ، وزادت ما يأتي :

(١) صفحة ٥٣ .

(٢) ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) ص ٥٨ ثم ص ٦٤ و ٦٥ على التوالى .

(٤) نفس المرجع .

(أ) الحديث عن نسج الكلمة العربية والحروف التي تتألف أو لا تتألف بقولها : لم تتألف القاف والكاف في كلمة واحدة إلا بحواجز ، وكذلك حالهما مع الجيم – القاف والكاف جاءت مع الشين – جمعوا بين الشين والجيم – الحروف اذا تقاربت مخارجها كانت تنتقل على اللسان منها اذا تباعدت – الحاء والعين لم تتألف في كلمة واحدة – أصعب الحروف حروف الحلق .

(ب) حديثها عن الأصوات الرخوة والأصوات المطبقة والأصوات الشديدة .

(ج) تعرضها لنسبة تردد الأصوات في اللغة العربية ، وادعوئها أن أكثر الحروف استعمالا في اللغة هي الواو والماء ، وأقلها الظاء ثم الذال ثم الثاء ثم الشين ثم القاف ثم الخاء ثم النون ثم اللام ثم الراء ثم الباء ثم الجيم (١)

٣ – وأسمهم علماء التجويد والقراءات القرآنية بقدر لا يجده في هذا الميدان ، ولسنا نملك لهذا النوع من الدراسة مادة كافية تسمح بتتبع تطوره ووصف المراحل التي قطعها حتى صار علما مستقلا هو « علم التجويد » وكل الذي يعرف عن مراحله الأولى أن أول من استخدم هذه الكلمة في معنى قريب من معناها هو ابن مسعود الصحابي الذي كان ينصح المسلمين بقوله : « جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات » ، والذي يروى البخاري ومسلم في شأنه أنه كان يتقن في تجويد القرآن وترتيله وأن الرسول ﷺ كان يجهش بالبكاء حينما يسمع القرآن بترتيل ابن مسعود . ويبدو أن نشأة علم التجويد جاءت استجابة لدعوة ابن مسعود ، ومحاولة لتنقين قواعد القراءة اقتداء لأثره . وأصبح كل كتاب للتجويد – فيما بعد – يشتمل – إلى جانب قواعد

التلاوة — على فصل في مخارج الحروف وطريقة نطقها وصفاتها كما فعل ابن الجزرى في كتابه «النشر» الذى خص سبع صفحات فيه لهذا البحث وحده . كذلك ترددت في كتب التجويد مصطلحات صوتية مثل الإشمام ، والإشباع ، والاختلاس ، والند ، والتفخيم ، والترقيق ، ونحوها ^(١) .

٤ — وأدلى المؤلفون في إعجاز القرآن وعلوم البلاغة بذلوهم مع الدلاء وزودونا بمعاومات صوتية ذات قيمة . ومعظم ما شغلهم من مباحث الأصوات يتعاقب بتناقض الأصوات وتالفها ، واستقبح هذا بالضرورة حديثا عن مخارج الحروف وهل للقرب أو البعد المخرجى دخل في التناقض أو التالف ونضرب على هذا النوع من الدراسة الأمثلة الآتية :

(١) يقول الرمانى (المقرن الرابع) في رسالته «النكت في إعجاز القرآن» ، بعد أن قسم الكلام إلى متنافر ، ومتلائم في الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا : «والمتلائم في الطبقة العليا القرآن كله . والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف . فكلما كان أعدل ، كان أشد تلاؤما وأما التناقض فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطغر ، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشى المقيد ، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه ، وكلاهما صعب على اللسان . . . ومخارج الحروف مختلفة ذمتها ما هو من أقصى الحقق ، ومنها ما هو من أدنى الفم ، ومنها ما هو في الوسائل بين ذلك» ^(٢) .

— ١١٩ —
١١٩ . وانظر دائرة المعارف الإسلامية — مادة تجويد ، ففيها معلومات عن موضوعات من التجويد وإن لم يكن فيها أى ترتيب تاريخي .

(١) ص ٨٧ — ٧٩ .

(ب) ويقول ابن سنان الخفاجي (القرن الخامس) في كتابه «سر الفصاحة» : «وقد ذهب على بن عيسى^(١) أيضاً إلى أن التناقض أن تقارب الحروف في الخارج أو تبتعد بعدها شديداً ، وحکى ذلك عن الخليل ابن أحمد ويقال إنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر ، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشى المقيد ، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه وكلاهما صعب على اللسان . والمسؤوله من ذلك في الاعتدال ، ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال » . ويعقب ابن سنان الخفاجي على ذلك بقوله :

«والذى أذهب أنا إليه ٠٠ لا أرى التناقض في بعد ما بين مخارج الحروف وإنما هو في القرب . ويدل على صحة ذلك الاعتبار كلمة (ألم) فهي غير متنافرة ، وهى مع ذلك مبنية من حروف متباينة الخارج – لأن الهمزة من أقصى المحلق ، والميم من الشفتين ، واللام متوسطة بينهما وعلى مذهبه كان يجب أن يكون هذا التأليف متنافراً لأنه على غاية ما يمكن من بعد ٠٠ ومتى اعتبرت جميع الأمثلة لم تر للبعد الشديد وجهها في التناقض على ما ذكره . فاما الإدغام والإبدال فشاهدان على أن التناقض في قرب الحروف دون بعدها لأنهما لا يكادان يردا في الكلام إلا فراراً من تقارب الحروف . وهذا الذي يجب عندي اعتماده ، لأن النتائج والتأمل قاضيان بصحته »^(٢) .

(ح) وقد ضمن أبو بكر الباقياني (القرن الرابع) كتابه المشهور «إعجاز القرآن» كثيراً من المباحث الصوتية ، بقصد تحليل آيات القرآن ، وبيان أوجه إعجازها . وأهم ما ذكره في هذا الموضوع يتعلق بفوائح السور وسر اختيار حروف معينة لها . ومن ذلك قوله :

١ - «إن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً

(١) هو الرمانى .

(٢) ملحق بمجموعة «ثلاث رسائل في إعجاز القرآن» ص ١٦٩ .

وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة • وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المجم نصف الجملة وهو أربعة عشر حرفاً ليدل بالذكور على غيره • والمذى تتقسم إليه هذه الحروف ٠٠٠ أقسام • فمن ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهوسنة وأخرى مجهرة • فالمهوسنة منها عشرة وهي الحاء والمهاء والخاء والكاف والشين والثاء والفاء والماء والمصاد والمسين . وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهرة • وقد عرفنا أن نصف الحروف المهوسنة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور ، وكذلك نصف الحروف المجهرة على السواء لا زيادة ولا نقصان » (١) .

٢ - ويذكر الباقلانى كذلك أن نصف حروف الحق (العين والباء والمهمزة والمهاء والخاء والغين) وهو العين والباء والمهاء قد ورد في هذه الفراتج • وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف حلق . كما يذكر أن نصف الحروف الشديدة (المهمزة والقاف والكاف والجيم والماء والدال والطاء والباء) وهو الطاء والقاف والكاف والماء والمهمزة مذكورة في جملة تلك الحروف : وكذلك نصف الحروف المطبقة (الطاء والمصاد والمصاد والطاء) وهو الطاء والمصاد مذكور في الفواتح (٢) .

٣ - ويقول عن البدء بحروف (ألم) : « لأن الألف المبدوء بهما هي أقصاها مطلقاً ، واللام متوسطة ، والميم متطرفة ، لأنها تأخذ في اللغة ، فنبه بذكرها على غيرها من الحروف ، وبين أنه إنما أتاهما بكلام منظوم مما يتعارفون من الحروف التي تتعدد بين هذين الطرفين » (٣) .

٤ - كذلك شارك أصحاب الموسوعات الأدبية في هذا الحقل ، وعلى

(١) ص ٦٦ .

(٢) ص ٦٧ - ٦٨ .

(٣) ص ٦٨ - ٦٩ .

رأسمهم الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » ٠ ونكتفى بضرب بعض الأمثلة من بيان الجاحظ باعتبارها تمثل هذا النوع من البحوث :

(أ) مما تعرض له الجاحظ عيوب النطق سواء كانت ناتجة عن سرعة أو سبب عضوي ، أو لغة ، أو لكتة أجنبية ٠

أما العيب الناتج عن السرعة فقد سماه اللفف ، وعرفه بأن يدخل المتكلم الكلام بعضه في بعض ٠

وأما العيب الناتج عن سبب عضوي مثل سقوط بعض الأسنان فقد مثل له الجاحظ بخطيب اسمه الجمحي أصاب في خطبته ، ولكنه كان نازعاً بعض أسنانه فكان في كلامه صفير يخرج من موضع ثنياه المنسوبة ٠ ونقل الجاحظ في مكان آخر ملاحظة لحمد بن عمرو الرومي عن سقوط جميع الأسنان وهي « قد صحت التجربة ، وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإيانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها ، وخالف أحد شطريها الشطر الآخر » ٠

أما اللثنة فقد عالجها الجاحظ في شيء من الاستفاضة ، وتعرض للحروف التي تدخلها ، وذكر أنها أربعة هي القاف والسين والميم والراء فلشحة القاف تكون بقلبها طاء ، والسين بقلبها ثاء ، والميم بقلبها ياء أو كافا ، والراء بقلبها ياء أو عيناً أو ذالاً أو ظاء ٠

وتعرض الجاحظ كذلك لكتة زايا ، والنبطي الزاي سينا والعين همزة ^(١) ٠

(ب) كذلك تناول الجاحظ نساج الكلمة العربية ، وعدم اجتماع

(١) ٣٤/١ - ٧٤ ، ٥٨ ، ٣٨ - ٧٠ . وانظر كذلك ص ١٥ ٠ وتعرض الجاحظ كذلك لجملة من عيوب النطق مثل التمتمة والحبسة والعقلة والحكلة والتلعثم . (انظر : بعض البحوث اللغوية عند الجاحظ ص ٦١ ، ٦٢) ٠

بعض الحروف مع بعض ، وذلك في قوله : « فاما اقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن الطاء ولا التساف ولا الطاء ولا المعين بتقديم ولا بتأخير ، والزاي لا تقارن الطاء ولا السين ولا الصاد ولا الذال .. وهذا باب كبير ، وقد يكفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التي إليها يجري » (١) .

(ح) وينقل الجاحظ الزعم أن الياء واللام والألف والراء أكثر الحروف ترددًا من غيرها ، وأن الحاجة إليها أشد ، ثم يعقب بقوله : « واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل ، وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فإنك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد » (٢) .

ومنهج الجاحظ في هذه التجربة الصوتية يعد أحدث منهج متبع الآن ، وهوأخذ عينة من المادة اللغوية المدروسة ثم استخلاص النتائج منها والانتهاء بتعميم الحكم .

* * *

وأول من أفرد الباحث الصوتية بمؤلف مستقل ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته ابن جنى المتوفى عام ٣٩٢ هـ في كتابه « سر صناعة الإعراب » (٣) الذيتناول الموضوعات الصوتية الآتية :

- ١ - عدد حروف الماء وترتيبها ووصف مخارجها .
- ٢ - بيان الصفات العامة للأصوات وتقسيمها باعتبارات مختلفة .
- ٣ - ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف .

(١) ٦٩/١ . (٢) ٢٢/١ .

(٣) رجعنا إلى تحقيق مصطفى السقا للجزء الأول . وقد حقق الكتاب كلاماً ونشر مؤخرًا في دمشق بتحقيق الدكتور حسن هندلوي .

٤ - نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة الخارج ^(١) . ويقول ابن جنى في مقدمة كتابه : « وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها ، وانقسام أصنافها ، وأحكام مجدها ومهموسها ، وشديدها ورخوها ، وصحيحة ومعتلها ، ومطبقة ومنفتحها وساكنتها ومتحركتها ٠٠ إلى غير ذلك من أجناسها . وأذكر فرق ما بين الحرف والحركة . وأذكر أيضاً الحروف التي هي فروع مستحسنة والحوروف التي هي فروع مستقبحة ، والحركات التي هي فروع متولدة عن الحركات كتولد الحروف عن الحروف ٠ وأذكر أيضاً ما كان من الحروف في حال سكونه له مخرج فإذا حرك أقلقته الحركة وأزالته عن محله في حال « مكونه » ^(٢) :

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن ابن جنى أن ننبه إلى شيئين اثنين :

(أ) أن ابن جنى كان أول من استعمل مصطلحاً لغويالللدلالة على هذا العلم مازلنا نستعمله حتى الآن وهو « علم الأصوات » ^(٣) .

(ب) أن ابن جنى يعتبر الرائد في هذه الدراسة ، وكان على حق في قوله في كتابه : « وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أسبقه هذا الإشباع » ^(٤) .

وسوف نعرض فيما بعد نتفا من آراء ابن جنى الصوتية ٠

وأخيراً نشير إلى عمل لابن سينا الفيلسوف المشهور يدخل تحت الدراسة الصوتية وهو رسالته « أسباب حدوث الحروف » التي طبعت بالقاهرة عام ١٣٣٢ هـ بتحقيق محب الدين الخطيب ، وفي طهران عام

(١) مقدمة المحققين ص ١٤ ٠

(٢) مقدمة المؤلف ص ٣ ٠ وانظر التفكير الصوتي عند العرب من ٤ ٠

(٣) ص ٦٣ ٠

١٣٣٣ هـ^(١) ، وفي بيروت عام ١٩٦٢ بتحقيق فؤاد حنا ترزي ، وفي دمشق عام ١٩٨٣ والرسالة — بالإضافة إلى مقدمتها — مقسمة إلى الفصول الستة الآتية :

- ١ — الفصل الأول سبب حدوث الصوت .
- ٢ — الفصل الثاني جعل عنوانه « سبب حدوث الحروف » ، وفيه يتحدث عن مخارج الأصوات ومحابيسها .
- ٣ — وخصص ابن سينا الفصل الثالث لتشريح الحنجرة واللسان .
- ٤ — وفي الفصل الرابع يعالج ابن سينا الحروف العربية ويبيّن كيفية صدور كل حرف منها ويصف العمليّة العضوية مع كل حرف وصفاً مفصلاً .
- ٥ — أما الفصل الخامس فقد خصصه ابن سينا للأصوات سمعها في لغات أخرى غير العربية مثل المسين الزائية والزاي السينية والزاي المظائية والفاء الشبيهة بالباء .
- ٦ — وأنهى ابن سينا رسالته بفصل فريد بين فيه كيفية انتساج هذه الأصوات بحركات غير نطقية ، كالشين التي تسمع « عن نشيش الرطوبات » والطاء التي « تحدث عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان »^(٢) .

(١) مقدمة التحقيق لطبعة دمشق . وقد ترجمت إلى الإنجليزية والروسية والألمانية كما أعيد طبعها في طهران عام ١٣٤٩ .

(٢) أصوات اللغة عند ابن سينا للدكتور إبراهيم أنيس في أماكن متعددة ، إلى جانب الرسالة نفسها . وقد ولد ابن سينا عام ٣٧٠ أو ٣٧٣ أو ٣٧٥ هـ في قرية أنشنة قرب بخارى ، وتوفي عام ٤٢٨ هـ في همدان ، بعد أن ترك ما يزيد على مائتين وخمسين مؤلفاً من بينها أربعة مؤلفات في اللغة والنحو .

آراء ابن سينا الصوتية :

(أ) طبيعة الصوت :

تناول ابن سينا طبيعة الصوت في رسالته «أسباب حدوث الحروف»، وفي كتابه «الشفاء» في فصل السمع . وقد انتهى إلى أن العملية الصوتية تتضمن عناصر ثلاثة هي :

١ - وجود جسم في حالة تذبذب .

٢ - وجود وسط تنتقل فيه الذبذبة الصادرة عن الجسم المذبذب .

٣ - وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات .

وهو نفس ما انتهى إليه المحدثون من علماء الأصوات .

وقد عبر ابن سينا عن العنصر الأول باشتراط وجود قرع أو قلع «أما القرع فمثل ما تقع صخرة أو خشبة فيحدث صوت . وأما القلع فمثل ماقلم أحد شقى مشقوق عن الآخر ، كخشبة تنحى عليها لأن تبين أحد شقينها عن الآخر طولاً » . واشترط لإحداث القرع أو القلع صوتاً أن يكون كل منهما بقوة معينة « فإن قرعت جسماً كالصوف بشرع لين جداً لم تحس صوتاً . بل يجب أن يكون للجسم الذي تقرعه مقاومة ما ، وأن يكون للحركة التي للمروع به إلى المروع عنف صادم . وكذلك إذا شققت شيئاً يسيراً وكان الشيء لاصلاًية له لم يكن للقلع صوت أبلة » (١) .

و عبر عن العنصر الثاني ، وهو وجود وسط ناقل للذبذبات بقوله : « أظن أن الصوت سببه القريب تمواج الهواء ودفعه بسرعة وبقوة من أي سبب كان » ، و قوله : « وهذا الشيء الذي فيه هذه الحركات شيء

(١) الشفاء ص ٨٢ ، وأسباب حدوث الحروف . الفصل الأول .

رطب سِيَّال لا محالة ، إما ماء ، وإما هواء . فيكون مع كل قرع وقلع حركة للهواء أو ما يجري مجرأه ، إما قليلاً قليلاً برفق ، وإما دفعة على سبيل تموج أو انجذاب بقوة . فقد وجب أن هاهنا شيئاً لابد أن يكون مرجوداً عند حدوث الصوت ، وهو حركة قوية من الهواء ، أو ما يجري مجرأه » ^(١) .

أما الجسم المستقبل للذبذبات فقد تحدث عنه في كتابيه الشفاء وأسباب حدوث الحروف ، وذلك في قوله في الأول : « فإذا انتهى التموج من الهواء أو الماء إلى الصماخ ، وهناك تجويف فيه هواء راكد يتموج بتموج ما ينتهي إليه ، ووراءه كالجدار مفروش عليه العصب الحاس للصوت – أحس بالصوت » ^(٢) . وفي الثاني : « ثم ذلك الموج يتأنى إلى الهواء الراكد في الصماخ فيموجه فيحسن به العصبة المفروشة في سطحه » ^(٣) .

ومن الملافت للنظر كذلك أن يتبه ابن سينا إلى قابلية الأذن لإدراك الأصوات بمعدلات معينة للتتردد والتوتر لها حد أدنى وحد أعلى ، وأن يتبه إلى أن زيادة شدة الصوت عن مقدار معين تسبب الأذى والإزعاج للسامع ، وذلك في قوله : « القرع الشديد يحدث صوتاً يضر السمع » وقوله : « والتموج الفاعل للصوت قد يحس حتى يؤلم » . بل يصرح ابن سينا بقدرة الأصوات الشديدة على تحطيم الأشياء « فإن صوت الرعد قد يعرض منه أن يدك الجبال ، وربما ضرب حيواناً فأفسده . وكثيراً ما يستظهر على هدم الحصون العالية بأصوات البوقات » ^(٤) .

(١) الشفاء ص ٨٣ ، وأسباب حدوث الحروف – للفصل الأول .

(٢) ص ٨٤ .

(٣) الفصل الأول .

(٤) الشفاء ص ٨٣ ، ٨٤ .

(ب) مخرج الصوت الإنساني وصفاته :

يستخدم ابن سينا للتعبير عن انتاج الصوت لفظ الحبس ومشتقاته . أما كلمة المخرج فيبدو أنه يستخدمها للإشارة إلى مجرى الهواء أو طريقه الذي يكون إما نحو الأنف أو الفم . وقد تردد في كلامه الفاظ المخرج والمخارج والحبس والحبس والمحبوس والمحابس .

ويرى ابن سينا أن الذي يميز الحرف (الصوت) عن الحرف (الصوت) جملة عوامل منها :

١ - اختلاف نقطة التحكم في مجرى الهواء « بسبب اختلاف الأجرام التي يقع عندها وبها الحبس والإطلاق ؛ فإنها ربما كانت ألين ، وربما كانت أصلب ، وربما كانت أبييس ، وربما كانت أرطب .. وقد يكون الحabis أصغر وأعظم ، والمحبوس أكثر وأقل ، والمخرج أضيق وأوسع ، ومستدير الشكل ، ومستعرض الشكل مع دقة ، والحبس أشد وألين ، والضغط بعد الإطلاق أحضر وأسلس .. » (١) .

٢ - اختلاف حال التموج (بعد أن ذكر أن نفس التموج إنما يفعل الصوت) : « وأما حال التموج في نفسه من اتصال أجزائه وتماسها ، أو تشظيها بها فيجعل الحدة والثقل . أما الحدة فيجعلها الأولان ، وأما الثقل فيجعله الثنائيان » (٢) .

ويفسر الدكتور ابراهيم أبييس الحدة والثقل بأحد تفسيرين :

أولهما وأرجحهما أن ابن سينا هنا يشير إلى درجة الصوت pitch لأن طول الموجة مع الصوت الحاد أقل منه مع الصوت الثقيل . فأجزاء الموجة في الصوت الحاد متقاربة متتماسكة ، على حين أن أجزاءها مع الصوت الثقيل متباينة .

(١) أسباب حدوث الحروف - الفصل الثاني .

(٢) السابق - الرواية الأولى من طبعة ايران .

الأمر الثاني أن ابن سينا في هذا النص أراد فعلاً أن يصف لـ *لنا* حدة الصوت وثقله *high and low pitch* ، وجعل حدة الصوت أو ثقله متوقفاً على طبيعة الجسم المفروع . فهو في حالة اتصال أجزاءه وتماسكها ، أي حين تكون ذات كثافة كبيرة كال أجسام الصلبة من معادن ونحوها يكون الصوت عادة حاداً على حين أن الصوت مع الجسم الأقل كثافة كالخشب مثلاً يكون ثقيلاً^(١) .

٣ - اختلاف طريقة التحكم في الهواء عند نقطة الانتاج (الحبس) . وقد ذكر ابن سينا في هذا الخصوص طريقتين هما :

- أ - الحبس التام للصوت .
- ب - الحبس غير التام للصوت .

وقد عبر عن هذين بقوله : « والحروف بعضها - في الحقيقة - مفردة ، وحدوثها عن حبسات تامة للصوت أو للهواء المفاعل للصوت يتبعها اطلاق دفعه . وبعضها مركبة وحدوثها عن حبسات غير تامة لكن مع اطلاقات^(٢) .

وهنا نلاحظ أن ابن سينا يستعمل المصطلحين : مفردة ومركبة في مقابل مصطلحى سيبويه : شديدة ورخوة ، والمصطلحين الحديثين : انفجارية (وقفية) واحتكاكية .

وقد فرق ابن سينا بين الحروف المفردة والحروف المركبة قائلاً : « وهذه المفردة تشترك في أن وجودها وحدوثها في الآن الفاصل بين زمان الحبس وزمان الإطلاق . وذلك لأن زمان الحبس التام لا يمكن أن يحدث فيه صوت حاد عن الهواء وهو مسكن بالحبس ، وزمان الإطلاق ليس يسمع فيه شيء من هذه الحروف لأنها لا تمتد أبطة ، إنما هي مع إزالة

(١) أصوات اللغة عند ابن سينا ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٢) أسباب حدوث الحروف - الفصل الثاني .

الحبس فقط . وأما الحروف الأخرى فإنها تشتراك في أنها تمتد في الزمان الذي يجتمع فيه الحبس مع الإطلاق (١) . وقد قسم ابن سينا الحروف المفردة (الوقفية) إلى نوعين :

أ — مفردة (على الإطلاق) .

ب — مفردة من وجه .

أما المفردة على الإطلاق فهي : الباء والناء والميم والم DAL والطاء والكاف والماف والمهمزة .

وأما المفردة من وجه فهى : الضاد واللام والميم والنون .

وقد أصاب ابن سينا في هذه التفرقة بين النوعين ، واعتباره الحبس في الأصوات الأربع الأخيرة حبسًا جزئياً في مكان يصحبه تسريح في مكان آخر . فالضاد — كما يذكر القدماء — « إن شئت تلقتها من الجانب الأيمن ، وإن شئت من الجانب الأيسر » ، وكلام سيفويه يدل على أنها تكون من الجانبين . واللام — على حد تعبير سيفويه — صوت منحرف جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة .

واليم والنون صوتان شديدان عند سيفويه يجري معهما الصوت ، لأن ذلك الصوت غنة من الأنف ، فإنما تخرجه من أنفك .

وقد اعتبر بعض المؤخرين (ابن جنى والزمخشري وابن الجزرى وغيرهم) النون والميم واللام (مع حروف أخرى) ضمن الحروف المتواضطة ، أو بين الشديدة والرخوة .

وأما الحروف المركبة (الاحتكاكية) فلم يذكرها ابن سينا بالاسم

(١) السابق .

مكتفياً بذكر مقابلاتها المفردة (الموقفية) «ولك أن تعدها عدًا» .
وبعملية إسقاط للحروف المفردة يتبين أن المركبة عنده هي : الشاء -
الباء - الخاء - الذال - الراء - الزاي - السين - الشين -
الصاد - الضاد - العين - الغين - الفاء - الماء .

ويبقى تعليق على صوت الراء . فإذا كان التقسيم الثنائي إلى
شديد ورخو لم يستطع أن يشملها ، فاختصها اللغويون باسم «المكرر»
(وإن اعتبروها نوعاً من الشديد) فإن مصطلح «المركب» عند ابن سينا
يمكن أن يشملها بسهولة ، لأن شرط التركيب في الصوت أن «يمتد في
الزمان الذي يجتمع فيه الحبس مع الإطلاق» ، وهو ما ينطبق على الصوت
المكرر : الراء ، كما ينطبق على الأصوات الاحتراكية .

ج - أصوات العربية :

خص ابن سينا أصوات اللغة العربية بفصل في رسالته ، هو الفصل
الرابع الذي عنونه «في الأسباب الجزئية لحرف حرف من حروف العرب» .
وقد عالج ابن سينا في هذا الفصل الأصوات صوتاً على الترتيب
التالي :

المهمزة - الماء - العين - الحاء - الخاء - الغين - الملف -
الكاف - الجيم - الشين - الضاد - السين - الصاد - الزاي -
المطاء - التاء - الدال - الثاء - الذال - الظاء - اللام -
الراء - الفاء - الباء - اليم - النون - الواو الصامدة - الياء
الصامدة - المسوتات : الألف الصغرى والكبرى - الواو الصغرى
والكبرى - الياء الصغرى والكبرى .

وأول ما يلفت النظر في ترتيب ابن سينا ما يأتي :

١ - تفريقه بين السواكن والعلل ، وتسميته الأولى صوامت
والثانية مسوتات .

- ٢ - تفريقيه بين نوعين من الواو والياء . فنوع أدرجه في الصوامت ، ونوع أدرجه في المصوتات .
- ٣ - تفريقيه بين الحركة القصيرة والحركة الطويلة (الصغرى والكبرى) .
- ٤ - اتباعه الطريقة العربية التي ترتب الأصوات من الداخل إلى الخارج .

ويتميز ترتيب ابن سينا بما يأتي :

- ١ - عدم وضعه الألف بجوار المهمزة بخلاف ما فعل سعديويه وأبن جنى . وإن وضع الألف مع أصوات الحلق من أخطاء اللغويين القدماء ، وإن حاول بعضهم الدفاع عنه .
 - ٢ - تقديم القاف على الكاف مخالفًا في ذلك سعديويه .
 - ٣ - إبعاد الواو والياء إلى ما بعد الانتهاء من الصوامت .
 - ٤ - تأخير أحرف العلة الثلاثة (قصيرها وطويلها) إلى ذيله القائمة .
- فكأن ابن سينا قد راعى البدء بالصوامت ثم أشيه المصوتات ثم المصوتات .
- ٥ - وضع الميم والنون متتاليين رغم اختلاف مخرجهما لاشتراكتهما في صفة الأنفية .
 - ٦ - أما وضع الراء واللام عند ابن سينا ففيه نظر . ولعله تبع فيه ترتيب الخليل بن أحمد في معجمه العين .

أما حديثه عن مخارج الأصوات وصفاتها وكيفيات نطقها فنجد فيه تفصيلاً دقيقاً لا نجد له في كتب اللغويين . وقد أعاده على ذكر الحركات العضوية ، وعلى تحديد العضلات والمفاصل المشتركة في انتاج الصوت

خبرته العملية الواسعة بتركيب جسم الانسان وتشريح اعضائه . ومن امثلة ذلك قوله :

١ - أما الهمزة فإنها تحدث عن حفز قوى من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير ، ومن مقاومة الطرجهالى (١) الحاصر زمانا قليلا لحفز الهواء ، ثم اندفاعه الى الانقلاب بالعضلة الفاتحة وضغط الهواء معها .

٢ - وأما الحاء وإن شاركت العين فإنها تخالف العين في هيئة المخرج وفي المحبس وفي المقوء وفي جهة مخلص الهواء ، فإن المفرجة بين الغضروفين الساغلين تكون أضيق ، والهواء يندفع أميل الى قدام ، ويصدم حافة التقعر الذي كان يصدمه هواء العين عند الخروج . وتتكحح حادة صلبة والمدفع فيها أشد فيكسر الرطوبة ويميلها الى قدام .

٣ - وأما اللاء فتخرج باعتماد من الهواء عند موضع التاء بلا حبس وتحبس عند طرف الأسنان ليصير الخل أضيق فيكون صغير قليل مع القلع .

وكان الثناء سين تلوفيت بحبس فرج مسلك دوائها الصفار .

٤ - وحدوث اللام بحبس من طرف اللسان رطب غير قوى جدا ، ثم قلع الى قدام قليلا ، والاعتماد فيها على الجزء المتأخر من اللسان المعاكس لما فوقه أكثر من الاعتماد على طرف اللسان . وليس الحفز للهواء بقري . ولو كان الحفز والشد قويا خرج حرف كالباء .

٥ - وإن كان طرف اللسان متعرضا للموضع الذي يمسه في اللام من غير مس صادق ، ولا التصاق رطوبة ، ثم عرّض حفاته بالعضلتين المطولتين تعريضا أقوى من تعريض الطرف نفسه ، وحمل عليه الهواء حتى نفذه وأرعده كما يفعل الريح بكل لين متعرض له متعلق

(١) هو الغضروف الثالث من غضاريف الحنجرة في تشريح ابن سينا .

من طرف منه بشيء ثابت حدث منه حرف الراء ، وسمع التكثير الذي فيه للارتفاع قدما .

٦ - وأما الميم فإن الحبس فيها تام وبأجرام من الشفة أيس وأخرج . وليس تسريب الهواء مع القلع إلى خارج الفم كله ، بل يصرف بعضاً بحفر قوى إلى التجويف الذي في آخر المنخر ليدور فيه ويفعل دوياً ، ثم يطلقان معاً .

وقد فطن ابن سينا إلى وجود أثر سمعي يصاحب نطق بعض الأصوات كالزاي والذال والغين .. (وهو ما سماه المغويون بالجهر) وحاول تفسيره من الناحية العضوية . وعلى الرغم من أن تفسيره تعوزه الدقة العلمية فهو أقرب إلى القبول من تفسير اللغويين . يقول سيبويه معرقاً الصوت المجهور بأنه « حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجرى الصوت » ونفس التعريف بالفاظه نجده عند ابن جنی وغيره .

أما ابن سينا فيقول عن صوت الزاي مفرقاً بيشه وبين السين والمصاد : « وأما الزاي فإنها تحدث أيضاً قريباً من الموضع الذي يحدث فيه السين والمصاد . ولكن يكون طرف اللسان فيها أخفض ، وما بعده أرفع وأقرب من سطح الحنك كالمamas بالعرض أجزاء دون أجزاء . ولكنها أقل أخذـاً في الطول مما يأخذـه المقرب من سطح الشجر والحنك في السين . والغرض من ذلك أن يحدث هناك اهتزاز على سطح اللسان وسطح الحنك ليجتمع ذلك الاهتزاز مع الصفير . وأما في سائر الأشياء فهو كالسين . ويکاد للاهتزاز الذي يقع في الزاي أن يكون تكريراً كالتكثير الواقع في الراء » .

ويقول عن صوت العين : « ويكون الاهتزاز في تلك الرطوبة أكثر منها فيما سلف (مع الخاء) » . ويقول عن الذال إنها « تفارق الشاء في الاهتزاز » .

ومعنى هذا أن ابن سينا قد فطن إلى وجود اهتزاز يصاحب نطق الزاي والمذال والغين .. وأن هذا الاهتزاز في تكراره يشبه التكرار الواقع في الراء .. وهذه نقطة تحسب في صالحه .. ولكن الشيء الذي يؤخذ عليه هو عدم اهتدائه إلى العضو المفترض .. إذ جعله ابن سينا سطح اللسان ، أو سطح الحنك أو الرطوبة ، مع أنه في الواقع المرتبط الصوتان في منطقة الحنجرة .. ويبعدوا أن وجود الرترين الصوتين في موضعهما المذكور لم يهدئ إليه القداء ، ولذا لم يرد لهما ذكر في الكتب الطبية والتشريحية العربية .. نعم قد ورد في كتابات ابن سينا وغيره مصطلح « الجسم الشبيه بلسان المزمار » أو « الشيء الذي يسمى لسان المزمار » أو « الجسم المعروف بلسان المزمار » كما ورد في كتابات ابن سينا أن آلة الصوت « الحنجرة والجسم الشبيه بلسان المزمار ، وهي الآلة الأولى الحقيقية ، وسائل الآلات بوعاث ومعينات »^(١) .

وذكر ابن القف أن لسان المزمار « هو الآلة الأولى في الصوت ، ويسمى بهذا الاسم لأنه يشبه لسان المزمار في شكله وفعله ووضعه .. فإنه موضوع في الحنجرة في الموضع الذي يوضع فيه لسان المزمار في المزمار .. وقد جعل له الفعل الذي للسان المزمار في المزمار وهو التلحين »^(٢) ولكن ليس من السهل التسليم بأنهما يريدان بلسان المزمار الفرجة التي بين الأوتار الصوتية كما يرجع الدكتور أنيس^(٣) .. وأغلب المظن أنهما يريدان به ما يقابل المصطلح الأجنبي *epiglottis* وهو مصطلح يطلق على الغضروف المفرد أعلى غضاريف الحنجرة .. الذي يقع في مقدمة الحنجرة وخلف جذر اللسان مباشرة مشكلا جداراً أمامياً منحرفاً لدخل الحنجرة .. ويقوم لسان المزمار بالفصل بين الهواء والغذاء أثناء البلع وذلك باندفاعه إلى أسفل تبعاً لحركة جذر اللسان والعظم

(١) انظر القانون ص ٣٩٤ ، والعمدة في الجراحة ص ١٠٢ .

(٢) العمدة ص ١٠٢ .

(٣) الأصوات اللغوية ص ١٤٤ .

اللامى ليغلق مدخل الحنجرة ^(١) . وما يدل على أن هذا هو المراد بلسان المزمار ، وليس الفرجة التى بين الأوتار الصوتية ما ورد في كتاب « العمدة » من أن جالينوس سماه « طبق الحنجرة » وما ورد فيه من أنه « حال ازدراد الطعام وشرب الشراب ينطبق الجميع ويحيط بالحنجرة من داخل غشاء ملبس عليها جميعها » ^(٢) .

وعلى هذا يكون تفسير الجهر عند ابن سينا تفسيراً مقارباً إذ ربطه بالاهتزاز ، ولكن يظل غير دقيق لعدم اهتدائه للعضو الأساسي في ظاهرة الجهر وهو الوتران الصوتيان .

كذلك تحدث ابن سينا عما سماه سيعويه بالإطباق ، وما يمكن تسميتها كذلك بالتفخيم ، وهو الوصف الذي تتميز به الأصوات : ص - ض - ط - ظ .

وقد أشار سيعويه إلى الإطباق بقوله ^(٣) : « أما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء .. وهذه الحروف الأربع إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك . فإذا وضعت لسانك فالصوت محمص وفيمما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف » وأشار إليه ابن جنى بقوله : « والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له » ^(٤) .

ولكتنا نجد ابن سينا يتميز عليهما بوصفه التفصيلي المعتمد على تحديد ما يلحق الأعضاء المشاركة في النطق من تعديلات . فحين يتحدث عن الصاد يقول : « ويحدث في اللسان كالتعغير حتى يكون لانقلاب الهاء كالدوى » . وحين يتحدث عن الطاء يقول بعد أن حدد مخرجها

(١) دراسة السمع والكلام ص ١٠٩ .

(٢) العمدة ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣) الكتاب ٤/٤٣٦ .

(٤) سر الصناعة ١/٧٠ .

وزبطة بمخرج الناء والدال : « لكن الطاء يحبس في ذلك الموضع بجزء من طرف اللسان أعظم ٠٠ وتقعر وسط اللسان خلف ذلك الحبس ليحدث هناك للهواء دوى عند الإخراج ، ثم يقلع ويكون الحبس بشد قوى » وحين يفرق بين الناء والطاء يقول : « وأما الناء فيكون مثله في كل شيء إلا أن الحبس بطرف اللسان فقط » . فهنا نجد لأول مرة حديثاً عن تcurl اللسان مع الأصوات المفخمة ، وعن اشتراك جزئين من اللسان في عملية نطقها ، وهو ما لم نجده بهذا الوضوح عند اللغويين القدماء ^(١) .

بعض النتائج الصوتية التي توصل إليها العرب :

كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية شهد المحدثون أنها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم ، بل حتى بالنسبة للعصر الحديث ، برغم ما فيه من إمكانات هائلة لم تتح للقدماء ، من آلات وأجهزة للتصوير والتسجيل وتحليل الأصوات وغيرها . ويكفى العرب فخراً في مجال الأصوات أن يشهد لهم عالمان غربيان كبيران هما بروجشتراسر الألماني ، وفيirth الإنجليزي . يقول الأول : « لم يسبق الأوروبيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند ٠٠٠ والعرب » ^(٢) . ويقول الثاني : « إن علم الأصوات قد نما وشب في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية والعربية » .

أما أهم النتائج الصوتية التي توصل إليها العرب فهي باختصار :

١ - وضع العرب أبجدية صوتية للغة العربية رتبت أصواتها بحسب المخارج ابتداءً من أقصاها في الحق حتى الشفتين . وقد وضع

(١) تجد تطابقاً بين ما قاله ابن سينا وما يقوله المحدثون . فالدكتور ابراهيم انيس مثلاً يقول عن الطاء : « في حالة النطق بالظاء يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويقتصر وسطه » (الأصوات اللغوية ص ٤٧ ، ٤٨) .

(٢) التطور النحوي ص ٥ .

الخليل بن أحمد أول أبجديّة من هذا النوع عرفتها اللغة العربية تشتمل على تسعه وعشرين رهزاً ، وسار فيها على النحو التالي :

ع ح خ غ - ق ك - ج ش ض - ص م ز - ط د ت -
ظ ث ذ - ر ل ن - ف ب م - و ا ي ه م ز ة (١) .

ولكن سيبويه في كتابه قد خالف أستاذه مخالفات جرهية ، إذ رتبها على النحو التالي : همزة ا ه ع ح غ خ ك ق ض ج ش ي ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و .

أما ترتيب ابن جنى فقد جاء مِرافقاً - في معظمها - لترتيب سيبويه ، فيما عدا وضعه القاف قبل الكاف ، وتأخيره الضاد إلى ما بعد الياء (٢) .

٢ - تحدث العرب عن أعضاء النطق وسموا كلّا منها مثل الرئة والحنجرة والحلق واللسان والشفتين ، وقسموا الحلق إلى أقصى ووسط وأدنى ، واللسان إلى أصل وأقصى ووسط وظاهر وحافة وطرف (٣) .

وتحدثوا عن مخارج الأصوات بطريقة تفصيلية ، وصنفوا الأصوات بحسب المكان الذي يتم فيه التحكم في الهواء الخارج من الرئتين . وقد حصر الخليل المخارج في ثمانية (٤) ، وبعضهم حدد مخارج الأصوات بطريقة أدق فوصل بالرقم إلى ستة عشر أو سبعة عشر مثل سيبويه وابن دريد وابن جنى وعلماء التجويد (٥) .

وقد شبه ابن جنى مجرى الهواء في الحلق والمغم بالفai قائلاً : « اذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المذوقة ، وراوح بين أنامله اختلت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه . فكذلك

(١) العين للخليل ٥٣/١ .

(٢) سر صناعة الاعراب ٥٠/١ - ٥١ .

(٣) دروس في علم الأصوات العربية لكتانينو ص ١٨ ، ١٩ .

(٤) العين للخليل ٦٥/١ .

(٥) سر صناعة الاعراب ٥٢/١ ، ٥٣ ، وجمهرة ابن دريد ٨/١ .

اذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب اسماعنا هذه الأصوات المختلفة »^(١) :

٣ - توصل العرب الى أن طريقة التحكم في مجرى الهواء هامة في إنتاج الصوت . وقد قسموا الأصوات على أساسها الى شديدة ورخوة ومتوسطة . وفسروا الشديد بأنه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه ، والرخو بأنه الذي يجري فيه الصوت . ووضعوا قائمة بأصوات كل نوع بطريقة يرافقهم عليها في جملتها التحليل الصرتى الحديث^(٢) .

٤ - فصل العرب الأصوات المطبقة عن غيرها ، وهى الأصوات المخمة التى يشتراك مؤخر اللسان فى النطق بها ، وذكروا أنها هي الصاد والمصاد والطاء والظاء^(٣) .

٥ - اهتدى العرب الى وجود رنين معين يصاحب نطق الأصوات المجهورة ، ولذا قسموا الأصوات من حيث وجود هذا الرنين أو عدم وجوده الى مجهرة ومهموسة ، ووضعوا لنا قائمة بكل نوع^(٤) . وقد ذكر أبو الحسن الأخفش أنه سأله سيبويه عن الفرق بين المهموس والمجهور فقال له : « المهموس اذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك ، وأما المجهور فلا يمكنك فيه . ثم كرر سيبويه الثناء بلسانه وأخفى فقال : ألا ترى كيف يمكن ؟ وكسر الطاء والدال وهو من مخرج الثناء فلم يمكن . قال وإنما فرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل الى تبين المجهور إلا أن تدخله الصوت الذى يخرج من الصدر . فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتمن من الصدر ويجرى في الحلق . أما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها . والدليل على ذلك أنك اذا أخفيت همست بهذه الحروف ولا تصل الى ذلك في المجهور »^(٥) .

(١) سر صناعة الاعراب ٩/١ .

(٢) المرجع ١/٦٩ ، ٧٠ ، وجمهرة ابن دريد ١/٨ ، وكانتينو من ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) جمهرة ابن دريد ١/٨ .

(٤) سر صناعة الاعراب ١/٦٨ ، ٦٩ .

(٥) الأصوات اللغوية للدكتور أنيس ، ص ٨٩ نقلًا عن مخطوطة دار الكتب لشرح السيراف لكتاب سيبويه .

ويعلق الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس على عبارة سيفويه بقوله : إنها تتضمن آراء قيمة في الدراسة الصوتية تتفق مع أحدث النظريات الحديثة إلى حد كبير . فسيفويه يرشدنا هنا إلى وسيلة أخرى لتمييز المهموس من المجهور وذلك عن طريق إخفاء الصوت ، وأنه يمكن هذا الإخفاء في المهموسات دون أن تفقد معالمها . أما الإخفاء في المجهورات فيترقب عليه أن الحروف تضيّع صفتها المميزة فلا نسمع الدال دالا حينئذ وإنما نسمع صوتا آخر هو التاء .. وكذلك يحدّثنا سيفويه عما يسميه بصوت الصدر ويراه صفة مميزة للمجهور . ولعل هذا الصوت هو صدى الذبذبات التي تحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة ^(١) .

٦ - قسم العرب الأصوات إلى صحيحة ومعتلة على أساس اتساع المخرج مع العلة دون الصحّيحة . واعتبروا أيضاً إلى السمات الخاصة التي تميّز بعض الأصوات ، مثل اللام التي وصفوها بأنها حرف منحرف ، والراء التي وصفوها بأنها حرف مكرر ^(٢) . كذلك ميزوا في أصوات العلة بين الفتحة والألف من ناحية ، والكسرة والباء والضمّة والواو من ناحية أخرى يقول ابن جنی : « والحرروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الباء ثم الواو . وأوسعها وألينها الألف ، إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مختلف للصوت الذي يجري في الباء والواو . والصوت الذي يجري في الباء مختلف للصوت الذي يجري في الألف والواو . والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاثة الأحوال مختلف الأشكال أما الألف فتجده الحلق والفتح معها منفتحين .. وأما الباء فتجده الأضراس معها سفلًا وعلىا قد اكتفت جنبي اللسان وضغطته .. وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدعى بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس » ^(٣) :

٧ - تحدث العرب عن أطوال أصوات العلة وقسموها إلى قصيرة

(١) الأصوات اللغوية ص ٩٠ .

(٢) سر صناعة الاعراب ٨/١ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٨/١ .

(٣) سر صناعة الاعراب ٩ ، ٨/١ .

وطويلة وأطول . يقول ابن جنى « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهى الألف والمواو والياء . فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاثة ، وهى الكسرة والفتحة والضمة . فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض المواو . وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة المواو الصغيرة . وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة . إلا ترى أن الألف والياء والمواو المواتي هن توأم كواهل قد تجدهن في بعض الأحيان أطول وأتم منهن في بعض ، وذلك قوله : يخاف وينام ويسيء ويطير ويقوم ويسموم . فتجد فيهن امتدادا واستطاله ما ، فإذا أوقعت بعدهن المهمزة أو الحرف الدغمي ازداد طولا وامتدادا وذلك نحو يشاء . وتقول مع الإدغام شابة ودابة » (١) .

ولكن تبقى فكرة ابن جنى في البعضية غامضة حيث « لم يقل لنا ما إذا كان الفرق بين حرف المد والحركة معتبرا بالثلث أو النصف أو بأى كسر آخر » (٢) .

٨ - ومن الدراسات الصوتية التى قدمها العرب حديثهم عن ائتلاف الحروف وكيفية بناء الكلمة العربية . وقد لاحظ الخليل أن اللغات تختلف في ذلك ، وما قد يتلاعما مع أممأ ربما لا يتلاعما مع أممأ أخرى . ولاحظ أيضاً أن الأذن العربية قد تستفيغ أصواتنا معينة لا يستفيغها غيرها ، وأن اللسان العربى قد ينطّق بتركيب خاص لا ينطّق به لسان غيره ، وأن العرب كانوا يأبون تأليفاً خاصاً من الكلمات لا يأبه غيرهم ، مثل إبائهم اجتماع واوين أول الكلمة ، والابتداء بالساكن ، واجتماع حرفين ساكنيين .

كذلك تحدث الخليل وسيبويه عما يسمى بالانسجام الصوتى مثل

(١) المرجع ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) التكثير الصوتى عند العرب ص ١٦ .

إبدال السين صادا في الكلمة مثل *السموقي* ، وإبدال الصاد زايا في بعض اللغات اذا كانت الصاد ساكنة ويعدها صوت مجحور مثل « يصدق » التي ينطقها بعضهم « يزدق » . وعلا هذه الظاهرة بقولهما : « ليكون عمل اللسان من وجه واحد » . ويعنيان بذلك الاقتصاد في المجهد العضلي . وتلك نظرية يقرهما عليها علم اللغة الحديث ، ومن نلدي بها Andre Martinet إذ صرخ بأن التغيرات الصوتية الهامة في اللغة ترجع أساساً إلى الميل إلى استعمال الوسائل الفونيمية في اللغة اقتصادياً ، وبطريقة سهلة بقدر الإمكان .

تعقيب :

ولنا على آراء العرب الصوتية الملاحظات الآتية :

١ — أنشأ إذا تصفحنا الكتب العربية التي عرضت للأصوات وصفاتها وأسمائها ، وجدنا أصحابها مقلدين لا مجددين وتابعين لامتهنين . فهم لم يزيدوا على ما وضعه الخليل وسيبوبيه إلا قليلاً . بل إنك لتتجد العبارة هي العبارة وحتى الفموضع هو الفموضع . وتتبع تعريف « المجحور » بعد سيبوبيه تجده هو تعريف سيبوبيه برغم ما فيه من إبهام وتعقيد . فسيبوبيه يعرفه بأنه « حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت » والتعريف بحروفه في سر صناعة الإعراب لابن جنى وكذا في شرح مفصل الزمخشري ^(١) .

٢ — عدم توحيد المصطلحات بينهم وغموض بعضها . ومن ذلك « الحروف المصنفة » ^(٢) و « الشجرية » و « المتفشية » . ومن ذلك استخدام سيبوبيه مصطلح الإطباق في مقابل مصطلح الخليل : الاستعلاء . واستخدام ابن جنى « المقطع » وابن سينا « المحبس » بمعنى « المخرج » .

(١) الأصوات اللغوية ، ص ١٢٠ .

(٢) الجمهرة ١، ٧/١٣٤ .

٣ — أهمل العلماء العرب دراسة النبر إهتمالاً تاماً ، ولهذا فإننا لا نستطيع أن نتبين مواضع النبر في العصور الإسلامية الأولى .

ولعل سر هذا الإهمال أن النبر ليس فونيما في اللغة العربية .

٤ — أهمل العلماء العرب دراسة المقاطع وأشكالها وأجزائها إهتمالاً تاماً .

٥ — افترض اللغويون العرب وجود حركة قبل أصوات العلة الطويلة من جنسها فزعموا وجود فتحة قبل الألف في « قال » وكسرة قبل الياء في « يرمي » وهذا خطأ ، لأنـه ليس هناك فتحة ولا كسرة ، لأنـ الألف نفسها هي الحركة والياء نفسها هي الحركة ، ولكن كلاً منها حركة طويلة .

٦ — عدم تمثيلهم أصوات العلة القصيرة في الكتابة أول الأمر ، ثم تمثيلهم لها في فترة متأخرة برموز تثبت فوق الم صورت الساكن أو تحته (١) أي مع النظرة إليها باعتبارها أصواتاً ثانوية ، على الرغم من أنها أكثر أهمية من الأصوات الساكنة ، وأكثر وضوحاً في السمع منها ، وهي التي تكون قمم المقاطع في اللغة العربية .

٧ — ذكر سبيويه ومن تبعه الهمزة والألف معاً ، ونسبوهما إلى مخرج واحد هو الحنجرة . والألف باعتبارها حركة ، أو صوت علة طويلاً لا تنسب إلى الحنجرة ، فذكرها في هذا المقام فيه نظر . وقد اختلفت الآراء حوله :

(أ) فمن قائل بأن سبيويه قد أخطأ ، لأن الأبجدية التي ذكرها أبجدية للأصوات الساكنة ، والألف من الحركات فلا مجال لذكرها .

(١) سهيلة جبورى : الخط العربى ، ص ٥٧ ، ٦٠ .

وعلى فرض التجاوز عن ذلك ، فإن الألف كحركة لا تخرج من هذا المخرج ، ومن ثم لا يصح وضعها مع المهمزة أو الهاء . فالالف لا تنسب إلى الحنجرة ، وإنما إلى اللسان وطبيعة وضعه وضعاً معيناً يسمح بخروج الهاء في أثناء النطق حراً طليقاً لا يقف في طريقه عائق .

(ب) ويرى الدكتور أيوب أن وجود ذبذبة في الأوتار الصوتية في أثناء النطق بالألف ربما كان السبب في وضعه الأول مع الهمزة والمهاء . ولكن حركة الأوتار الصوتية مع الهمزة أصلية فنسبت إلى الحنجرة ومع الألف إضافية فلم يكن يصح أن ينسبها إليها . أو أن سببها قد وصف ذلك النوع من الألف المشوب بهمزة (ومن المعرّب من يقلب الألف همزة قلباً كاملاً فيقول دابة في دابة وهكذا) وهي خاصة في بعض اللهجات العربية (١) .

٨ — ذكر سيبويه صوت القاف بين المجهورات . فهل هذا خطأ منه ؟
الحقيقة أن هذا الصوت قد لحقه تطور في النطق الحديث وأنه دان ينطبق
مجهورا في القديم . والصوت الذي وصفه سيبويه قد يكون منطبقا على
نطق القاف جيما قاهرية ، أو غينا . وكلا النطقيين ما يزال موجودا حتى
الآن في أماكن مختلفة من البلاد العربية (٢) .

وقد لحقت صوت القاف تطورات كثيرة في المهجات الــزــارــجــة مما يدل على كثرة تعرضه للتطور والتغير . ومن ذلك نطقه همزة في القاهرة وكثير من المدن العربية (٣) . وقد ثبت أن نطق القاف همزة ليس نطقاً حــيــثــا وإنما له أصول قديمة . وقد ذكر أنولتمان في بحث له بعنوان « بقايا

(١) انظر بحث : الدراسات اللغوية عند العرب للدكتور أيوب - محاضرات عام ٦٧ - ٦٨ من ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) راجع : علم اللغة العام - الأصوات للدكتور بشر ، ص ١٣٨ . وما بعدها .

(٣) راجع : كاتينو ، دروس في علم الأصوات من ١٠٨ وما بعدها وصل ١٠٩ بخاصة .

اللهجات العربية في الأدب العربي » (١) أن هذا التغير موجود في أسماء الأعلام الفينيقية . وقد ذكرت كتب اللغة : تصرواً بمعنى تصوق (أي توسيخ) وأفز بمعنى قفز واستثنأ بمعنى استنشق .

٩ - عد القدماء صوت الهمزة من الأصوات المجهورة . وهذا لا يتفق بحال مع حقيقة وضع الأوتار الصوتية حال النطق بهذا الصوت ، إذ الأوتار الصوتية حينئذ تغلق أولاً إغلاقاً ناماً لفترة قصيرة ثم تنفتح فجأة وبسرعة فيخرج الهواء محدثاً انفجاراً . وربما نطق العلماء العرب الهمزة متلوة بحركة فظنواها مجهورة ، مع أن المجهر مبتهج بالحركة لا الهمزة .

١٠ - هناك فرق بين وصف المضاد عند سيبويه وبين المضاد الحديثة . وليس هذا نتيجة خطأ من سيبويه في الوصف ، وإنما نتيجة التطور الذي لحق هذا الصوت (٢) .

(١) مجلة كلية الآداب ، مايو سنة ١٩٤٨ .

(٢) انظر في تفصيل ذلك : مناهج البحث في اللغة ص ٩٢ والآصوات اللغوية للدكتور أنيس ص ٤٩ - ٥٠ والآصوات للدكتور بشر ، ص ١٣٢ وما بعدها .

الفصل الثالث

النحو والصرف

عرض تاريخي :

سبق أن تناولنا نشأة النحو العربي بشيء من الإيجاز والتركيز ، وهدفنا الآن أن نتناول — في إيجاز كذلك — تاريخ الدرس النحوي منذ سيبويه^(١) وننتبعه حتى وصوله إلى مرحلة الكمال والأخذ ، وتبلور أفكاره في اتجاهات ومذاهب معينة .

يعد سيبويه^(٢) إمام النحاة بلا منازع . وقد جمع في مؤلفه المعروف « بالكتاب » مباحث النحو والصرف ، وجعل لكل مكاناً منه لا يشركه الآخر فيه أو يكاد . وببدأ بال نحو وشى بالصرف ، صناع من يراهما علمين^(٣) . ومن يراجع موضوعات الجزء الأول من « الكتاب » يجدها خاصة بال نحو ، فقد تناول فيه الكلمة ، والنكرة والمعرفة ، والأفعال اللازمة والمتعددة ، وأسماء الأفعال ، إلى جانب الفاعل والمبتدأ والخبر ، وأيضاً المتصوبات كالمصادر النصوبية ، والحال والفعل ذيه ، وإن وأخراتها والنداء ، والاستثناء ، وغيرها . أما الجزء الثاني فجميعب أبوابه صرفية إذا استثنينا باب المنوع من الصرف الذي افتتح به الجزء . ومن موضوعاته النسب ، والتضيير ، ونوننا التوكيد ، وجمع التكثير ، وأوزان

(١) راجع في ترجمته مقدمة « الكتاب » بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، و « سيبويه إمام النحاة » للأستاذ على النجدي ناصف .

(٢) برغم شهرة سيبويه لم يذكر أحد تاريخ ولادته ولا وفاته بالتحديد . وإنما يمكن أن يقال أنه ولد في النصف الأول من القرن الثاني وتوفي عام ١٨٠ أو ١٨٨ ولم يتجاوز الأربعين .

(٣) على النجدي ، ص ١٧٠ .

المصادر ، وصيغ الأفعال ، ومعانى الزوائد ، واسم الآلة ، وأسماء الأماكن ، و فعل التعجب ، والإملأة ، والوقف ، والإعلال ، والإدغام .

وقد كان من سوء حظ النحو العربي أن جاء سيبويه في وقت مبكر جدا لا يتجاوز النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، إذ نتج عن تفوقه وشدة إعجاب النحاة به أن أصبح التفكير التحوى بشلل ، ودار الجميع في فلك سيبويه ، واتخذوه أساسا لدراستهم ، ولذا لم يطروا هذه الدراسة بالقدر الكاف ، وتحولت كثير من الدراسات النحوية إلى مجرد شروح له أو اختصارات أو تعليلات عليه ، أو جمع لشواده وشرحها .. أو .. أو .. ويكتفى دليلا على ما كان لعمل سيبويه من سحر وإغراء إطلاقهم عليه اسم « قرآن النحو »^(١) ، وقول المازفي في تمجيده : « من أراد أن يعمل كتابا في النحو بعد كتاب سيبويه فليس تحلى » وقول السيرافي : « وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله ، ولم يلحق به من بعده » . وكان المبرد يقول إن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه : « هل ركب البحر » تعظيمًا واستصعبا له^(٢) ولستنا نريد أن نخبر صفحات في سرد أسماء الكتب والأبحاث التي دارت حول كتاب سيبويه^(٣) وإنما نخص بالذكر كتابا فريدا من بين هذه الكتب وهو كتاب ألفه المبرد ، واختار له عنوانا هو « الرد على سيبويه »^(٤) ، وذلك لطراحته وغرابة موضوعه .

(١) مراتب النحويين ، ص ٦٥ .

(٢) بغية الوعاة ، ترجمة عمرو بن عثمان ، ومقدمة عبد السلام هارون لكتاب ، ص ٢١ ، ٢٣ .

(٣) تفصيل ذلك في مقدمة عبد السلام هارون لكتاب عناوين : فمن شرحه (ص ٣٦) ، ومن شرح مشكلاته ونكته وأبنيته (ص ٣٨) — ومن شرح شواده (ص ٣٩) ، ومن اختصره أو أختصر شروحه (ص ٤١) ، ومن ألف في الاعتراض عليه أو رد تلك الاعتراضات (ص ٤١) .

(٤) ذكر ابن جنى أن المبرد سماه « مسائل الغلط » .

حضر المبرد كتابه هذا للهجوم على سيبويه والاعتراض عليه .
وبرغم أن الكتاب لم يصلنا نصه ، فقد وصلتنا اقتباسات كثيرة منه في
كتب متأخرة تكفي لتكوين فكرة عنه . وقد كان مثار دهشة وعجب أن
يأتي أقسى هجوم على سيبويه من المبرد رأس المدرسة البصرية في
عهده ، وأن يتعرض المبرد لسيبويه بالنقد والتخطئة ، وأن يتعقب زلاته
ويفل فيها كتاباً كاملاً ، ومن أجل هذا حاول بعضهم أن يبرئ المبرد
من تهمة التعرض لسيبويه وادعوا بطلان نسبة هذا الكتاب إليه . ومهما
من ادعى أن ما اعتراض به المبرد على سيبويه حدث أيام الشباب وأنه
عاد فرجع عنه .

وأفضل مرجع حوى اقتباسات من عمل المبرد هو « الانتصار
لسيبويه من المبرد » الذي ألفه ابن ولاد المصري المتوفى سنة ٣٣٢ هـ
ومنه نعلم أن كتاب المبرد يحرى ١٣٤ مسألة ، وأن الخلاف بين سيبويه
والمبرد كان عميقاً ويعود إلى اختلاف المنهج والخط الفكري في كثير من
الأحيان . ومن ذلك منف سيبويه أن يقال « السقى لك » ، و « الرعى
للك » بدلاً من سقى لك ورعياً لك لأن العرب لم تتكلم بهاتين العبارتين
مع الألف والملام . وقد أجازهما المبرد لأنها لا فرق عنده – في القياس –
بينهما بالألف والملام وبين « الحمد لله » و « العجب لزيد » ^(١) .

ونعود إلى « الكتاب » فنقول إنه برغم نسبته إلى سيبويه ففضل
الخليل فيه لا يجحد ، حتى قيل إن الأوفق أن ينسب الكتاب إلى الخليل
وحده أو إلىهما معاً . يقول أبو الطيب اللغوي : « عقد سيبويه كتابه
بلغه ولفظ الخليل ^(٢) » ويقول ثعلب : « اجتمع على صنعة الكتاب اثنان
وأربعون إنساناً منهم سيبويه ، والأصول والسائل للخليل » ^(٣) .

(١) هناك عرض واف لكتاب ابن ولاد مع التعرض لمسائل الخلاف في
مجلة كلية المعلمين الجامعة الليبية ، العدد الأول ، صفحات ١٧٧ – ١٩٠ .

(٢) المدارس النحوية لشوقى ضيف ، ص ٣٤ .

(٣) مقدمة الكتاب لهارون ، ص ٢٤ .

وقد طبع كتاب سبيويه — حتى الآن — في فرنسا والمهند ومصر وترجم إلى الألمانية ترجمة كاملة • وقام المحقق الكبير الأستاذ عبد السلام هارون بتحقيقه ونشره نشرة علمية دقيقة ظهرت في خمسة أجزاء •

وفي نفس الفترة التي كان الخالى وسيبويه ينشران علمهما فيها بالبصرة وجد عالمان بالكوفة اشتغلان بال نحو وإن لم يبلغا في الشهرة مبلغ الخليل وسيبويه • هذان العمالان هما أبو جعفر الرؤاسى ، ومعاذ الهراء • أما أولهما فقد صنف كتاباً اسمه « الفيصل » يقال إن الخليل قد اطلع عليه ، واستفاد منه • وأما الآخر فقد غالب عليه الاشتغال بالأبنية حتى قيل إنه واضح علم الصرف • ويصدر الدكتور شوقى ضيف على هذين الرجلين حكماً قامياً فيقول : « وكان علم معاذ بالصرف مثل علم الرؤاسى في النحو كان كلما محدوداً لا غناء فيه ولا شيء يميزه من علم البصرة » (١) .

وبعد ذلك سار نحاة البصرة والكرفة جنباً إلى جنب وتأفساً في البحث والإنتاج ، وتابع من كلا البلدين نحاة أعلام ليس من السهل تفضيل أيهما على الآخر • فمن نحاة البصرة نجد الأخفش سعيد بن مساعدة ، وقطرب والمازنى والمبرد • ومن نحاة الكوفة نجد الكسائى ، والفراء ، وشعلب وابن السكىت • وهؤلاء جميعاً عاشوا وماتوا قبل نهاية القرن الثالث الهجرى • وأهم ما يميز هذه الفترة ارتقاء البحث النحوى ونضجه بدرجة لم تسمح بجديد بعدها • كما يميزها ظهور الكتب الكاملة التي تعالج النحو ببابا بابا • ونضرب لذلك المثل بكتاب « المقتضب » للمبرد ، وهو برغم اسمه كتاب ضخم طبع في أربعة مجلدات بتحقيق الأستاذ الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة • ويعزى لها أيضاً اتجاه البحث إلى التقى ، والاستقراء للمأثور عن العرب وإعمال الفكر ، واستخراج القواعد • وقد أذكى من روح النشاط التناسى البلدى الذى نشأ بين

(١) راجع : شوقى ضيف ، المدارس النحوية ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، والأنفانى : من تاريخ النحو ، ص ٤١ ، ٤٢ ، ونشأة النحو ، ص ٩٧ .

البصرة والكوفة ومحاولة كل فريق أن يظهر على الآخر . كما يميزها انتقال الصرف عن النحو على يد ابن عثمان المازني الذي ألف « التصريف »^(١) . وقد طبع هذا الكتاب بشرح ابن جنى عليه باسم المنصف في ثلاثة أجزاء .

وبعد القرن الثالث نافست أقطار ومدن أخرى البصرة والكوفة في الدراسة النحوية وكان أشهرها بغداد ومصر والمغرب والأندلس . وظهر نهاد أعلام في كل بلد من هذه البلاد تجد تفصيلاً عنهم في كتب التراث المختلفة^(٢) .

وأهم ما يميز هذه المرحلة أنها كانت مرحلة خفت فيها حدة التناقض والتعصب ، وظهر جيل من العلماء لم يتحيز لعالم دون آخر . وأول من فعل ذلك البغداديون . وقد اتجه رجال هذه الفترة إلى عرض المذهبين السابقين وانتقادهما ، واختيار ما ي似 منهما ، بالإضافة إلى زيادات قليلة من القواعد تولدت لهم من اجتهادهم قياساً وسماعاً . ومن أشهر رجال هذه المرحلة – حتى نهاية القرن الرابع – الزجاج وابن السراج والزجاجي والأخفش الصغير وابن ولاد وأبو جعفر النحاس والسيراف وأبو على الفارسي والرماني والزيدي^(٣) .

(١) هذا على فرض أنه لم يصح وضع معاذ الهراء لعلم الصرف .
وانظر نشأة النحو ص ٩٤ .

(٢) على سبيل المثال : طبقات الزيدي ، وانباه القبطى ، وبغية السيوطي ، وضحى الاسلام ، وبروكمان .

(٣) راجع : نشأة النحو في أماكن متفرقة وبخاصة ص ١٥٨ ، ١٥٩ . ولمزيد من التفصيات يستحسن الرجوع إلى كتب التراث المختلفة تحت الأسماء السابقة . ولكتاب الدكتور شوقى ضيف : المدارس النحوية ، وكتاب الدكتور مازن المبارك : النحو العربى ، ولكتاب سعيد الأفغانى : من تاريخ النحو ، ولكتاب محمد الطنطاوى : نشأة النحو ، ولكتاب الدكتور عبد الرحمن السيد : مدرسة البصرة النحوية ، ولكتاب البر حبيب : الحركة اللغوية في الاندلس ، ولكتاب الدكتور مهدى المخزومى : مدرسة الكوفة .

هل وجدت مدارس نحوية عند العرب؟

السؤال الذي يجب طرحه الآن هو : هل يمكن أن نطلق اسم «مدرسة» على أي دراسة نحوية تمت في خلال الفترة موضوع الدراسة؟

ولكي نجيب عن السؤال يجب أولاً أن نوضح النقاط الآتية :

١ - ماذا نفهم من المصطلح «مدرسة نحوية» ؟

٢ - الأسس الذي بني عليه تقسيم الدراسة نحوية العربية إلى مدارس .

٣ - عدد هذه المدارس حتى نهاية القرن الرابع الهجري .

أما بالنسبة للنقطة الأولى فإن هذا المصطلح يعني - في نظرنا - وجود جماعة من النحاة ، يصل بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج في دراسة النحو . ولابد أن يكون هناك الرائد الذي يرسم الخطة ويحدد المنهج ، والتابعون أو المریدون الذين يقتدون خطاه ، ويتبنون منهجه ، ويعملون على تطويره والدفاع عنه . فاستمرار النظرية - أو المنهج - ودوامها عبر السنين شرط أساسى لتكون المدرسة التي لا يمكن أن تستحق هذا الاسم ، أو يعترف بوجودها بمجرد مولد النظرية أو خلقها ، حتى تعيش ويكتب لها البقاء لبعض الوقت بين المریدين .

ومن ناحية أخرى فنحن لا نوافق على اتخاذ المعيار الجغرافي أساساً لتقسيم العلوم الى مدارس فكرية مختلفة . إن وجود جماعة من الدارسين في مكان واحد لا يكفى مطلقاً لتشكيل مدرسة ، أو لأحقية ربطهم جميعاً برباط واحد ، اللهم إلا إذا وجد الخطيط الذى يصل بينهم ، والخطة أو النظرية التى يشتراكون في تطبيقها . وعلى هذا يكون المرشح لأحقيتهم اسم مدرسة ليس وجودهم في مكان واحد وإنما اشتراكهم في خط فكري معين .

وإذا نحن انتقلنا إلى النقطة الثانية وحاولنا أن نتعرف على الأساس لتقسيم الدراسات النحوية إلى مدارس ، وجدنا من الحتم أولًا أن نظهر الحقائق الآتية :

(أ) أن المعيار الجغرافي كان الأساس الوحيد لهذا التقسيم ، وهذا يوضح لماذا حملت كل مدرسة اسم منطقة .

(ب) لا نجد أى إشارة إلى مدرسة أطلق عليها هذا الاسم لالتفاف أتباعها حول رائد معين فحملت اسمه من أجل ذلك على عكس ما نجده الآن ^(١) .

(ج) على الرغم من أن المعيار الجغرافي كان هو الأساس الوحيد المستعمل لتقسيم المدارس العربية فإنه قد عجز تماماً عن إبراز الفروق الحقيقية والاتجاهات الفكرية المختلفة لهذه المدارس ، كما عجز — في نفس الوقت — عن تجميع الخصائص المشتركة ، والاتجاهات الفكرية الموحدة .

ولنأخذ مثلاً على هذا أقدم مدرستين لغويتين ، وهما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ، فماذا نجد ؟ نجد البصريين (أو الكوفيين) مختلفون في المسألة الواحدة ، ونجد في كثير من الأحيان بصريين ينضمون إلى المدرسة الكوفية ، وكوفيين ينضمون إلى المدرسة البصرية ، والأمثلة على ذلك كثيرة نكتفى منها بما يأتي :

١ - في حالة يصرح الأخفش (بصري) بأن رأى الكوفيين صحيح .

٢ - في حالة أخرى نجد للخليل رأياً يخالف رأى سيبويه والأخفش .

(١) مثل Bloomfield School أو Vossler School انظر Fries ص ١٩٦ ،

• Malmberg ص ٦٩

٣ — في حالة أخرى نجد سبيويه والخليل يريان رأياً منافقاً لرأى الأخفش والمازنى والزيادى والبرد (وكلهم بصرىون)

٤ — في حالة أخرى نجد كلاً من سبيويه والبرد والكسائى والفراء يقف منفرداً برأيه الخاص .

٥ — في حالة أخرى نجد البرد يفضل رأياً كوفياً .

٦ — في حالة أخرى نجد الكسائى يفضل رأياً بصرىياً (١) .

٧ — على الرغم من أن البرد وسبىويه ينسبان إلى مدرسة واحدة فنحن نجد أن أقسى هجوم وجه سبيويه كان على يد البرد — كما سبق أن ذكرنا — حتى ألف الأخير كتاباً لنقد سبيويه والهجوم عليه . ومن ناحية أخرى فنحن نجد أن اختلاف المنهج والخط الفكري واضح جداً بين الأساتذتين ويشمل اختلافات جوهرية .

٨ — على الرغم من أن الكسائى والفراء ينتما إلى المدرسة الكوفية فإن خلافهما في مسائل النحو كثير . ونكتفى بال نقاط الأمثلة الآتية :

(أ) يذهب الكسائى إلى أن الفاء والواو وأو تتصبب الفعل بذاتها ، ولكن الفراء يذهب إلى أن المضارع ينصب بعد هذه الأحرف على الخلاف « أى أن المعطوف بها صار مخالفًا للمعطوف عليه في المعنى فخالفه في الإعراب » (٢) .

(ب) يذهب الكسائى إلى جواز العطف على اسم إن بالرفع قبل تمام الخبر ، فيصح عنده أن تقول : « إن زيداً وعمرو قائمان » . ولكن

(١) انظر في تفصيل المسائل السابقة : منهاج السالك لأبي حيان صفحات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٩ مقدمة الحق ، والانتصاف لابن البارى من ٢٧ ، ٤٧ .

(٢) الكافية ٢٤/٢ ، والأشموني ٣٠٠/٣ .

الفراء يفصل ، فيجيئه في حالة خفاء الإعراب ويمنعه فيما عدا ذلك ، فمثلاً ما خفي إعرابه « إنك وزيد قائمان » ، وقد حمل عليه قوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هدوا والصابرون) ^(١) .

(ج) يذهب الكسائي إلى أن أصل « آية » آئية بزنة فاعلة ، فحذفت المهمزة كما حذفت في شاك السلاح ، ومكان هار . ويذهب الفراء إلى أن أصلها « آية » بالتشديد ، وفروا من المتسددة إلى الألف كما فروا إلى الياء في دينار وأصله دنئار ^(٢) .

(د) أجاز الكسائي تقديم المحصر بـ إلا مطلقاً ، وذهب الفراء إلى منع تقديم الفاعل المحصر وأجاز تقديم المفعول المحصر ^(٣) .

(ه) قال الكسائي في « أشياء » : هي جمع شيء كبيت وأبيات ، وزنها أفعال ، ومنعت من الصرف على توهם أنها كحرماء . وقال الفراء أصلها أشيائے جمع شيء وأصله شيء نحو بين وأبيناء ولین وليناء ، ثم حذف من وسط أشيائے همزة لكثرتها فصارت أشياء ^(٤) .

(و) يذهب الكسائي – وهو رأى البصريين – إلى أن « نعم » و « بئس » فعلان ماضيان لا يتصرفان ، ويذهب الفراء – وهو رأى باقي الكوفيين – إلى أنهما اسمان ^(٥) .

٩ – وأخيراً نمثل بمسألة شعبت فيها أوجه النظر ، واحتلت فيها المقابل بال مقابل كما يقول المثل العربي ، وهي تخریج « إياك » وأخواتها :

(١) الانصاف ١١٩/١ ، ومجالس ثعلب ٢١٦/١ ، والرضى على الكافية

٢٣٠/٢ ، ومعاني القرآن ، ورقة ٤٥ .

(٢) رسالة الملائكة ص ١٠١ - ١٠٦ .

(٣) الاشموني ٣٩/٤ .

(٤) معاني القرآن للفراء ورقة ٤٦ ، واعراب القرآن للنحاس ورقة ٥٤ - ٥٥ ، والرضى على الشافية ص ٩ .

(٥) الانصاف ٦٦/١ ، الكافية ٢٩٢/٢ .

(أ) فجمهور الكوفيين ، وهو رأى المفراء ، يذهب إلى أن الكاف والهاء والمياء من إياك وإيابا وإيابا هى الضمائر ، وأن «إيا» عماد لها لتصير بسببها منفصلة . واختاره ابن كيسان من البصريين . قال الرضى : وليس هذا القول بعيد عن الصواب .

(ب) ورأى الخليل أن «إيا» اسم مضر مضارف إلى الكاف بدليل وقوع الظاهر مقام الكاف في قولهم : إذا بلغ الرجل المستين فإيابا وإيابا الشواب . وهو رأى الأخفش والمازنى .

(ج) وقال سيبويه إن الاسم المضر هو «إيا» ، وما يتصل به بعده حرف يدل على أحوال المرجوع إليه من التكلم والخطاب والغيبة ، وهو رأى جمهور البصريين .

(د) وقال قوم من الكوفيين : إياك وإيابا وإيابا أسماء بكمالها ، وليس فيها تركيب .

(هـ) وقال الزجاج ، والسيرافي : «إيا» اسم ظاهر مضارف إلى المضمرات ، لأن «إياك» بمعنى نفسك ^(١) :

هذه الأمثلة — وغيرها كثير جداً من أراد المزيد — تكشف عن فساد المعيار الجغرافي وتظهر فشله ^(٢) .

(١) مدرسة الكوفة ص ٢٢٩ ، الكافية ١٢/٢ ، ورسالة الملائكة ص ٥٧ وهامش صفحتي ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) لا أدل على فشل المنهج الجغرافي في بيان الاتجاهات الفكرية ، وأبراز أوجه الخلاف والشبه بينها من اختلاف الآراء حول نسبة بعض اللغويين إلى مدرسة معينة . وأشار في هذا المجال إلى أبي عبيد الذي وضعه بروكلمان تحت أبناء المدرسة البصرية (١٥٥/٢) ، بينما وضعه الزبيدي وآخرون تحت أتباع المدرسة الكوفية (ابن النديم ص ٧١) .

وحللة أبي عبيد تمثل صعوبة أخرى ، وهي صعوبة نسبة عالم من ذلك العصر إلى بلد معين نظراً لكثره الأسفار — وعدم الاقامة في مكان واحد مدة طويلة . فهو قد ولد في هرآة وتنقل بين البصرة والكوفة وموهوس وسر من رأى وطرسوس وبغداد ومكة .

(معجم الأدباء ١٦/٢٥٤ ، والقططى ١٥/٢ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٠) .

ولكن الى جانب هذه الاختلافات بين أبناء المدرسة الواحدة فنحن نجد بعض الخطوط والاتجاهات المشتركة التي يتميز بها أبناء المدرسة الواحدة وعلى هذا فربما قبلنا — مع شيء من التحفظ — هذه القسمة . والنقد الخطير الذي يمكن أن يوجه الى هذا المعيار هو احتمال الانحراف في تطبيقه . ربما قبلنا تبرير هذا المعيار على أساس أن الفكرة ، أو الاتجاه المعين ، إنما يظهر أول الأمر في مكان ما ، ومن أجل هذا فمن العقول أن ينسب هذا الاتجاه أو هذه النظرية الى مكان اليالاد .

ولتكن الشيء الذي لا نقبله هو الزعم بأن هذه المدرسة المعينة لابد أن تشمل كل المواطنين في هذا المكان — بغض النظر عن اختلافاتهم — وتنسبعد من عادهم ، دون نظر الى آرائهم ومدى اتفاقهم أو اختلافهم . وعلى هذا فنحن نعتقد أن الباب لابد أن يترك مفتوحا على مصراعيه ليضم المتقيين ، ويعزل المخالفين . إن باب المدرسة البصرية — أو الكوفية — يجب أن يظل مفتوحا ليسمح بدخول أي مؤيد أو متفق في الرأي مما كانت جنسيته ، وبخروج المخالف ، حتى ولو كان منتسبا الى المنطقة باليالاد أو الإقامة . وطبقا لهذا ، فإننا نجد المدارس اللغوية الحديثة التي تحمل أسماء أماكن قد اشتغلت على أسماء علماء من بلاد مختلفة . ونحن نشير بوجه خاص الى « مدرسة جنيف » (١) التي أسمها اللغوي السويسري دي سوسيير وشملت لغويين فرنسيين وسويسريين وألمان وإنجليز (٢) .

أما إجابة المسؤال الثالث ، فهي دقيقة وصعبة ، اذا حاولنا تناولها بدقة . إنها تقتضى عملية تتبع كامل للإنتاج النحوى في جميع أنحاء العالم العربى لنقرة تمتد الى أكثر من ثلاثة قرون ، مع الأخذ في الاعتبار ضياع نسبة كبيرة من الإنتاج النحوى لتلك الفترة وعدم وصله لنا ، بالإضافة

(١) بعض الدارسين يسموها كذلك « المدرسة الفرنسية ». (انظر Sommerfelt ص ٢٨٣) .
 (٢) Malmberg صفحات ١٦ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ .

إلى تبعثر الآراء النحوية في كتب التفسير والقراءات والأدب وشروح الدواوين الشعرية وغيرها . ولهذا فنحن سنكتفى في هذا المقام بنظرية خاطفة مركzin على الخلافات بين الدارسين حول الاعتراف أو عدم الاعتراف بأى منها ^(١) .

فيما عدا سعيد الأفغانى الذى رفض المعيار الجغرافى أساساً لتقسيم النحوى وتشكك فى جدواه ^(٢) (يرغم استعماله لفظ مدرسة مع نحاة البصرة ونحاة الكوفة مجازاً لـ هو شائع) ، واقتراح معياراً آخر فإن سائر الدارسين قد قبلوا التقسيم الجغرافى أساساً لتصنيف المدارس النحوية العربية . الفرق الوحيد بينهم هو اختلافهم فى عدد المدارس :

وبغض النظر عن المستشرق G. Weil الذى اعترف بالمدرسة البصرية فقط ، نجد جميع الدارسين يعترفون بوجود مدرستى البصرة والكوفة ، ويعترفون بأسبقيتهم لأى مدارس نحوية أخرى ، ومنهم من يضيف إليهما مدارس أخرى على النحو资料 :

(أ) بعضهم يضيف مدرسة ثالثة في بغداد . ويضم هذا الفريق بروكلمان ومهدى المخزومى .

(١) كان من سوء الحظ إن المحاولات الأولى لتقسيم الدراسة اللغوية إلى مدارس كانت ترمى إلى عمل ترجمات للفويدين ، مع التركيز على الجانب التاريخي من حياتهم . وربما كان المعيار الجغرافى صالحًا مثل هذه الدراسة التاريخية ، ولكن الخطأ الذى ارتكب فيما بعد هو تطبيق هذا المعيار على الدراسة اللغوية البحتة .

(٢) يقول : درج العلماء على أن هناك مذهبًا بصرىًّا وآخر كوفياً . فما معالم كل من المذهبين ؟ هذه الميزات والمعلمات الآتية بعد ليست جامعة مائعة . فليس هناك قاعدة أجمع عليها نحاة البصرة وتوارد على معارضتها نحاة الكوفة ، أو قال بها الآخرون جميعاً وعارضها الأولون جميعاً .

(في أصول النحو ص ١٩٥ - ١٩٦) وانظر بحثه : هل في النحو مذهب أندلسى ؟ ص ٧٦ .

(ب) وبعضهم — مثل طه الرواى ومحمد أسعد طلس — يضيف مدرسة رابعة فى الأندلس •

(ج) أضاف «Howell» مدرستين آخرين فى مصر والمغرب •

(د) وعد الدكتور شوقي ضيف خمس مدارس هى : البصرية والكرفية والبغدادية والأندلسية والمصرية ، ولم يذكر المغربية •

(ه) ويقف الزبيدي منفرداً فى هذا النزاع حيث يقسم اللغويين إلى بصريين وكوفيين ومصريين وأندلسيين ، ولم يذكر البغداديين^(١) •

وإذا كان لنا من ملاحظات على هذه التقسيمات فهى :

١ — أنه مadam المعيار الجغرافى هو الأسماء فى التقسيم فلا بد من الاعتراف بوجود مدرسة فى كل بلد أنتج فكراً نحوياً •

٢ — من الغريب أن يعترف الزبيدي باللغويين المصريين والأندلسيين ولا يذكر البغداديين •

٣ — وأغرب من هذا أن يعترف طه الرواى ومحمد طلس بوجود مدرسة فى الأندلس ولا يعترفان بوجود مدرسة فى مصر ، برغم أسبقية مصر فى هذا الميدان واعتماد النحو الأندلسى فى نشأته وجوده وبنائه على مصر^(٢) • وأخيراً فإننا نؤمن بأن تقسيم العلوم إلى مدارس —

(١) ارجع إلى : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « ثعلب » و « نحو » ، ومراتب النحوين لأبى الطيب ، والفهرست لأبن النديم ، وتاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ، ومدرسة الكوفة للمخزومى ص ٣٩١ ، ونظرة فى النحو لطه الرواى ، وأبو الفتح بن جنى لطلس ، وطبقات النحوين للزبيدي ، والمدارس النحوية لشوقي ضيف ، ومقدمة Howell لكتاب A Grammar of the Classical Arabic

(٢) يرجع الفضل فى النهضة الأندلسية النحوية إلى عودة محمد بن يحيى الرياحى الأندلسى من الشرق بمناهج حديثة (كما يقول الزبيدي) ويكتب جديدة فى القرن الرابع . ولم يكن الرياحى نفسه مؤلفاً وإنما لاقى الإساذة وقرأ عليهم وحمل كتبهم . وبينما لاقاهم بمصر أبو جعفر النحاس وأبو العباس

مهما كان المعيار - ليس خير سبيل . إنه يعطي إحساساً بمحليّة العلوم ، ويخلق جواً من التحيز والتعصب . إنه يظهر اتفاقاً سطحياً بين أتباع المدرسة الواحدة حول مبادئ معينة أو قواعد خاصة ، ولتكنه يخفى من ورائه خلافات جوهريّة .

ومن أجل هذا فنحن نفضل المعيار المبني على أساس النظريات المنفصلة والاتجاهات المستقلة . وعلى هذا يمكننا أن نتكلّم عن نظرية سيبوبيه في الالتزام بما سمع عن العرب وعدم استخدام القياس النظري ، لأنّ العرب يمتنعون عن التكلّم بالشىء وإن كان القياس يوجبه ، ويتكلّمون بالشىء وإن كان القياس يمنعه . وعن نظرية الفراء في النصب على الخلاف أو المخالفة . وعن نظرية ابن فارس في رد الكلمات الكبيرة البنية إلى أصول أقل حجماً . وهكذا .

هذا الاتجاه ربما يكون أكثر دقة في تتبع النظرية أو الاتجاه ، وفي رسم حدود كلّ ومعالله عبر العصور من غير استخدام التعيميات ، أو إصدار الأحكام الكلية التي تفتقر في كثير من الأحيان إلى الدقة ويعوزها الحذر العلمي .

أهم الفروق بين درستى البصرة والковفه :

على الرغم من موقفنا السابق من اتخاذ المعيار الجغرافي أساساً

ابن ولاد ، وكلاهما نحوى متخصص . وقد نقل للأول إلى الأندلس كتابه « صناعة الكتاب » و « الاستيقان » و « الكافى في النحو » و « المقفع في النحو » وللثانى « الانتصار لسيبوبيه » و « المقصور والمدود » و « النقايسن » . ونضيف إلى هذا أنه من بين تلامذة النحاس الإنجانب وعددهم أربعة عشر (على حسب ما امكتنى البحث) نجد ثمانية أندلسين . ومن بين الترجمات الخمسينية الأولى في كتاب ابن الفرضي « تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس » نجد خمسة وخمسين على الأقل قد درسوا في مصر .

(ولمزيد من التفصيلات راجع رسالتى للدكتوراه Arabic Linguistic Studies in Egypt الخاتمة) .

للتقطيع ، وما سبق أن ذكرناه من عدم وجود خط محدد يسير عليه كل من الكوفيين والبصريين ، فقد رأينا أن نسجل هنا أهم ما يميز الدرس النحوي البصري عن الكوفى ، مع اعترافنا بأن هذه الميزات ليست قاطعة أو صارمة ، كما سنكتشف في تعليقنا الآتى بعد ، ويمكن تلخيص هذه الميزات أو الفروق فيما يأتي :

- ١ - ما سبق أن ذكرناه من تشدد البصرة في فصاحة العربي الذى تأخذ عنه اللغة والشعر وتساهم الكوفيين حتى إنهم كانوا يأخذون عن الأعراب الذين قطنوا دواضر العراق ، مما جعل بعض البصريين يفخر على الكوفيين بقوله : « نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز وباعة الكواميغ » ^(١) .
- ٢ - ما سبق أن ذكرناه من توسيع الكوفيين في قبول القراءات القرآنية بالنسبة للبصريين . وذلك ليس نتيجة تقسيمهم لقراءات وحسن تقبلهم لها ، وإنما بسبب ما عرفوا به من توسيع في أصول اللغة وقياس على القليل واعتداد بالمثال الواحد ^(٢) .
- ٣ - أن البصريين لم يكونوا يكتفون في استخلاص القاعدة بالمثال الواحد أو الأمثلة القليلة « وإنما اشتربوا الكثرة والتداول على الأئحة العرب الفصحاء . أما الكوفيون فكانوا يعتدون بالأشعار والأقوال الشاذة ، ولا يسترطون أى نوع من الكثرة في تعقيد قواعدهم . ولهذا يقول السيوطي : « لو سمع الكوفيون بيتا واحدا فيه جواز شىء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبيروا عليه » ، ويقول : « عادة الكوفيين إذا سمعوا لفظا في شعر أو نادر كلام جعلوه بابا أو فصلا » ^(٣) .

(١) راجع بحث « الشواهد النثرية » في الفصل الأول ، الباب الأول من هذا الكتاب .

وشوقى ضيف : المدارس النحوية ص ١٦٠ .

(٢) راجع بحث « القراءات القرآنية » في الباب الأول من هذا الكتاب .

(٣) شوقى ضيف : المدارس النحوية ص ١٦١ ، ١٦٢ ، محاضرات

الدكتور ابراهيم انيس لطلبة الليسانس بدار العلوم ، سنة ١٩٦٤ .

٤ — أن التأويل والتقدير كثُر عند البصريين بطريقه لافتة للنظر ، وذلك تبعاً لرفضهم كثيراً من الأمثلة العربية الصحيحة ، ونتيجة لحاولاتهم المتكررة إخضاع الأمثلة العربية الصحيحة لأقيمتهم النظرية البحث . ويمتدح الدكتور شوقي ضيف صنيع البصريين هذا بقوله : « على أنه ينبغي أن نعرف أن المدرسة البصرية حين تحكّم الشواذ عن قواعدها لم تحذفها ولم تسقطها ، بل أثبتتها ، أو على الأقل أثبتت جمهورها ، نافذة في كثير منها إلى تأويلاًها ، حتى تتحمّل عن قواعدها ما قد يتقدّر إلى بعض الأذهان من أن خلاً يشوبها ، وحتى لا يغمض الوجه الصحيح في النطق على أوساط المتعلمين . إذ قد يظنون الشاذ صحيحاً مستقيماً ، فينطئون به ، ويتركون المطرد في لغة العرب الفصيحة . ومن هنا تتعرّض الألسنة للبلبلة . وقد ينجذب إليها بعض من لم يفقه الفرق بين القاعدة الدائرة على كثرة الأفواه ، يل على كثيرها الأكثر ، والقاعدة التي لم يرد منها إلا شاهد واحد ، مما قد يؤول إلى اضطراب شديداً في الألسنة » (١) .

وسنذكر رأينا في هذا الأصل فيما بعد .

٥ — لما كان الكوفيون أهل شعر ورواية لم يلتقطوا كثيراً إلى قوانين النطق والأقىسة العقلية . أما البصريون فقد عوضوا تخلفهم في مجال الشعر والرواية بأن أطلقوا لعقلهم العنان وبرعوا في استخدام النطق ولجأوا أحياناً إلى النظر المجرد . ويمثل هذا الاتجاه البصري خير تمثيل قول أبي على الفارسي : « لأن أخطيء في خمسين مسألة من باب الرواية خير عندي من أن أخطيء في مسألة واحدة من باب القياس » (٢) .

ولنا على هذه الفروق الملاحظات الآتية :

١ — أن المذهب الكوفي — في نظرنا — أقرب إلى الحق والواقع حين أجاز القياس على المثال الواحد المسموع ، ولم يعتبر القلة والكثرة .

(١) المدارس النحوية ص ١٦٢ .

(٢) المرجع ص ٢٦٤ .

وذلك لأن القبائل العربية تتساوى في صحة القول وسلامة اللغة ، وليس من أمام العقل مسوغ في تفضيل لهجة على لهجة . ومن الشراعد المقررة في فقه اللغة أنه لا يتحقق بلغة قبيلة على أخرى ، ولا يحکم النظير بالخلاف على نظيره . ومن يدرینا أن الظاهرة اللغوية التي روی لها الكوفيون شاهدا واحدا ليس لها شواهد أخرى ؟ أليس من الممكن جداً أن يكون وراء هذا الشاهد الواحد عشرات الشواهد التي لم يهتم العلماء بتسجيلها ، أو التي فقدت ولم تصطخنا ؟ يدل على هذا ما ينسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قوله : « إن الشعر كان علم القوم ولم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام ذُتشاغلت العرب عنه بالجهاد وغزو الفرس والروم ، ولهمت عن الشعر وروايته . فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب في الأمصار راجعوا رواية الشعر ، فلم يئرلوا إلى ديوان مدون ولا كتاب وألغوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بمالوت والقتل ، فحفظوا أثقل ذلك وذهب عنهم كثیر » . ويروى عن أبي عمرو بن العلاء قوله : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقليه . ولو جاءكم وإنما لجاءكم علم وشعر كثیر » ^(١) . ويقول النافع الجرجاني في الوساطة : « أما الأنفاظ التي زعموا أن الشعراء تفردوا بها فإنما مرجودة عن أئمة اللغة وعن ينتهى السند إليهم . وإنما نتكلّم بما تكلّلوا به . وواحدهم كالجمع ، والنفر كالقبيلة ، والقبيلة كالأمة . فإذا ما معنا عن العربي الفصيح الذي يعتمد حجة كلمة اتبعناه فيها وإن لم تبلغنا من غيره » ^(٢) .

فإذا سمع الكوفيون أمثلة معدودة نسب العرب فيها إلى الجمع فقبلوا هذه النسبة ، واتخذوها أساساً ، وقادوا عليها لم يكونوا حادين عن الجادة كما يحاول بعضهم أن يصورهم ، بل يكرزونا على حق . خصوصاً وأن الكثرة العددية للكلمات المفردة المنسوب إليها لا تعارض

(١) اللغة والنحو لعباس حسن ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) المرجع السابق .

القلة العددية للكلمات المجموعة المنسوب إليها ، لأنه من الممكن أن توجد القاعدتان جنباً إلى جنب وتنتعاشاً معاً دون تناقض ، فيقال إن أريد النسب إلى المفرد رد الجمع إلى مفرده ونسب إليه ، وإن أريد النسب إلى الجمع نسب إليه على لفظه . وليس هذا مثلاً من قبيل رفع المفعول أو نصب الفاعل . ولهذا نجد الكوفيين ب رغم سماعهم لمثل خرق الشوب المسamar لم يجوزوا رفع المفعول أو نصب الفاعل ، مما يدل على أن اعتدادهم بالمثال الواحد أو الأمثلة القليلة إنما يرد في مثل النسب إلى الجمع مما يوسع مجال اللغة ولا يخاق فيها الفوضى والاضطراب .

٢ - أن البصريين لم يوضحوا مرادهم بالكثرة ، أهي الكثرة العددية بين أفراد القبيلة الواحدة ؟ أم القبائل جماء ؟ أهي الكثرة النسبية القائمة على الاستقراء التام والعد واستخراج النسبة ؟ فإذا كان الأول فما حدتها ؟ أهي ثلاثة أم خمسة أم عشرة أم ماذا ؟ وإذا كانت الثانية فما نسبة الكثير ؟ وهل يمكن إجراء النسبة في كل ظاهرة لغوية ؟ وهل يدعى البصريون أنهم قاموا باستخراج النسبة في أي قاعدة نحوية استخلصوها ؟^(١) ولا أدل على غموض هذا المصطلح عند البصريين من تخطيط بعضهم في شرحه ، ومن اختلافهم في كثير من الأحكام - بعضهم مع بعضهم - من حيث القياسية أو السمعانية . وما نظن أن تفسير ابن هشام - فيما نقله السيوطي عنه - يمثل اتفاقاً بين النحاة ، وإنما هو مجرد اجتهاد منه لتفسيير مصطلحات غامضة يكثر ترددها بين النحاة ، وتفسيره مع ذلك لا يمكن تطبيقه ، كما لا يمكن أن يدعى أن النحاة - أو أي منهم على الإطلاق - قد قاموا بتطبيقه . يقول ابن هشام : « أعلم أنهم يستعملون غالباً وكثيراً ونادراً وقليلاً ومطروداً . فالمرد لا يتختلف ،

(١) لا أدل على عدم وضوح فكرة القلة والكثرة في أذهان النحاة ان بعضهم حاول تحديدها فقال : « والفرق بين الغالب والكثير أن ما ليس بكثير نادر وكل ما ليس بغالب ليس نادراً بل قد يكون كثيراً » !

والغالب أكثر الأشياء ولكنه يختلف ، والكثير دونه ، والقليل دونه ، والنادر أقل من القليل . فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرين غالباً ، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير لا غالب والثلاثة قليل والواحد نادر »^(١) . والتحكم واضح في تحديدات ابن هشام فضلاً عن عدم مطابقتها لآراء النحاة . وهناك من ساوي بين مصطلحات الأصل والمطرد والكثير والأكثر والغالب ، وساوى بين الشاذ والقليل والأقل والنادر^(٢) والأمر بعد هذا يحتاج إلى تحديد دقيق من هيئة علمية لها مكانتها في ميدان البحث اللغوي كمجمع اللغة العربية في القاهرة أو دمشق . وهو تحديد سينسحب على ما يجد من بحوث استقرائية لادة اللغة المسجلة ، على أيدي لغوين محدثين ، ولا يمكن الزعم بأنه سيشمل إلى جانبهم علماء اللغة القدامى .

٣ - أن البصريين قد خالفوا أصلهم في القياس على الكثير وترك القليل ، وذلك في مسائل متعددة من مسائل النحو . فنراهم تارة يمتنعون عن القياس على الكثير وتارة يقيسون على المثال الواحد . فمن النوع الأول اعتراضهم بأن وقوع المصدر حالاً وصفة كثير ومع ذلك فهم يقتربونه على السماع . ومن ذلك اعتراضهم بأن « فعل » بمعنى مفعول كثير في لسان العرب وقولهم إنه مع كثرته لم يقس عليه بإجماع^(٣) . ومن ذلك منعهم قياسية جمع ما بدأء بهم زائدة من أسماء الفاعلين - جمعه - جمع تكسير مع أننى استطعت أن أجتمع - بجولة سريعة في كتب اللغة - ما يزيد على ثمانين كلمة جمعت هذا الجمع . فهل الثمانون لا تكفي للقياس^(٤) ؟ ومن نفس النوع منعهم جمع « فعل » على أفعال وادعاؤهم أن جمع حمل على أحتمال في القرآن شاذ ، مع أنه قد ورد عن العرب جمع

(١) في أصول اللغة ص ١٢٩ .

(٢) اللغة والنحو لعباس حسن ، ص ٣٩ .

(٣) المرجع نفسه ص ٤٤ .

(٤) راجع كتابي : من تضايا اللغة والنحو ص ١٨١ وما بعدها .

فعل على أفعال أكثر من جمعه على فعل ، فعدد ما ورد على فعل ١٤٢ وعلى فعل ٣٤٠ لفظة طبقاً لإحصاء أورده بعض الباحثين ^(١) . ومن النوع الثاني نسبتهم إلى فعولة على فعلى مع أن ذلك لم يرد عن العرب إلا في مثال واحد هو شنوة وشنيء وأيضاً قول الشاعر :

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الصبع
لم يسمع عن العرب غيره حذفت فيه « كان » وعوض عنها « ما » ،
ومع ذلك جعله البصريون قاعدة يقاس عليها .

٤ - أنه كان من جراء إفراط البصريين في استخدام الأقيمة العقلية وتشددهم في قبول الشاهد النحوي ، أن وجدوا أنفسهم أمام شواهد فصيحة تخالف قياسهم المنطقي أو قاعدةتهم التي استبطوها . وهنا وجدوا أنفسهم مضطرين إما إلى تأويلها وإخراجها عن ظاهرها لتنسجم مع قواعدهم ، وإما إلى رميها بالشذوذ أو الخطأ . وقد أدت تأويلات النحاة إلى إفساد النحو العربي ومثله بمسائل ومشاكل لا تحتاج إليها في تصحيح نطقنا أو تقويم لساننا . وإن أردت الدليل على ذلك فانظر إلى ما قاله كل من البصريين والковيين في نواصب المصارع . ذهب معظم الكوفيين إلى أن النواصب عشرة ، وهي تتصبب المصارع بنفسها وذلك مذهب لا تتواء فيه ولا تعقّد ، ولا يحمل هذه النواصب مالا تتحمله من المعانى ، ولا يوقعنا في تكلفات تشوه النحو وتتغافل النازسين منه . أما البصريين فقد قسموا النواصب إلى قسمين : قسم ينصب بنفسه وهو أن وإن إذن وكى (الأخيرة في بعض حالاتها) وقسم ينصب بأن مضمرة بعده وهو النواصب الستة الباقية . ثم تحدثوا بعد هذا عن « أن » المضمرة جوازاً و « أن » المضمرة وجوباً . واضطربوا تقدير « أن » إلى أن يبحثوا للأدوات الستة عن أعمال أخرى غير النصب ، لأن ما بعدها لابد أن يؤول بمصدر لوجود أن المضمرة ، وهذا

(١) شذا العرف ص ٦٩ ، محاضر جلسات المجمع ٥١/٤ ٥٢ .

المصدر لابد من إعراب يعرب به . وقد وقعوا بذلك في تكفلات لم يقع فيها نحاة الكوفة واخترعوا لنا ما سموه بال مصدر المصيد . وقد حمل البصريين على سلوك هذا المسلك الوعر قاعدتهم المنطقية التي تقول : « إن المروف لا تعمل إلا إذا كانت مختصة » . فمادامت هذه الحروف تدخل على الأسماء والأفعال فلا يصح أن تعمل ، وإذا كانت هذه الحروف لا تعمل في الفعل فلابد من التفتيش عن العامل ، وقد وجده في « أن » المستترة . ولكن هل اللغة منطقية إلى هذا الحد ؟ وانظر أيضاً إلى ما قاله البصريون من عدم جواز أن يلى كان معمول خبرها ، وحين ووجهوا بقول الشاعر :

* بما كان إياهم عطية عودا *

قالوا إن في كان ضمير شأن هو اسمها ، وعطية مبتدأ وعود خبره وإياهم مفعول به لعود ، والجملة من المبتدأ والخبر خبر كان . فلم كل هذا العناء ؟ ولماذا نضع القاعدة مسبقاً ثم نلوى الشواهد النحوية لتضيق لها ؟ وما أثر كل هذا في تصحيح نطقنا أو تقويم لساننا ؟

وأحياناً كان البصريون يريحون أنفسهم فيرون الشاهد بالندرة أو الشذوذ أو الخطأ ، وليس تحنيطات ابن أبي إسحاق للفرزدق علينا ببعيدة . وهذا أيضاً غريب ، ويعجبني في هذا ما يقوله العكبري : « كيف يجعل ما وضعه البصريون للتقريب والتعليم مما لا أصل له ولا ثبات حجة على لسان العرب الفصحاء ؟ » (١) . وقد كان أكرم للبصريين أن يحدوا حذو شيخهم أبي عمرو بن العلاء . فقد سئل ذات يوم : « أخبرنى بما وضعت مما سميتها عربية ، أيدخل فيها كلام العرب كله ؟ فقل لا . فقيل له : كيف تصنع فيما خالفت فيه العرب وهم حجة ؟ فقال أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات » (٢) .

(١) عباس حسن : اللغة والنحو ، ص ٩٢ .

(٢) شوقى ضيف : المدارس النحوية ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

٥ — على الرغم مما في مذهب الكوفيين من بساطة ويسر ، وبعد عن التكليف والتأويل والتقدير — في الغالب — فأخطر ما يعييه أنه ربما يوقع في الفوضى والاضطراب في ظواهر اللغة . لأن شرط كل لغة أن تكون لها ظواهر مطردة منسجمة موحدة . فلو أثنا جوزنا في الظاهرة الواحدة أكثر من وجه ، ولو أثنا سمحنا باستخدام التعبير مجرد وجود مثال واحد ربما كان من بقاليها لهجات قديمة أو لثغة أو ضرورة أو نحوها لما أصبحت اللغة قيوداً وقواعد ، ولصح قول بعضهم : « لا تخرج من الكلام فمهما أخطأت فستجد لك وجهاً في العربية تصح به عبارتك » . وتخيل معى شخصاً يرفع المفعول به ، أو ينصب الفاعل ، أو يلزم المثنى الألف في الرفع والنصب والجر ، أو يلزم جمع المذكر السالم الياء أو الراء ، أو يرفع الجزأين بعد كأن ، أو ينصب الجزأين بعد إن ، أو يصرف الممنوع من الصرف ، أو يمنع المصنوف من الصرف ، أو ينعت المرفوع بمنصوب أو المصنوب بمرفوع . أو . أو . فأى شيء يبقى لقواعد اللغة ؟ وأى شيء تستفيد به — سوى الفوضى والاضطراب — لو تمسكنا بالشواهد القليلة التي جاءت مؤيدة لذلك ؟

وعلى هذا فمن الخير أن نتبع طريق البصريين في وضع القواعد دفعاً للفرضي والاضطراب ، ولكن بدون لجوء إلى تأويل وتقدير ، وبدون تحكيم للمنطق والقياس النظري ، ومع الاقتصار على اللغة النموذجية الأدبية المشتركة . أما في متن الكلمات ، وفي الجموع ، والمصادر ، والمشتقات وأمثالها مما يتعلق بصوغ الألفاظ وبناء هيكلها ومادتها الأصلية وتقسيمهما وتأخيرها وذكرها وحذفها فنتبع طريق الكوفيين ، ونرجع إلى التيس بمعنى العام الذي يبيح لنا محاكاة الكلام العربي الفصيح مما كان قائله ^(١) . وبذلك نوسع أصول اللغة وتنمى مواردها ، ونفتح طرقاً يزداد بها بيان اللغة سعة على سعته . ومن أمثلة ذلك :

(١) عباس حسن : اللغة والنحو ، ص ١١١ ، ١١٢ .

(١) حين تذكر كتب اللغة بعض مشتقات المادة اللغوية وتترك بعضها فالتوسيع في القياس يكمل هذا النقص^(١) .

(ب) أَنْتَ أَذَا وَجَدْتَ الْعَرَبَ يَشْتَقُونَ وَزِنًا مَعِينًا وَيَسْتَعْلُمُونَهُ لِلدلالة
عَلَى شَيْءٍ خَاصٍ أَمْكَنْتَنَا أَنْ نَقِيسَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُذَكَّرْ ٠ فَإِذَا وَجَدْنَاهُمْ
يَصْوِغُونَ فَعَيْلَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مُحْتَرِفِ الْحَرْفَةِ كَنْجَارَ وَحَدَادَ أَمْكَنْتَنَا أَنْ نَقِيسَ
عَلَيْهِمَا أَصْحَابَ الْمَهْنِ الْأُخْرَى فَنَقُولُ بَوَابَ وَفَنَانَ ٠٠٠ وَإِذَا وَجَدْنَاهُمْ
يَسْتَخْدِمُونَ فَعَيْلَ (بَكْسَرُ الْفَاءِ وَتَشْدِيدُ الْعَيْنِ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَلَازِمَةِ
الشَّيْءِ وَالْمَبَالَغَةِ فِيهِ مثْلُ شَرِيبٍ وَزَمِينَتْ وَسَكِيتْ وَصَمِيمَتْ وَخَمِيرٍ وَسَكِيرٍ ٠٠٠
أَمْكَنْتَنَا أَنْ نَقِيسَ عَلَيْهَا مَا شَتَّنَا مِنَ الْأَفْاظِ ٠ وَمثْلُ هَذَا يُقالُ فِي صَيْغَةِ فَعَيْلَ
لِلمَبَالَغَةِ (بَضمِ الْفَاءِ وَتَشْدِيدِ الْعَيْنِ) فَقَدْ وَرَدَ مِنْهَا : عَجَابٌ وَكَبَارٌ وَظَرَافٌ
وَجَمَالٌ وَكَرَامٌ وَحَسَانٌ وَطَيَابٌ ٠ وَيَمْكَنْنَا كَذَلِكَ أَنْ نَقِيسَ صَيْغَةَ فَعَلْمَةِ
(بَضمِ الْفَاءِ وَسَكُونُ الْعَيْنِ) لِلمَبَالَغَةِ فِي الْمَفْعُولِ — وَهِيَ صَيْغَةُ فَرِيَدَةٍ
لَا نَظِيرٌ لَهَا فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَنَّ سَائِرَ صَيْغَاتِ الْمَبَالَغَةِ لِلمَبَالَغَةِ فِي الْفَاعِلِ —
فَقَدْ وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ كَلِمَاتٍ مثْلُ : لَعْنَةً وَسُخْرَةً وَهَزَأَةً وَسَبَّةً وَنَهْبَةً ٠٠٠
وَغَيْرَهَا (٢) ٠

(ج) تصحيح كثير من العبارات والألفاظ التي تشيع على السنّة المتكلمين وأقلام الكتاب في العصر الحديث ، والتي يمكن أن تلتمس لها وجها في العربية تصح به . وهذا باب واسع بدأ مجمع اللغة العربية في مصر في فتحه على مصراعيه كما يتبيّن من يراجع محاضر جلسات المجمع ومجلته ومنشوراته اللغوية مثل « في أصول اللغة » و « مجمع اللغة العربية في خمسين عاما » . ومن أمثلته تصحيح كلمات صحفى ، ودولى ، وتصوّج وإدخال « آل » على « كل » و « بعض » .

(١) انظر رسالتنا للماجستير : الفارابي اللغوي تحت عنوان « كلمات ناقصة الاشتقاق » ص ٢١١ وما بعدها .

(٢) انتظر بحثاً لنا بعنوان : صيغ أخرى للبالغة في كتابنا « من قضايا

اللغة والنحو» ص ١٩٣ وما بعدها .
(م ١٠ - البحث اللغوي)

دعوات التجديد والإصلاح للنحو العربي :

شاب النحو العربي منذ نشأته شوائب ، وارتقت شكوى المتعلمين من صعوبته وتعقده ٠ ويرجع ذلك لأسباب متعددة منها :

١ - أن النحويين القدماء حين قعدوا قواعدهم أقحموا اللهجات العربية بصفتها وخصائصها المتباينة ، ونظروا إليها على أنها صور مختلفة من اللغة المشتركة ، مما خلق مشاكل معقدة أيسرها اختلاف الأقوال في المسألة الواحدة ، ومحاولة التوفيق بين المذاهب والشهاد المتناقضة ، والإكثار من الأمور الجائزة ، وكثرة التقسيمات والتشعيبات ، والإسراف في وضع الشروط ^(١) .

وقد كان الواجب عليهم إسقاط كل هذه الأمثلة اللهجية ، وترك غيرها مما يمثل مراحل التطور اللغوي ، كما كان الواجب عليهم أن يفرغوا بين القواعد النحوية التي غايتها احتذاء الصواب وصيانة اللسان عن الخطأ ، وبين دراسة ما نطق به العرب وما جرى على السنّة قبلهم وما نقله الرواوه من شعر أو نثر تضمن خصائص لهجية معينة ^(٢) . أما الأولى فتبني على اللغة النموذجية الأدبية المثلة في القرآن الكريم (دون قراءاته) ، والحديث النبوي الشريف ، والآثار الأدبية الرفيعة منأشعار

(١) يكفي أن أحيل القارئ إلى شروط أ فعل التفضيل ، التي حينما أعاد مجمع اللغة العربية في مصر بحثها رأى إسقاط معظمها . فأسقط شرط تجرد الفعل الثلاثي أخذًا برأي سيبويه والأخفش ، وأسقط شرط البناء للمعلوم عند امن اللبس ، وتحفف من شرط كون الفعل تاماً أخذًا بقول الكوفيين وتحفف من شرط لا يكون الوصف منه على أفعل فعلاء أخذًا برأي الكوفيين وهشام والأخفش وتحفف من شرط عدم الاستفناه عنه بمصوغ من مرادفه ، لأن من النحاة من تركه ، ولأن من ذكره لم يورد لا مثالاً واحداً . (انظر ص ١٢١ من كتاب أصول اللغة — وفي الصفحات التالية لها ابحاث شائقة اشترك فيها كثير من أعضاء المجمع حول هذه الشروط) .

(٢) عبد الحميد حسن : القواعد النحوية ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٣٠ — ٢٨ ، المدخل إلى دراسة النحو ، ص ٤٩ — ٥٢ من أسرار اللغة ،

وخطب وأمثال وحكم ورسائل ووصايا ونحو ذلك . وأما الثانية فتضخم إلى هذا ما نقل عن العرب أو الأعراب من كلام عادى ، وما ينسب إلى كل قبيلة أو منطقة من خصائص تعبيرية معينة ، وما سجل من قراءات قرآنية .

٢ - نظرية العامل التي باللغ النحاة فيها ، وفلسفوها ، حتى ألفوا كتابا تجمع قراءون النحو بعنوان العوامل . فألف أبو على الفارسي كتاب العوامل ومختصره ، وألف عبد القاهر الجرجاني العوامل المائة ، ودونوا للعوامل شروطا وأحكاما هي عندهم فلسفة النحو وسر العربية فقالوا :

لا يجتمع عاملان على معمول واحد (ذاكر ونفع محمد) .
الحرف لا يعمل في نوع من الكلمات حتى يكون مختصا به (النصب
بأن مضمورة بعد فاء السببية) .
لا يعمل العامل في الاسم وضميره معـا (محمدا ضربته)
إلى آخر ما هو مذكور في كتبهم .

ولما تكونت للنحو هذه الفلسفة حكموها في اللغة وجعلوها ميزان ما بينهم من جدل ، بل تجاوزوا ذلك إلى تفضيل لهجات من العرب على أخرى بأصول فلسفتهم هذه ، بل تجاوزوا ذلك إلى رفض بعض الأساليب العربية المقلولة .

وقد كان النحو — في سبيلهم هذه — متأثرين بروح الفلسفة التي كانت شائعة بين المتأخرین منهم ، فهم يعللون منعهم اجتماع عاملين على معمول واحد بقولهم : « اذا اتفق العاملان في العمل لزم تحصيل الحالـ وهو محال ، وإن اختلفا لزم أن يكون الاسم مرفوعا منصوبا مثلا ، ولا يجتمع الضدان في محل » (١) .

(١) أحياء النحو ، ص ٣١ ، ٣٢ .

٣ - الإغراط في التأويل والتقدير ، وحمل الأساليب العربية على غير ظاهرها . وقد سبق أن ضربنا مثلاً لذلك تقدير «أن» مضمرة بعد الفاء ونصب الفعل «بأن» هذه ثم اعتبار الفاء حرف عطف ، عطفت المصدر المسؤول من أن المقدرة ومدخلوها على المصدر المتضيد من الكلام السابق ! وتقدير نحو : ذاكر فتنجح ، لتكن منك مذاكرة فنجاح !! ولا أدرى ماذا منع العرب أن يقولوا إن كان هو مراده ؟ وقد بدأت مثل هذه التأويلات من اللحظة الأولى لوضع النحو ، فالتأويل السابق هو من عمل الخليل - سامحه الله - وقد فتح بذلك باباً أمام النحاة يصعب قفله الآن . ومن تأويلاتهم العجيبة ما يقوله البرد في إعراب قوله تعالى : (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجنه حتى حين) . يقول البرد إن فاعل « بدا » مصدر مقدر ، وتأويل الآية : ثم بدا لهم بدو . ولكن حذف بدو من الكلام لأن « بدا » تدل عليه . ولا معنى لكل هذا الكلام لأن « ليسجنه » جملة في موضع الفاعل - على حد تعبير ابن ولاد . ويستمر ابن ولاد قائلاً : « وأما قوله إنه يضم فيه البدو ، فإيما نضم إذا كان الكلام محتاجاً إلى الإضمار ناقصاً عن التمام . فأما إذا كان الكلام تماماً مفيداً ، فلا حاجة بنا إلى الإضمار » (١) .

٤ - استخدام العلل الشوانى والثالث في النحو ، ذلك مثل سؤالهم عن زيد من قوله : قام زيد : لم رفع ، وإجابتهم : لاته فاعل وكل فاعل مرفوع ، ثم سؤالهم : ولم رفع الفاعل ؟ وإجابتهم للفرق بين الفاعل والمفعول ، ثم سؤالهم : ولم لم . تعكس التصنيفينصب الفاعل ويرفع المفعول ، وإجابتهم بأن السبب أن الفاعل قليل ، لأنه لا يكون للفعل إلا فاعل واحد ، فأعطى الأثقل الذي هو الرفع للفاعل ، وأعطى الأخف الذي هو النصب للمفعول ليقل في كلامهم ما يستثنون (٢) !! ولا أدرى بماذا يجيبون لو سألتهم : ولكن لكل فعل فاعل ، وليس لكل فعل

(١) الانتصار لسيبوبيه من البرد ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) الرد على النحاة لابن مضاء .

مفهول ، فمن الأفعال ما هو لازم ، ومنها ما يحذف مفعوله فمعدد الفاعلين قد يكون أكثر من عدد المفعولين . وتعليقات الخليل وسيعويه كثيرة كثرة لافتة للنظر ، فهما — في نظرنا — المسؤولان الأولان عن فتح هذا الباب ، وسن هذه السنة . وخذ مثلا آخر من تعليقاتهم التي حکمواها حتى في القراءات القرآنية ، يقول سيعويه : إنه لا يجوز العطف على المضمر المجرور إلا بإعادة الخافض فلا يجوز مررت به ومحمد بل لابد من أن يقال مررت به وبمحمد (ب رغم قراءة حمزة وهو من السبعة : [وانتقوا الله الذي تتساءلون به والأرحام]) . وعلل ذلك بأن الضمير شبيه بالتنوين . لذلك لا يجوز العطف عليه حتى لو أكد . فلا يجوز مررت به وهو محمد () !! ويحكم سيعويه بأن الفعل ثقيل والاسم خفيف . ويعلل ذلك بقوله : « ألا ترى أن الفعل لابد له من الاسم وإلا لم يكن كلاما ، والاسم قد يستغني عن الفعل تقول : الله إلهنا ، وعبد الله أخونا » () . وقد بلغ من شدة اهتمام النحاة بهذا النوع من البحوث أن ألف فيه بعضهم كتبوا مستقلة ، مثل قطرب (توفى ٢٠٦) الذي ألف « العلل في النحو » والمازنی (توفي ٢٣٠ أو ٢٤٨) الذي ألف « علل النحو » () .

٥ - استخدام النحوين أنواعاً من الأقنيسة النظرية التي لا تعتمد على شاهد من كلام العرب ، كمنعم تقدم الفاعل على فعله وإعرابهم الجملة : محمد قام على أنها مكونة من مبتدأ ثم جملة فعلية ، مكونة من الفعل وفاعله المستتر ، وأخيراً يعربون الجملة الفعلية خبراً لهذا المبتدأ . ولم يكتفوا بذلك ، بل فلسفوا القياس ، وبحثوا عن أركانه ثم حاولوا أن يحددوا شرائط القياس النحوى () . وظهر سلطان العلم الدينية على التفكير النحوى حتى اعترف النحاة بأنهم احتذوا في أصولهم أصول

(١) شوقي ضيف : المدارس النحوية ، ص ٥١ .

(٢) الدكتور مازن المبارك : النحو العربي ، ص ٦٢ ، ٢٩ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) راجع : في أصول النحو للأفغانی ، ص ١٠٨ وما بعدها .

الفقه عند الحنفية خاصة . ونجد كمال الدين بن الأنباري من أهل المائة السادسة يضم كتابه « لمع الأدلة » ليكون للنحو بمثابة « علم الأصول » للفقه ، عقد فيه فصولاً عدة للقياس وأنواعه كما كان فعل علماء الفقه وأصوله ^(١) . وأخذ النحاة يتنافسون في هذه الأقيسة النظرية والافتراضات غير الواقعية . ومنمن تمادوا فيها الرماني المولود سنة ٢٧٦ هـ ، وفيه يقول الفارسي : « إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء » ^(٢) . وبلغ من اعتداد النحويين بالقياس أن قال ابن الأنباري : « إن إنكار القياس في النحو لا يتحقق ، لأن النحو كله قياس » . فمن أنكر القياس فـ « إنكر النحو » ^(٣) . ونحن لا نستطيع – ولا غيرنا – أن نطالب بإغلاق القياس أو الحد منه وإنما نطالب بإلغاء ما ليس قياساً حقيقة ، لقد قسم اللغويون القياس إلى :

- (أ) حمل الكلمة على نظائرها في حكم ثبت لها باستقراء كلام العرب .
(ب) إعطاء الكلمة حكماً ثبت لغيرها من الكلمات المخالف لها في نوعها ، ولكن توجد بينهما مشابهة من بعض الوجوه كترخيص المركب المزجى قياساً على الأسماء المنتهية ببناء المتأنيث .

(ج) القياس النظري الذي لا يعتمد على شاهد من كلام العرب
كقول بعضهم : « ولا أمنع أن يجيء الفعل على فَعَلْتُنَّ وإن كان المتقدمون لم يذكروه . لأن الاسم إذا جاء على ذلك وجوب أن يجيء عليه الفعل إذ كان الاسم أصلاً والفعل متفرع عنه . وقد قالوا ناقفة رعشن ٠٠
وأمراً خلين ٠ » .

(د) أطلقوه كذلك على نوع من التعليل المنطقي كقولهم إن الفعل

(١) المرجع نفسه ، ص ١٠١ ، ١٠٠ .

(٢) نشأة النحو ، ص ١٧٣ .

(٣) الاقتراح ، ص ٤٦ .

المضارع أعرّب لشبيهه بالاسم أو قياساً على الاسم ، وما ادعوه في باب الممنوع من الصرف من أن الاسم يمنع من الصرف حملاً على الفعل أو قياساً على الفعل^(١) .

وليس منها ما يعد قياساً لغويّاً على وجه الحقيقة سوى النوع الأول الذي نتمسّك به ونقيّيه لأن النحو — كما يقول ابن الأنباري — قياس ، ومن أنكر القياس فقد أنكر النحو ، أما الأنواع الأخرى فلا يضر إلغاها.

٦ — تناولهم أموراً لا علاقة لها بالنحو ، ولا فائدة تؤدي إليها ، لأنّها لا تفيد نطقاً ولا تعصم لساناً ولا تمنع خطأً . وذلك مثل اختلافهم في الناصب بعد الفاء والواو فهو هذه الأدوات نفسها ؟ أم «أن» مضمّنة ؟ أم أن الفعل منصوب على الخلاف ؟ ومثل خلافهم في رافع المبتدأ والخبر ، فقيل إن المبتدأ يرتفع بالابتداء والخبر بالابتداء كذلك أو بالابتداء والمبتدأ معاً ، وقيل إن المبتدأ والخبر يترافعان فيرفع المبتدأ الخبر والخبر والمبتدأ . وكذلك خلافهم في رافع المضارع فقيل هو التجدد من الناصب والجازم وقيل وقوعه موقع الاسم وقيل المضارعة وقيل حروف المضارعة^(٢) .

ومن ذلك أيضاً تناولهم لمسائل غير عملية بل عقدتهم أبواباً كاملاً غير عملية مثل أبواب الاستعمال والتنازع ٠٠٠ وتفريعهم للمسائل وتشقيقها . ولنأخذ بباب الاستعمال على سبيل المثال . فقد اضطرب النحاة في صور تعبيره اضطراباً شديداً ، وقسموا صوره إلى ما يجب رفعه ، وما يجب نصبه وما يترجح فيه الرفع أو النصب ، وما يجوز فيه الأمران . وتبحث في كلام العرب عن أمثلة أو شواهد لكل هذا الذي قالوه ، فلا تجد لعظمته وجهاً ، بل لا تجد له ذكراً .

(١) انظر : الخضر حسين : القياس في اللغة ، ص ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٠ ، وشرح الخامسة لأبي العلاء المعرى ، ص ٢٦٣ .

(٢) راجع : الانصاف ٣١/١ ، الكافية ١٩/١ ، ٢٢٤/٢ ، الاشموني ٣٠٠ — ٢٨١ ، ٢٩٩/٣

ومن ذلك المسائل الأفتراضية التي عالجها النحاة ، والتمارين غير العملية التي فتح الخليل وسيبوبيه بابها على مصاريعه — على حد تعبير الدكتور شوقي ضيف — ومن ذلك ما ذكره سيبوبيه من أنه سأله الخليل عن رجل سمي « أولو » من قوله عز وجل : (نحن أولو قوة) أو سمي « ذوو » من قوله : ذوو عزة ، وكيف يجري إعرابهما بحسب الواقع الكلام . وكذلك سؤال سيبوبيه أستاذه عن رجل يسمى « يرمي » أو « أرمي » ^(١) . ومن ذلك قول سيبوبيه : « وإن سميت رجلا ضربوا فيمن قال : أكلوني البراغيث قلت : هذا ضربون قد أقبل » . ومن خير ما يصور ذلك عنده « باب ما قيس من المعتل من بنات الياء والواو ولم يجيء في الكلام إلا نظيره من غير المعتل » ، ويأخذ في عرض ذلك عرضا يطول حتى يشغل أكثر من أربع صفحات طويلة . وكما في صيغ من بنات أفكاره يحاول أن يقيسها على صيغ معروفة ^(٢) . ومن أمثلة ذلك في كلام المبرد قوله : « فإذا قال لك ابن من ضرب مثل جعفر فقد قال لك : زد على هذه الحروف الثلاثة حرفا . فحق هذا أن تكرر لامه فتقول : ضرب ولو قال لك ابن لي من ضرب على مثال صممح لقلت : ضريرب ^(٣) . ومثل هذا نجده في قوله : « ولو قلت افعوعل من القول لقلت اقوول ومن البيع ابييع وكان أصلها ابييع » ^(٤) .

وقد ضاق طلاب النحو من قديم بطريقة النحاة هذه ، وظهرت دعوات متعددة على طول تاريخ النحو العربي ، منها ما يدعو إلى تهذيب النحو ، وإصلاحه ، ومنها ما يدعو إلى تركه والتخلص عنه بالكلية ، ومنها ما كان يعبر عن سخط وضجر . كما ظهرت محاولات عملية لتلخيص النحو تأليفا تعليميا سهلا يطرح الخلافات ويختصر من الأبواب غير العملية والمسائل التدريبية . وانتهز الشعوبية فرصة الضجر من النحو والنحاة

(١) المدارس النحوية ، ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٣) المقتصب (مخطوط) ، ص ٣٧ .

(٤) المرجع نفسه ص ١١٩ . وانظر ص ١٢٠ ، ١٢٨ .

فأخذوا يصيدون في الماء العكر وينقصون من قدر هذه الدراسة . ويتمسون الأدلة والأسباب لتقوياتهم . ويحكي لنا أبو جعفر النحاس (من نهاية القرن الرابع بمصر) طرفاً من هذه القضية في كتاب له بعنوان «صناعة الكتاب» لم يصلنا ، ولكن اقتبسه القاقشندى في كتابه «صبح الأعشى» . ونص عبارته : « قال أبو جعفر النحاس : وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلمي العربية جهلاً وتعدياً حتى إنهم يحتاجون بما يزعمون أن القاسم بن مخيمرة قال : (النحو أو له شغل وآخره بغيره) قال : وهذا كلام لا معنى له لأن أول الفقه شغل وأول الحساب شغل ، وكذلك أوائل العلوم . أفترى الناس تاركين العلوم من أجل أن أولها شغل ؟ قال : وأما قوله : (وآخره بغيره) إن كان يريد به أن صاحب النحو إذا حذقه صار فيه زهو واستحق من يلحن فهذا موجود في غيره من العلوم ، من الفقه وغيره في بعض الناس وإن كان مكروهاً . وإن كان يريد بالمعنى التجاوز فيما لا يحل ، فهذا كلام محال ، فإن النحو إنما هو العلم باللغة التي نزل بها القرآن ، وهي لغة النبي ﷺ وكلام أهل الجنة وكلام أهل السماء . ثم قال بعد كلام طويل : وقد كان الكتاب فيما مضى أرغم الناس في علم النحو وأكثرهم تعظيمها للعلماء حتى دخل فيهم من لا يستحق هذا الاسم فصعب عليه باب العدد فعابوا من أغرب الحساب وبعدت عليهم معرفة المهمزة التي ينضم ويفتح ما قبلها »^(١) . وقد ظهر ضيق الناس بالنحو حتى قبل استفحال أمر الشعوبية ، وحتى من طلاب النحو المترغبين . فالجاحظ يقول في حيوانه : « قلت لأبي الحسن الأخفش : أنت أعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ، ولا نفهم أكثرها ؟ وما بالك نقدم بعض العويس ، وتؤخر بعض المفهوم ؟ قال : أنا رجل لم أضع كتبني بهذه الله ، وليس هن من كتب الدين . ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه قلت حاجاتهم إلى فيه . وإنما قد كسبت في هذا التدبير ، إذ كنت إلى التكسب ذهبت . »^(٢) ويروى عن دماذ صاحب أبي عبيدة

(١) صبح الأعشى ١/١٧١ . (٢) الحيوان ١١/٩٢ .

أنه قرأ من النحو إلى باب الفاء والواو ، فلما استمع إلى قول الخليل وأصحابه أن ما بعدهما ينتصب بأن مضمرة وجوباً نباً ففهمه عن ذلك وكتب إلى المازنى يشكو إليه ما لقى من عنت في أبيات ختمها بقوله :

لقد كدت يا بكر من طول ما أذكر في بابه أن أجتن (١)
وأخذ رد الفعل الإيجابي لهذا الضجر شكلين منتجين :
أحدهما : الكتب الميسرة التي تلبّي حاجة الطلاب والمتعلمين .

ونكتفى بضرب المثلين الآتيين :

(أ) « مقدمة في النحو » تأليف خلف الأحمر البصري المتوفى سنة ١٨٠ هـ . وقد استهل المؤلف كتابه قائلاً : « لما رأيت النحوين وأصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل وكثرة العلل ، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلّم المتبلّغ في النحو من المختصر .. والمؤذن الذي يخف على المبتدئ حفظه ويحيط به فهمه ، فأمّنت النظر والتفكير في كتاب أؤلّفه ، وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغنى به المتعلّم عن التطويل ، فعملت هذه الأوراق ، ولم أدع فيها أصلاً ، ولا أدلة ، ولا حجة ، ولا دلالة إلا أمليتها فيها . فمن قرأها وحفظها وناظر عليها علم أصول النحو كله » .

ومن عناوين هذا الكتاب وأبحاثه :

— باب الحروف التي ترفع كل اسم بعدها :

وهي إنما وكأنما وهل وبيل وهو وأين ٠٠٠

— باب الحروف التي تنصب كل شيء أثني بعدها :

وهي رأيت وظننت وحسبت ووجدت ٠٠٠

(١) السيرافي : أخبار النحوين البصريين ، من ٧٧ ، ٧٨ .

— باب الحروف التي تخفض ما بعدها من اسم وأخبارها مرفوعة ،
ويقال لها حروف الصفات وهي :

من والى وعن وعلى وتحت ودون ووراء ٠٠ وكل وبعض وغير ٠٠
وأطيب وأكتب وأفرس وأشجع ٠٠٠ (١)

(ب) «التفاحة في النحو» لأبي جعفر الأحسان الماتوف سنة ٣٣٨هـ (٢)
والكتاب يتناول موضوعات النحو وحدها (ولا يتناول أى موضوعات
صرفية) ، ويحتوى على واحد وثلاثين فصلا منها : باب أقسام العربية –
باب الإعراب – باب رفع الاثنين – باب أقسام الفعل – باب الفاعل
والمفعول به – باب الابتداء – باب حروف الخفخ – باب الحروف التي
تنصب الأسماء وتترفع الأخبار – باب الحروف التي ترفع الأسماء
وتتصب الأخبار – باب الحروف التي تنصب الأفعال المستقبلة .

والكتاب صغير الحجم جداً إذ يقع في ثمانى ورقات من مخطوطة
المكتبة المترکلية بصنعاء ، ولكنه مفيد جداً لأنه يحوى جميع مبادئ النحو
وقواعده الرئيسية . وقد ساعده على الاختصار طرحه الخلافات النحوية ،
واعتماده على اللغة الأدبية المشتركة وترك الخلافات اللهجية ، وحذفه
الشواهد وأسماء النها ، واستبعاده المناقشات المنطقية والفلسفية .

وقد خلا الكتاب – إلى جانب ذلك – من الأبواب غير العملية مثل
باب الاستغاث ، وباب التنازع ، بل تجاهل صيغة «أشغل به» في التعجب
وذلك لعدم اشتهرها .

وقد اتبع المؤلف المنهج الوصفي في تعريف القواعد ، ومن أجل ذلك
عد في باب حروف الخفخ كثيراً من الكلمات التي يعتبرها النحو التقليدي

(١) مقدمة في النحو – أماكن مقرقة .

(٢) ينسب الكتاب خطأ إلى الخليل بن أحمد ، انظر فهرست المخطوطات

ظروفا ، مثل أسفل وخلف وقدم ووراء وفوق وتحت ووسط وبين . والسر في ذلك أنه نظر إلى وظيفة الكلمة في الجملة فوجدها لا تختلف في « على » عنها في « فوق » مثلا . فلماذا لا يجعلها كلها في فعل واحد ؟ وأي فرق – في الحقيقة – بين قولنا : الكوب على المائدة ، والمكوب فوق المائدة حتى نعد الأول من قبيل حرف الجر وال مجرور ، والثاني من قبيل الطرف والمضاف إليه ؟

و واضح من عنوان الكتاب ، ومن طريقته فيتناول إسائل أنه وضع كتاب مدرسى يلبى حاجة طلاب العربية ودارسى النحو المتبعين . ولذلك فللكتاب قيمة كبيرة من الناحية التعليمية .

والآخر : تقديم المقترنات لإصلاح النحو أو تيسيره ، وتقديم النحو ومناهج النحاة . ومن أقدم من تصدى لذلك :

١ - أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد المصرى (القرن الرابع)

٢ - أبو العلاء المعري الشاعر المعروف (القرن الخامس)

٣ - ابن حزم الأندلسى (القرن الخامس)

٤ - ابن مضاء الأندلسى (القرن السادس)

أما ابن ولاد فهو أقدم الأربعة ، وقد نادى بالمبادئ الآتية :

(أ) لا يصح الطعن على العربى أو رميء باللحن أو الخطأ أو تقديم القياس النظري على المادة اللغوية المسموعة . وفي هذا يقول ردا على المبرد : « إن كانت التخطئة لمن قال ذلك من العرب ، فهذا رجل يجعل كلامه في النحو أصلا ، وكلام العرب فرعا ، فاستجاز أن يخطئها إن تكلمت بفرع يخالف أصله » ، ويقول : « الذى للغوى أن يفعله أن يمثل ويقتل ما جاء عن العرب فاما أن يرده فليس بذلك له » .

(ب) أنه يجب الوقف عند المادة اللغوية المسموعة ، ولا يجوز تصحيح ما لم يرد عن العرب بمقتضى القياس النظري فهناك من الأساليب والكلمات ما يصح في القياس ولكنه لم يسمع ، فيجب أن نقف عند ما قالته العرب ولا نغيره . يقول ابن ولاد : « لا ينظر إلى القياس فقط دون ما تتكلم به العرب . فإن العرب يمتنعون من التكلم بالشيء وإن كان القياس بوجبه ، ويتكلمون بالشيء وإن كان القياس يمنعه » . ويقول « سبيل النحويين اتباع كلام العرب إذ كانوا يقصدون إلى التكلم بلغتهم . فلما أن يعملوا قياساً — وإن حسن — يؤدي إلى غير لغتها فليس ذلك لهم ، وهو غير ما بنوا عليه صناعتهم » .

(ج) كذلك هاجم ابن ولاد التأويل والتقدير في النحو ، وادعاء الحذف والإضمار ، وقد سبق أن مثلنا لذلك بإعراب قوله تعالى : (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجنه حتى حين) (١) .

وأما أبو العلاء المعري فتتمثل دعوته إلى الإصلاح في ثورته العارمة على مبدأ التأويل والتقدير . ولم يكن هناك ما يغيّره أكثر مما كان يقرؤه ويسمعه من تأويلات النحاة ، وتكلفاتهم ، وتخريجهم بعض الأبيات على غير حقيقتها للاستشهاد بها على آرائهم الخاصة . وكثير من نقاده ينصب على هذا الجانب من نحو النحاة . وقد سدد المعري معظم سهامه إلى نحاة البصرة الذين أكثروا من التأويل والتقدير ، وتعسّفوا غایة التعسّف في تخریج كثير من الشواهد لتسويقهم مع أصول مذهبهم . وقد امتلأت مؤلفات المعري بأمثلة لذلك ولكننا سنكتفى بعرض نماذج منها :

(١) يمنع سيبويه وكثير من النحويين أن يلى كان معمول الخبر ، وهم يؤولون ما ورد كذلك ويقدرون ما يستغنى الكلام عنه ، كما قالوه في قول الشاعر :

(١) انظر أيضاً مقالنا عن كتابه « الانتصار » في مجلة كلية المعلمين ، الجامعة الليبية ، العدد الأول .

قنافذ دراجون حول خبائهم بما كان إياهم عطية عودا

فيقدرون ضمير الشأن في « كان » محله الرفع على أنه اسمها ، ويعرفون « عطية » مبداً ، وجملة « عود » خبره ، و « إياهم » منصوبة بـ « عود » وجملة المبتدأ وخبره خبر « كان » . أو يعرفون « ما » موصولة وأسم « كان » ضميراً مستترًا يرجع إلى « ما » و « عطية » مبتدأ « عود » خبره « وإياهم » مفعولاً مقدماً والمائد مذوف « إلى آخر ما قالوه في توجيهه البيت . ولكن المعنى بذوقه العربي يرفض هذه الأعاريب قائلاً : والأئمّة بمذاهب العرب أن يكون عطية مرفوعاً بـ « كان » « وإياهم » منصوباً بـ « عود » (١) .

(ب) وأبدع خيال المعنى مشهداً لطيفاً وقف فيه أباً على الفارسي في الجنة موقف المتهم : « و كنت رأيت في المحرش شيئاً لنا كان يدرس النحو في الدار العاجلة يعرف بأبي على الفارسي ، وقد امترس به قوم يطالبونه ويقولون : تأولت علينا وظلمتنا . منهم يزيد بن الحكم الكلابي وهو يقول : ويحك ! أنشدت عنى هذا البيت برفع الماء ، يعني قوله :

فليت كفانا كان شرك كلّه وخليك عنى ما ارتوى الماء هرتوى
ولم أقل إلا الماء بالنصب . وكذلك زعمت (٢) . وإذا رجل آخر يقول : ادعى على أن الهماء راجعة إلى الدرس في قوله :
هذا سراقة للقرآن يدرسه والمرء عند الرشا إن يلقها ذيبة
أفمجنون أنا حتى أعتقد ذلك (٣) .

وأما ابن حزم الأندلسي فقد هاجم عال النحو ورأى أنها « كلها فاسدة لا يرجع منها شيء إلى الحقيقة المبتدأ . وإنما الحق من ذلك أن

(١) عبث الوليد ، ص ٨٠ .

(٢) رسالة الفران ، ص ١٥٢ - ١٥٤ .

هذا سمع من أهل اللغة الذين يرجع إليهم في ضبطها ، وما عدا هذا فهو — مع أنه تحكم فاسد متناقض — فهو أيضاً كذب ، لأن قولهم كان الأصل كذا فاستقل فنقل إلى كذا ٠٠ شيء يعلم كل ذي حس أنه كذب لم يكن قط ، ولا كانت العرب عليه مدة ثم انتقلت إلى ما سمع منها بعد ذلك » (١) . كما كان من رأيه أن التعمق في بحث مسائل النحو إفساد وأنه يجزئ في النحو كتاب الواضح للزبيدي أو الموجز لابن السراج ٠ أما « التعمق في علم النحو ففضول لا منفعة بها ٠ بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب والأهم ، وإنما هي تكاذيب » (٢) ٠

وأما ابن مضاء القرطبي فقد ألف كتاباً في شرح آرائه الهجومية أسماه « المرد على النحاة » ٠ وقد قام الأستاذ الدكتور شوقى ضيف بتحقيقه وكتابة مقدمة وافية له يجب الرجوع إليها لمن يريد أن يعرف منهج ابن مضاء في نقد النحو والنحاة ٠ وكانت غاية ابن مضاء أن يحذف من النحو ما يستغنى النحو عنده ، وأن ينبع على ما اجتمعوا على الخطأ فيه ٠ وتتحقق هذه الغاية في رأيه بإلغاء نظرية العامل ، وإلغاء العلل الثنائي والثالوث ، وإبطال القياس ، وترك المسائل النظرية ، وإسقاط كل مالا يفيد في النطق » (٣) ٠

قيمة الدراسات النحوية عند العرب :

على الرغم مما شاب النحو العربي من شوائب ، وما وجه إليه من نقد ، فلا أحد يستطيع أن ينكر قيمة النحو العربي ، ومقدرة النحاة الفائقة التي تصل أحياناً إلى حد الإعجاز ٠ يقول الأستاذ عباس حسن : « أينما لاتبهره تلك العناية المعجزة التي بذلها الأولون في جمع أصول

(١) نظرات في اللغة عند ابن حزم الاندلسي ، ص ٤٤ - ٤٦ ٠

(٢) نفس المرجع السابق ٠

(٣) النحو العربي للدكتور مازن المبارك ، ص ١٥٣ ٠ وقد نبه المؤلف إلى بعض الأفكار التي نادى بها ابن مضاء ولها نظير عند السابقين ٠ وانظر بحثنا : دعوات الاصلاح للنحو العربي قبل ابن مضاء ٠

اللغة ، ولم شتانها ، واستبطأ أحکامها العامة والفرعية وحياطتها بسياح من اليقظة المواتية والحيطة الواقفية »^(١) . بل إن ابن مضاء — برغم عدائه الشديد للنحو — يقول : « وإنى رأيت النحويين قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن .. فبلغوا من ذلك الغاية التي أموا »^(٢) . وهذا ما دعا أحد المستشرقين إلى قوله : « إن علم النحو أثر من آثار العقل العربي ، لما فيه من دقة في الملاحظة ونشاط في جمع ما تفرق . وهو لهذا يحمل المتأمل فيه على تقديره ، ويحق للعرب أن يفخروا به »^(٣) . وحمل يوهان فك على أن يقول : « ولقد تكفلت التواعد التي وضعها النحو العرب — في جهد لا يعرف الكل ، وتضحية جديرة بالإعجاب — بعرض اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها .. حتى بلغت كتب التواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد »^(٤) . ويقول فيشر في مقدمة معجمه : « إذا استثنينا الصين لا يوجد شعب آخر يحق له الفخار بوفرة كتب علم لغته ، وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها حسب أصول وقواعد غير العرب »^(٥) .

(١) رأى في بعض الأصول اللغوية والنحوية ، ص ١ .

(٢) الرد على النحو ، ص ٨٠ .

(٣) مجلة الأزهر ، رمضان سنة ١٣٩١ هـ ، ص ٤٠ .

(٤) العربية ، ص ٢ .

(٥) المعجم اللغوي التاريخي ، ص ٤ .

الفصل الرابع

المعجم

١ - مقدمات للموضوع

صعوبة العمل المعجمي :

يعد العمل المعجمي من أصعب مجالات النشاط لعلم اللغة . فهو أولاً يتطلب مواصفات خاصة في صانعه يندر توافرها الآن ، وهو ثانياً يتطلب دقة وصبراً متاهيين ولذا يقول Gleason : «إن عمل المعاجم عمل مضجر إلى أقصى حد . إنه الدقة . إنه عبء عظيم لا يمكن تصديقه » . والى جانب هذا وذلك فإن العمل المعجمي يستلزم معرفة كل شيء عن اللغة المعنية ، والخصائص الملائمة لوحداتها المعجمية ، والنظام العام للغة ، كما يستلزم تكوين صورة واضحة عن مستعمل المعجم و的目的 وتقديره .

وبالإضافة إلى هذه الصعوبات فهناك صعوبتان آخرتان هما :

١ - أن المعجمي يعالج ظاهرة مفتوحة لا تستقر على حال . ولذا فإن أي محاولة لحصر كلمات أي لغة حية تعد مطلباً عزيزاً المنال إن لم يكن مستحيلاً ويظل المعجمي في حالة تساؤل دائم عن مدى تحقيق معجمه للشمول ومقدار قريبه أو بعده من الجمع الكامل لسادة اللغة .

٢ - أن المعنى هو المطلب الأول لاهتمام المعجمي ، وهو يمثل صعوبة في حد ذاته بل عده بعضهم واحداً من أصعب حقول الدراسة (١) .

(1) Manual of lexicography ص ١٥ - ٢٣ .

تعريف المعجم :

عرف اللغويون المعجم بأنه « كتاب يضم بين دفتيه مفردات لغة ما و معانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة ، وكيفية نطقها ، وكتابتها ، مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالباً ما تكون الترتيب الهجائي » ٠ وعرفه المعجم الوسيط بأنه « ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم » ٠

المعجم اللغوى والموسوعة :

يتمثل الفرق بين المعجم اللغوى والموسوعة في اختلافات ثلاثة ، أولها أن الموسوعة معجم ضخم يشغل مجلدات كثيرة في حين أن المعجم اللغوى يتفاوت حجمه تبعاً للغاية المنشودة ولنوعية مستعمله ٠ وثانيةها أن المعجم اللغوى لا يهتم كثيراً بالمواد غير اللغوية ، وإذا ذكرها في بصورة مختصرة جداً لأنه يترك تفصيلاتها للموسوعات ٠ ومن أمثلة المواد غير اللغوية التي لا يهتم بها المعجم أسماء الأعلام ، والأسماء الجغرافية مثل الأقطار والمدن والأنهار والجبال والبحار والمحيطات ٠٠ ، والأحداث والعصور التاريخية ، والتنظيمات الحكومية وغير الحكومية ، والمؤسسات العلمية وغيرها ٠ وثالث الاختلافات أن المعجم اللغوى يهتم بالوحدات المعجمية لغة وبالمعلومات اللغوية الخاصة بها في حين أن الموسوعة إلى جانب اهتمامها بالمعانى الأساسية للوحدات المعجمية تعطى معلومات عن العالم الخارجى غير اللغوى ، فالمعجم اللغوى يشرح الكلمات ، أما الموسوعة فتشرح الأشياء ٠

ولوأخذنا كلمة bridge أو جسر على سبيل المثال ونظرنا إليها في علين معجمين أحدهما لغوى ويمثله معجم أكسفورد الإنجليزى ، والآخر موسوعى ويمثله دائرة المعارف البريطانية لتبيان الفرق بين العلين في علاج المسادة ٠

فمعجم أكسفورد يذكر معناه وهو : طريق مرتفع فوق نهر أو واد . . الخ أو ممر يصل نقطتين مرتفعتين عن سطح الأرض . كما يتتحدث عن اختلافات أشكال الجسور ومواد بنائتها ، ويقتبس بعض الأمثلة من عصور مختلفة . في حين أن دائرة المعارف البريطانية بعد أن عرّفت الجسر أردفت التعريف بمعلومات تتناول أشكال الجسور وتعدد نماذجها (جسور ثابتة - جسور متحركة . . الخ) كما تتناول إنشاء الجسور من ناحية تاريخية ، وتذكر أسماء الجسور المشهورة بنماذجها ، ومواد بناء الجسور ، وتصميم الجسور ، بالإضافة إلى بعض الجداول والرسوم .

ولكن لأن الكلمات لا تظهر معانيها إلا بالنظر إلى الأشياء التي تدل عليها فإنه من غير الممكن تأليف معجم دون الإشارة إلى الأشياء الخارجية ، ودون ربط الكلمات بالموجودات التي تدل عليها .

أنواع المعاجم :

عادة ما تطلق كلمة « معجم » على المعاجم الشاملة أحادبية اللغة ، أي التي تتطابق فيها لغة المدخل مع لغة الشرح .

ولكن الكلمة قد تطلق كذلك على ما يسمى بالمعاجم الخاصة ذات المجال المحدود فيتقال معجم مصلحات - معجم مترادات - معجم ألفاظ القرآن الكريم . . الخ كما تطلق على المعاجم ثنائية (أو متعددة) اللغة ، وهي المعاجم التي تختلف فيها لغة الشرح عن لغة المدخل ، وتهتم بتقديم المعلومات عن اللغة المنشورة أكثر مما تهتم باللغة الشارحة . .

معنى كلمة معجم وأشتقاقها :

تقيد مادة « عجم » في اللغة معنى الإبهام والغموض ؛ ففى اللسان : « الأعجم الذى لا يفصح ولا يبين كلامه » ، وفيه : « ورجل أعمى وأعجم اذا كان فى لسانه عجمة » ، وفيه « سميت البهيمة عجماء لأنها

لا تتكلّم » . وسمى العرب بلاد فارس بلاد العجم لأن لغتها لم تكن واضحة ولا مفهومة عندهم .

فإذا أدخلنا الهمزة على الفعل « عجم » ليصير « أعم » اكتسب الفعل معنى جديداً من معنى الهمزة (أو الصيغة) الذي يفيد هنا السلب والنفي والإزالة . ففي اللغة أشكيت فلاناً : أزلت شكايته ، وفيها : أقذيت عين الصبي : أزلت ما بها من قذى . ومثلهما « قسط » و « أقسط » حيث تفيد الأولى « ظلم » والثانية « عدل » (أو إزال الظلم) . ولهذا ذم الله المحتسين : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » ومدح المحسنين : « إن الله يحب المحسنين » .

وعلى هذا يصير معنى أعم : إزال العجمة أو الغموض أو الإبهام . ومن هنا أطلق على نقط الحروف لفظ « الإعجم » لأنه يزيل ما يكتنفها من غموض . فمثلاً حرف « بـ » يحتمل أن يقرأ ب أو ت أو ث . فإذا وضعنا النقط أى أعممناه زال هذا الاحتمال وارتفع الغموض .

ومن هنا أيضاً جاء لفظ « المعجم » بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما ويشرحها ويوضح معناها ويرتبها بشكل معين . ويكون تسمية هذا النوع من الكتب معجماً إما لأنه مرتب على حروف المعجم (الحروف الهجائية) ، وإما لأنه قد أزيل أي إبهام أو غموض منه ، فهو معجم بمعنى مزال ما فيه من غموض وإبهام .

وقد فهم من هذا أن لفظ « معجم » يعد اسم مفعول من الفعل « أعم » ويحتمل من ناحية أخرى أن يكون مصدراً ميمياً من نفس الفعل ، ويكون معناه الإعجم أو إزالة العجمة والغموض .

جمعها :

تجمع كلمة « معجم » جمع مؤنث سالماً على « معجمات » وهذا محل اتفاق بين جميع اللغويين .

وهناك جمع آخر لهذا اللفظ وهو «معاجم» الذي يعد جمع تكسير . وقد اختلف في صحة هذا الجمع ، فالمتشددون يمنعونه قائلين : إن سبيوبيه قد نص على أنه لا يصح أن يجمع جمع تكسير كل ما بدء بـ ميم زائدة من أسماء الفاعلين والمفعولين . وغير المتشددون يسمحون به بناء على وجود ألفاظ كثيرة من هذا القبيل جمعت جمع تكسير مثل محـرـم ومحـارـم ، ومـثـرـسـكـ وـمـرـاسـلـ ، وـمـجـسـدـ وـمـجـاسـدـ ، وـمـسـنـدـ وـمـسـانـدـ ، وـمـصـعـبـ وـمـصـاعـبـ ، وـمـهـارـعـ وـمـهـارـعـ (١) وقد اتـخـذـ مـجـمـعـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ بالـقـاهـرـةـ مؤـخـراـ قـرـارـاـ بـصـحـةـ هـذـاـ الجـمـعـ .

شروط المعجم :

هـنـاكـ شـرـطـاـنـ لـابـدـ مـنـ توـافـرـهـماـ فـىـ أـىـ كـتـابـ يـجـمـعـ مـفـرـدـاتـ الـلـغـةـ وـيـشـرـحـهـماـ .ـ هـذـاـ الشـرـطـاـنـ هـماـ :

- (أ) الشمول .
- (ب) الترتيب .

ويعد الشمول أمراً نسبياً تتفاوت المعاجم في تحقيقه . أما الترتيب فالابد من توفيره ، وإلا فقد المعجم قيمته . وقد كان تعدد طرق الترتيب المعجمي عند العرب ، وتفاوت هذه الطرق صعوبة وسهولة سبباً في موت معاجم وحياة أخرى ، وحمل بعضها وشيوخ أخرى .

وظيفة المعجم :

هـنـاكـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـوـظـائـفـ يـجـبـ أـنـ يـؤـديـهاـ الـمـعـجمـ وـهـيـ :

- (أ) شرح الكلمة وبيان معناها أو معانيها ، إما في العصر الحديث فقط أو مع تتبع معناها أو معانيها عبر العصور .

(١) انظر كتابنا : من قضايا اللغة والنحو ، ص ١٨١ وما بعدها .

- (ب) بيان كيفية نطق الكلمة •
- (ج) بيان كيفية كتابة الكلمة •
- (د) تحديد الوظيفة المصرفية للكلمة •
- (هـ) بيان درجة اللفظ في الاستعمال ، ومستواه في سلم التقويعات
اللهجية •

(و) تحديد مكان النبر في الكلمة • والنبر باختصار هو إعطاء بروز معين لأحد مقاطع الكلمة دون المقاطع الأخرى • ولما كان النبر في اللغة العربية الفصحى لا يؤدي انتقاله من مقطع إلى مقطع إلى تغيير المعنى ، فإننا نجد المعجمين العرب يهملون بيان موقع النبر في الكلمة ، وإن كنا نرى أن بيان موضعه ضروري لأن يريد تحقيق النطق العربي الفصيح ، كما أنه ضروري بالنسبة لهنّا يريد أن يتعلم كيفية النطق الحديث للهجات العربية •

أما المعاجم الأجنبية ، وبخاصة مع اللغات التي يختلف فيها معنى الكلمة تبعاً لموقع النبر ، فقد اهتمت ببيان موضع النبر عن طريق علامة تضعها فوق المقطع المنبور • ومثال ذلك كلمة import الإنجليزية فإذا وضعنا النبر على المقطع الأول كانت اسمًا ، وإذا وضعناه على المقطع الثاني كانت فعلاً ومثلها كلمات : Present, subject وغيرها^(١) •

وبالنسبة للهجات العربية المعاصرة فإنه لابد لأى معجم لها أن يحدد موضع النبر في الكلمة لأنّه يختلف من منطقة إلى منطقة • فمثلاً كلمة «كتب» تنطق في القاهرة بنبر الأول وفي منطقة الصعيد بنبر الثاني ، وكلمة «مطر» تنطق في مصر بنبر الأول وفي ليبيا بسكون الميم وتشديد الراء • وهكذا •

(١) انظر موضع النبر في كتابنا « دراسة الصوت اللغوى » .

الخطوات الإجرائية لإعداد المعجم :

أصبح للمعجم الحديث مواصفات عالمية يجب توافرها في كل معجم ،
كما استقرت منهجه في جملة من الإجراءات التي أهمها :

أولاً : التقديم بين يدي المعجم بمقدمة تحدد منهجه ، وطريقة
ترتيبه ، ووسائل ضبط الهجاء والنطق فيه ، وكيفية تصنيف المعانى
والدلالات ، ووسائل التعريف المتبعة ، وشرح الرموز والعلامات
والاختصارات المستعملة في المعجم . كما تشمل المقدمة عرضاً سريعاً
لتاريخ اللغة وأنظمتها الصوتية والمصرفية والدلالية .

ثانياً : السير في تأليف المعجم على الخطوات الآتية :

(١) جمع المادة ، ويتم عن طريق الاستخلاص من النصوص التي
تقع في دائرة اهتمام المعجم مع وضع كل مفرد في بطاقة . ولايهم أن
تكون المادة مكتوبة أو شفوية . ولكن ينبغي الحذر في تسجيل المادة
الصحفية لأنها كثيراً ما تستعمل تعبيرات متكررة في مناسبات خاصة ، كما
تستخدم مفردات ابداعية سريعة ، ويندر أن تلتزم بمستوى لغوي
معين . ولكن مسح النصوص الصحفية هام لأنها في أخبارها ومقالاتها
الافتتاحية تحتوى على أحدث مادة معاصرة بالنسبة للموضوعات التي
تعالجها .

والنص الذي يجب اقتباسه في كل بطاقة لا بد أن يشتمل على جزء
السياق اللغوی الذي يسمح باستنتاج المعنى الأساسي للكلمة ، وبعض
من ملامحها الدلالية ، وخصائصها النحوية . إنه يجب أن يكون مختصراً ،
ولكنه يجب كذلك أن يكون واضحاً .

وقد يستعان في جمع المادة بوسيلتين آخريتين أولاهما ما يمكن
أن يسمى بالدليل اللغوی Informant الذي يلجأ إليه في تمثيل اللغة كما
ينطقها ويستعملها أبناءها ، وفي تكملة بعض التغرات التي لم يملاها

الجمع اللغوى . والأخرى استشارة المعاجم الأخرى في اللغة موضوع الدراسة . بل قد يحدث أحياناً أن يكون أحد المعاجم هو الأساس لعمل المعجم الجديد .

(ب) الخطوة الثانية من عمل المعجمي اختيار المدخل أو الوحدات المعجمية التي سيتضمنها المعجم .

ويؤثر في هذا الاختيار جملة من العوامل منها ما سبق اتخاذه من قرارات عن نموذج المعجم والهدف من تأليفه . ومنها حجم المعجم المقترن ، فمعجم كبير أو متوسط لا يصح أن يحمل ذكر التوزيعات العالمية للغة . ومعجم كبير أو متوسط يجب أن يهتم بمصطلحات العلوم والفنون وأن يذكر منها ما يشيع في اللغة العامة . ومعجم كبير أو متوسط لابد أن يعطى إشارات لأسماء الأماكن ذات الأهمية الخاصة ، وأعلام الأشخاص إذا اشتهرت ، أو حملت معنى عاماً ، أو كان لاستقاقها أهمية خاصة .

وأهم من هذا يأتي السؤال : ماذا يأخذ المعجمي من المادة وماذا يترك حتى بعد أن يحدد نموذج المعجم وهدفه وحجمه ؟ فليس هناك عدد معين من المواد يمكن تحديده مسبقاً بالنسبة لأحجام المعاجم الثلاثة : الصغير والمتوسط والكبير . وإن كان هناك أعداد تقريرية تطرح لكل نوع . فالصغير يبدأ من ١٢٠ ألف كلمة إلى ١٥٠ ألف كلمة ، والمتوسط من نصف مليون كلمة إلى مليون (وقد احتوى المعجم الوسيط على مليون كلمة أو ثلاثة ألف مادة) والكبير في حدود ثلاثة ملايين كلمة .

وقد يلجاً المعجمي في اختيار مداخله إلى نسب تردد الكلمات حين يتيسر له ذلك (كثير من اللغات يخلو من هذه النسبة) وإن كان بعضهم يشكك في قيمة هذا العامل ، ويرى عدم الاعتماد على الإحصاء في اختيار كلمات المدخل لأنه لا يوجد عد دقيق تحت أيدينا حتى الآن ، ولأن أي

عد يعتمد على العينات لا على مسح المادة اللغوية ، ولأن أي عد لم يتضمن حتى الآن تجمعات الكلمات ٠

(ج) أما الخطوة الثالثة من عمل المعجم فهى تأليف المدخل أو معالجة المادة من نواحيها المختلفة كالمعنى ، والمنطق ، والمجاء ، والاشتقاق ، ودرجة الاستعمال ٠

ويقع المعنى في بؤرة اهتمام المعجمى ومع ذلك فهو يمثل أكبر صعوبة تواجهه لصعوبية تحديده أولاً ، ولاعتماد دقة تفسيره على جملة من القضايا الدلالية التي تتعلق بمنهج دراسة المعنى ، وشروط التعريف ، والتغير الدلالي ، وتخصيص المعنى أو تعميمه ، والمعانى المركبة والهامشية والإيحائية ، وصعوبـة المعنى أو هبوطـه ، والتلطف في المخاطبة أو البدائل الدلالية المذهبـة ، والاتساع المجازـى ، والترادف ، والاشتراك اللفظـى ، وتعدد تطبيقات الاستعمال ، وغيرها ٠

ويلجأ المعجمى إلى طرق مختلفة لعرض المعنى أو تفسيره ، فقد يلجأ إلى المرادف كأن يقول : الجود : الكرم ، السبات : النوم ٠ وقد يلجأ إلى ذكر المضاد كأن يفسر العدل بأنه ضد الظلم ، أو الجهل بأنه ضد العلم ، وقد يلجأ إلى الشرح في جملة أو عبارة ٠ وهناك شروط حددـها العلماء للتعريف الجيد الذى يعطـى خصائص واضحة وشرحـا محددـا لمعنى الكلمة أو معانيها كأن يخلو الشرح من أي كلمة تعتمـد على جذرـها حتى لا يخرج القارئ من قراءة التعريف صفر اليدين ٠

وقد فسر معجم انجليزى كلمة negro بقوله of the Negro race . وقد كان يقبل هذا التعريف لو أن المعجم خصـن مدخلـاـ لـ Negro race ولكنـه لم يفعل ذلك مع الأسف ٠ وكان المطلوب في مثل هذه الحالـة إعطاء خصائص هذا الجنس كالسود ، والمواطـنية الأصلـية في إفريقيـا ، والشـفة الغـليظـة ، والـشعر المـجد ٠٠ الخ ٠

كما يشترط في التعريف أن يكون محدداً فلا يقال مثلاً عن «القدم» أو «المتر» إنه وحدة لقياس الطول، بل لابد من تحديد قياسه لتحديد الفرق بينه وبين غيره من مقاييس الطول. وقد يلجأ المعجمى إلى وسائلتين آخريتين إضافيتين لتحديد المعنى كالاستعانة بالصور أو الرسوم، أو الاستعانة بما يسمى «بالتعريف الظاهري» «أو التمثيل الواقعى» الذي يعطى مثلاً أو أكثر من العالم الخارجى. فبدلاً من الالقاء في تفسير «البياض» بأنه لون «الأبيض» كما تفعل كثير من المعاجم يتبع ذلك بقوله: وهو لون الثلوج النقي، أو ملح المائدة المكرر.

ولا يستغني توضيح المعنى عن شيئاً آخرين مما التمثيل بجمل مفيدة قصيرة ووضع الكلمة في سياقاتها المتعددة التي تقع فيها مثل الفعل «أدرك» الذي يستعمل في سياقات متعددة ويختلف معناه تبعاً لذلك فيقال: أدرك القطار: إذا لحقه، وأدرك حاجته: إذا حققها وحصل عليها، وأدرك الصبي: إذا راحق وبلغ حد البلوغ. ويمكن للتمثيل الجيد أن يوظف لخدمة المعنى فيقوم بتوضيح ظلال المعنى، والحالات التي ترد فيها الكلمة، والصفات المصاحبة، ونوع المفعول مع الفعل، والاصحابات الظرفية . . . الخ. فإذا نحن عرّفنا «الجميل» بأنه ما يعطى بهجة أو رضا للعقل أو الحس فلا شك أن التمثيل سيزيد المعنى وضوحاً كأن نقول: وجه جميل - زهرة جميلة - صوت جميل - طقس جميل - موسيقاً جميلة . . . الخ.

ولا يكتفى المعجمي بشرح المفردات بل لابد كذلك أن يشرح التعبيرات وبخاصة اذا لم يكن من الممكن فهمها من أجزائها المكونة . . . مثل: الكتاب الأسود، الراية البيضاء، ركوب الرأس، طول اليد .

كما لابد أن يعالج الكلمات ذات الوحدات المتعددة (المركبة) مثل: الماء الثقيل - السوق المسوداء - الهواء الطلق - بيضة الديك - بقرة بنى اسرائيل - قميص عثمان - كبد السماء . . . الخ . . . ومن الممكن

في مثل هذه الوحدات أن توضع تحت الكلمة الأولى منها ، أو تحت أسبقي الكلمتين في ترتيب المعجم ، أو تحت الكلمتين مع الربط بين الموقعين ، أو تحت أبرز الكلمتين ٠

وهناك قضية أخرى هامة بالنسبة للمعنى ماتزال موضوع جدل بين المعجميين ، وهي معيار الحكم على كلمة بأنها ذات معنى واحد أو عدة معانٍ ٠ وإذا كانت ذات عدة معانٍ أهـى من باب المجاز أمـ من باب المشترك اللغـي ؟

ويترتب على اعتبار الكلمة ذات معنى واحد وضعها في مدخل واحد حتى لو تعددت تطبيقاتها في الاستعمال ، أو حملت بعض المعانـي المجازـية ٠ ويكتفى في هذه الحالة بترتيب المعانـي داخلـياً بصورة من صور الترتيب المتـفقـ عليها ٠ أما إذا اعتبرـ ذات معانـي متـعدـدة فـسيـفـرـدـ لكلـ معـنىـ مـدخلـ ، وـتـعـدـ الدـاخـلـ بـتـعـدـ الدـاعـيـ ٠

ال فعل « شـحـدـ » مـثـلاً يـأـتـيـ لـعـنـيـنـ :

شـحـدـ السـكـينـ : إـذـاـ أـحـدـهـ ٠

وـشـحـدـ الـفـقـيرـ النـاسـ : سـأـلـهـمـ ٠

فـهلـ يـمـكـنـ ردـ الـعـنـيـنـ إـلـىـ معـنىـ وـاحـدـ هوـ «ـ الإـلـاحـ »ـ وـ «ـ التـكـرارـ »ـ فـيـكـونـ الدـخـلـ وـاحـداـ ؟ـ أـوـ أـنـ التـمـاسـ هـذـاـ المعـنىـ الـواـحـدـ لاـ يـتـمـ إـلـاـ بـتـكـلـفـ وـتـحـمـلـ وـلـاـ يـفـطـنـ إـلـيـهـ مـسـتـعـمـلـ الـلـغـةـ العـادـيـ ،ـ فـيـكـونـ لـلـفـظـ مـعـنـيـانـ مـخـتـلـفـانـ فـيـنـظـرـ إـلـيـهـ عـلـىـ أـنـهـمـ لـفـاظـانـ مـخـتـلـفـانـ يـسـتـحـقـ كـلـ مـنـهـمـ مـدخـلـاـ مـسـتـقـلاـ ؟ـ

وـمـثـلـ هـذـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـطـرـحـ بـالـنـسـبـةـ لـكـلـمـاتـ مـثـلـ :

* حـمـيمـ :ـ فـيـ قـولـهـ تـعـالـىـ :ـ «ـ كـأـنـهـ وـلـىـ حـمـيمـ »ـ مـعـ قـولـهـ تـعـالـىـ :ـ «ـ وـسـقـواـ مـاءـ حـمـيمـاـ »ـ .ـ فـالـأـوـلـىـ بـمـعـنـىـ :ـ صـدـيقـ قـرـيبـ وـالـثـانـيـةـ بـمـعـنـىـ :ـ حـارـ مـغـلىـ ٠

* قبيلة : فقد ذكر القاموس المحيط أنها واحدة قبائل الرأس للقطع المشعوب ببعضها إلى بعض وأن منه قبائل العرب وهم بنو أب واحد . وعلق صاحب الناج قائلاً : ظاهره أنه مجاز وصرح بعضهم بخلافه فادعى الاشتراك .

وحيث ينتهي المعجمي من مشكلة المعنى تظل أمامه مشكلات أخرى أقل أهمية مثل اختيار النطق الصحيح والنص عليه (ويتم ذلك في اللغة العربية بوسيلة من ثلاثة : إما ضبط الكلمة بالشكل ، وإما النص على ضبطها بالكلمات ، وإما ذكر وزنها أو مثالها) ومثل تبيين رسم الكلمة وطريقة هجائها وبخاصة إذا كان يختلف نطقها عن رسمها (ويتعين ذلك بالنسبة للغة العربية في أربعة أنواع من الكلمات : ما يزيد فيه حرف مثل مائة وأولوا ، وما ينقص فيه حرف مثل هذا وذلك والسموات والرحمن ، وما ينتهي بألف مقصورة مثل الضحى والربا ، وما يشتمل على همزة متوسطة أو متطرفة) .

أما ذكر المعلومات الصرفية أو الاشتتقاقية فيتوقف على حجم المعجم والغرض منه . فإذا كان المعجم موجهاً للمستعمل العادي فإنه يكتفى فيه الإشارات السريعة إلى المعلومات الوظيفية أو العملية ، والتغييرات التصرفية التي تلحق الكلمة عند الإسناد . أما التتبع التاريخي لاشتقاق الكلمة أو ذكر أصله مما يدخل تحت فرع « الاتيمولوجيا » فلييس موضع اهتمام المعاجم الصغيرة أو المتوسطة .

ويظل بعد ذلك أن يبين المعجمي درجة اللفظ في الاستعمال ويحدد مستوى في سلم التتنوعات اللهجية لأن يبين ما إذا كان اللفظ قد يدعا أو حديثاً ؟ دارجاً أو فصيحاً ؟ من لغة الشعر أو النثر ؟ عاماً أو مقيداً ؟ مهجوراً أو مماتاً ، نادراً أو شائعاً ؟ رسمياً أو عامياً ؟ محترماً أو مبتذلاً ؟ من لغة الكبار أو الصغار ؟ وغير ذلك .

(د) وأخيراً لا يبقى على المعجمي إلا أن يرتب مداخله بطريقة من طرق الترتيب الهجائي أو الموضوعي التي من عرض لها فيما بعد .

أول من استخدم لفظ معجم :

لم يكن اللغويون أول من استعمل هذا اللفظ في معناه الاصطلاحي ، وإنما سبّقهم إلى ذلك رجال الحديث النبوى ^(١) فقد أطلقوا كلمة معجم على الكتاب المرتب هجائياً الذي يجمع أسماء الصحابة ورواية الحديث . ويقال إن البخارى كان أول من أطلق لفظة معجم وصفاً لأحد كتبه المرتبة على حروف المعجم (ولد البخارى سنة ١٩٤ هـ وتوفي ٢٥٦ هـ) ووضع أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى (٢١٠ هـ - ٣٠٧ هـ) « معجم الصحابة » ، ووضع البغوى (توفي ٣١٧ هـ) « معجم الحديث » ٠ وهكذا ٠

ويلاحظ أن اللغويين القدماء لم يستعملوا لفظ « معجم » ، ولم يطلقوه على مجموعاتهم اللغوية ، وإنما كانوا يختارون لكل منها اسماً خاصاً به ٠ فهذا « المعين » ، وذلك « المجمهة » ، وآخر الصاحح » ٠٠٠ وهكذا ٠ أما إطلاقنا للفظ « المعجم » على هذه الكتب فإطلاق متاخر ٠

معجم وقاموس :

من استعمالات العصر الحديث اطلاق اسم « القاموس » على أي معجم سواء كان باللغة العربية أو بأي لغة أجنبية : أو مزدوج اللغة . وللظ « القاموس » في اللغة لا يعني هذا ولا شيئاً قريباً من هذا ٠ فالقاموس هو قعر البحر ، أو وسطه ، أو معظمها ٠ وقال أبو عبيد : القاموس أبعد موضع غوراً في البحر ^(٢) ومرجع هذا المعنى للذى ألقى القاموس « قاموس » أن عالماً من علماء القرن الثامن ، وأسممه « الفيروزابادى » ألف معجماً سماه « القاموس المحيط » وهذا وصف المعجم بأنه بحر واسع أو عميق ٠ كما نسمى بعض كتبنا : الشامل ، أو الكامل : أو الوافي ، ٠٠ أو نحو ذلك ٠

(١) انظر عدنان الخطيب : المعجم العربى ، ص ٣٠ - ٣٤ .

(٢) انظر : اللسان : تمس .

وقد حقق معجم الفيروزابادى لنفسه شهرة وشيوعاً ، وصار مرجعاً لكل باحث . وبمرور الوقت ومع كثرة تردد اسم هذا المعجم على السنة الباحثين ظن بعضهم أنه مرادف لـ«كلمة معجم» ، فاستعمله بهذا المعنى . وشاع هذا الاستعمال ، وصار يطلق لفظ القاموس على أي معجم . وظل هذا اللفظ محل خلاف بين العلماء ، فمن مهاجم له ، ومن مدافع عنه حتى أقر مجتمع اللغة العربية هذا الاستخدام وذكره ضمن معانى كلمة «قاموس» في معجمه المسمى بالمعجم الوسيط . واعتبر إطلاق لفظ «القاموس» على أي معجم من قبيل المجاز ، أو التوسيع في الاستخدام^(١) .

(١) انظر عدنان الخطيب : المعجم العربي ، ص ٤٨ - ٥٠ ، المعجم الوسيط (قمس) .

٢ — الترتيب المعجمي عند العرب

لا تعرف أمة من الأمم في تاريخها القديم أو الحديث قد تفنت في أشكال معاجمها ، وفي طرق تبويبها وترتيبها كما فعل العرب . وقد تعددت طرق وضع المعجم العربي حتى كادت تستنفذ كل الاحتمالات الممكنة . وقد كان العرب منطقين حينما لاحظوا جانب الكلمة ، وهما اللفظ والمعنى ، فربوا معاجمهم — إجمالاً — إما على اللفظ ، وإما على المعنى ، وبهذا وجد قسمان رئيسيان هما :

(أ) معاجم الألفاظ .

(ب) معاجم المعانى .

وقد كان مجال تنافسهم واضحًا بالنسبة للقسم الأول حيث وجدت في داخله طرق متعددة بخلاف القسم الثاني حيث لم يوجد فيه إلا طريقة واحدة . وما أظنهم كانوا سيكتفون بهذه الطريقة الواحدة لو أمكن — عقلاً — الالهاء إلى طريقة أخرى .

وبالنسبة لمعاجم الألفاظ كان هناك عدة أشكال لترتيب الأحرف المجائية هي :

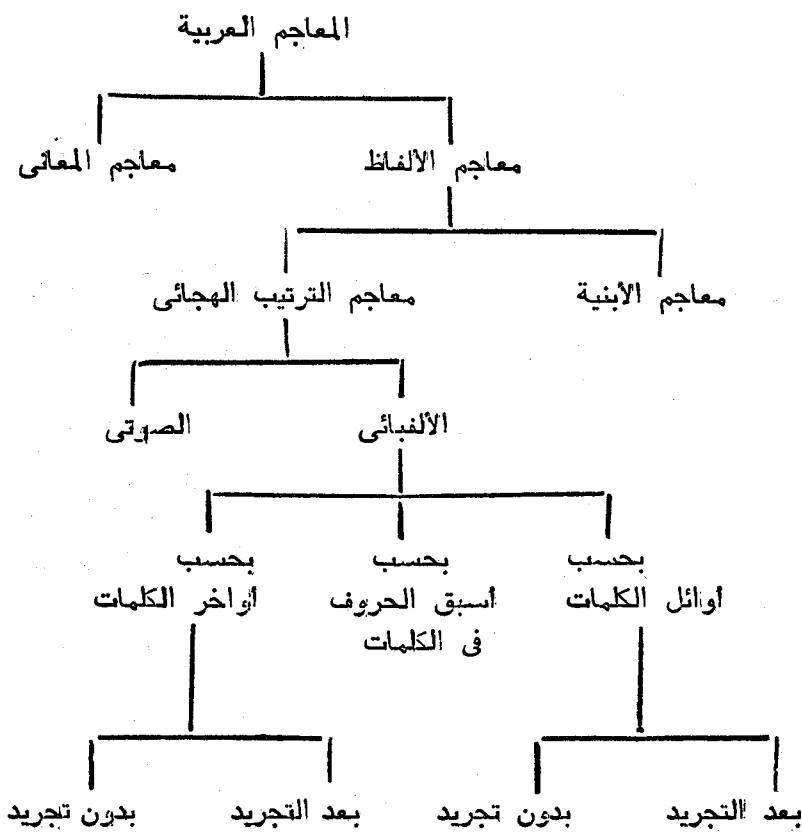
(أ) الترتيب الصوتى الذى يراعى التشابه الصوتى للأحرف وتدرج المخارج .

(ب) الترتيب الألفبائى الذى يراعى التشابه الكتابى للأحرف فيوضع اللائيات متباورة ثم الثنائيات وينتهى بالأحرف المفردة .

(ج) الترتيب الأبجدي وهو أقدم ترتيب عرفه العرب ، وهو ترتيب فينيقى .

ولم يستخدم العرب في معاجمهم الترتيب الأبجدي ، وإنما استعملوا الترتيب الصوتى والترتيب الألفبائى .

و قبل أن نتناول أنواع المعاجم العربية بصورة مفصلة نلخص مدارسها في الشكل التالي :



القسم الأول

(معاجم الألفاظ)

سنتناول معاجم هذا النوع على الترتيب التالي :

(أ) مدرسة الترتيب الصوتي (أو المخرجى) ٠

(ب) مدرسة الترتيب الأبفتائى ٠

وقد أخذت الأخيرة صورا خمسة هي :

١ - وضع الكلمة تحت أسبق حروفها الأصلية في الترتيب الأبفتائى ٠

٢ - وضع الكلمة تحت أول حروفها الأصلية ٠

٣ - وضع الكلمة تحت أول حروفها دون تجريد ٠

٤ - وضع الكلمة تحت حرفها الأخير دون تجريد ٠

٥ - وضع الكلمة تحت حرفها الأصلى الأخير (الباب والفصل) ٠

(ج) مدرسة الترتيب بحسب الأبنية ٠

وإليكم تفصيل ذلك :

١ - مدرسة الترتيب المخرجى

معجم العين للخليل :

رائد هذه المدرسة هو الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٥ھ) الذى امتاز بعقلية رياضية ، وبراعة فى الموسيقى والنغم ٠ وخبرة واسعة بأمور اللغة ومشكلاتها ٠

وقد صب الخليل كل خبراته هذه فى معجمه الذى سماه « العين » ،
والذى يعد أول معجم من أى نوع عرفته اللغة العربية ٠

وأهم ما يميز هذا المعجم — عدا نظامه — أن مؤلفه لم يجمع مفرداته عن طريق استقراء ألفاظ اللغة ، وتنبعها في مؤلفات السابقين ، وجمعها من شفاه الرواة ، وإنما جمعها بطريقة منطقية رياضية ، حيث لاحظ أن الكلمة العربية قد تكون ثنائية وقد تكون ثلاثة وقد تكون رباعية وقد تكون خماسية . وفي كل حالة إذا أمكن تبديل حروف الكلمة إلى جميع احتمالاتها (بالانتقال من حرف هجائي إلى الذي يليه) وأمكن تقليل أمثلة هذه الحروف إلى جميع أوجهها الممكنة يكون الحال معهما يضم جميع كلمات اللغة من الناحية النظرية . ولكن لا توجد لغة تستخدم جميع إمكانياتها النظرية ، ولهذا كان لابد للخليل بعد الإحصاء النظري أن يميز بين المستعمل من هذه الصور والمهمل ^(١) . وقد فعل ذلك ، واستقاد في تمييز المستعمل من المهمل بثقافته اللغوية الخصبة ، وبخبرته الصوتية الباهرة ، ومعرفته بالتجمعات الصوتية المسموح بها وغير المسموح بها في اللغة العربية . وبذا حكم القراءين الصوتية إلى جانب تحكيمه للمادة اللغوية المسجلة .

وإذا تصورنا كيفية حصر الخليل للمادة اللغوية في أبواب الثنائي والثلاثي الصحيح ، فإننا نفترض أنه قام بصناعة يشبه الجداول الآتية ^(٢) لجمع مواد اللغة (التوافق) ، ثم قام بتقليل أصوات كل مادة ليحصل على الصور العقلية الممكنة (التباديل) :

(١) يكاد يتتطابق مفهوم « المستعمل » عند الخليل مع مفهوم « المورفيم » عند المحدثين (المورفيم : أصغر وحدة ذات معنى) أما مفهوم المهمل فيشتمل ما يسمى بالمصطلح الحديث « مورف » ويشمل غيره . وذلك لأن المهمل إذا كانت قوانين اللغة الصوتية تسمح به ولكن حدث بمحض الصدفة أن أهل يسمى « مورغا » . أما إذا كانت قوانين اللغة الصوتية لا تسمح به ولا يتصور أن يستخدم في وقت ما فلا يسمى « مورغا » ولكنه هو و « المورف » داخلان في مفهوم المهمل عند الخليل .

(٢) أهملت العين مع الحاء والهاء والخاء والغين من الثنائي وبدأت بالعين والقاف . وأهملت العين والهاء مع ما يليهما ، وبدأت أبواب الثلاثي الصحيح بالعين والهاء والقاف .

كتاب العين من الثنائي المضعف

الحرف الأول	الحرف الثاني	الكلمات المستعملة	العدد	الحالات
(ع)	ح	مهمل	—	١ - توافق العين من الثنائي = ٢٤
ه	مهمل	مهمل	—	٢ - المستعمل من صور التوافق = ٢٠
خ	مهمل	مهمل	—	(تتبع الصور المستعملة عن طريق تجميع العين كأول مع الأحرف التي بين قوسين في العمود الثاني)
غ	مهمل	مهمل	—	٢
(ق)	قع	قع - قع	٢	عن طريق تجميع العين كأول مع الأحرف التي بين قوسين في العمود الثاني)
(ك)	كع	كع - كع	٢	٣ - صور التباديل العقلية = ٢٤
(ج)	جع	جع - جع	٢	٤ - كل تجمع من الثنائي ينتج صورة عن طريق التوافق وصورة أخرى عن طريق التباديل فيكون المجموع صورتين
(ش)	شع	شع - شع	٢	
(ض)	ضع	ضع - ضع	٢	
(ص)	صع	صع - صع	٢	
(س)	سع	سع - سع	٢	
(ز)	زع	زع - زع	٢	
(ط)	طبع	طبع - طبع	٢	
(د)	دع	دع - دع	٢	
(ت)	تع	تع - عت	٢	
(ظ)	عظ	عظ - عظ	١	
(ذ)	ذع	ذع - ذع	٢	
(ث)	شع	شع - عث	٢	
(ر)	رع	رع - مر	٢	
(ل)	لع	لع - هل	٢	
(ن)	نع	نع - عن	٢	
(ف)	فع	فع - فع	٢	
(ب)	بع	بع - بع	٢	
(م)	مع	مع - عم	٢	

$$\begin{array}{rcl} \text{مجموع المستعمل} & = & ٣٨ \\ \text{مجموع المهمل} & = & ١٠ \end{array}$$

كتاب العين بن الثاني الصحيح

العين والهاء							العين والهاء							
الصور المقابلة $22 \times 6 = 132$							الصور الم مقابلة $23 \times 6 = 138$							
مقدما	التنقليات المستعملة	٢	٢	١	ع	(ج)	ع	(ج)	ع	٢	٢	١	ع	(ج)
٢	عنق - هفع	خ	ح	ح	ع	(ع)	ع	(ع)	ع	٥	٥	٥	ع	(ع)
١	لعنك	ك	ك	ك	ك	(ك)	ك	(ك)	ك	٣	٣	٣	ك	(ك)
٢	هعيج - هيع	ج	ش	ش	ش	(ج)	ش	(ش)	ش	٤	٤	٤	ش	(ش)
١	عدهه	س	س	س	س	(س)	س	(س)	س	٢	٢	٢	س	(س)
٢	هزع - هزه	ذ	ذ	ذ	ذ	(ذ)	ذ	(ذ)	ذ	٦	٦	٦	ذ	(ذ)
١	هطبع	ط	ط	ط	ط	(ط)	ط	(ط)	ط	٧	٧	٧	ط	(ط)
٢	عهد - عده - دفع	د	د	د	د	(د)	د	(د)	د	٩	٩	٩	د	(د)
١	عنه	ت	ت	ت	ت	(ت)	ت	(ت)	ت	٨	٨	٨	ت	(ت)
٣	هعر - هرع - هعر	ر	ر	ر	ر	(ر)	ر	(ر)	ر	١	١	١	ر	(ر)
٤	عله - عهل - لمع - هلع	ل	ل	ل	ل	(ل)	ل	(ل)	ل	٥	٥	٥	ل	(ل)
٣	هون - هفع - نفع	ن	ن	ن	ن	(ن)	ن	(ن)	ن	٧	٧	٧	ن	(ن)
١	هبع - عهب	ب	ب	ب	ب	(ب)	ب	(ب)	ب	٩	٩	٩	ب	(ب)
٢	عهم - همه - هيع	م	م	م	م	(م)	م	(م)	م	٩	٩	٩	م	(م)

المستعمل صور مجموع المستعمل = ١٣٢
المبدل ٩ مجموع المبدل = ١٣٠٤

المستعمل صور مجموع المستعمل = صور
المبدل ٢٣ مجموع المبدل = ١٣٨

ملاحظة : يجب تقييم البروز الذي تقع بين أقواس الوصول إلى التنقليات المستعملة .

(١) الرقم الأول يشير إلى إمكانيات التوافق في التمود الثالث والثاني إلى صور التباديل .

(٢) مجموع المستعمل في تهذيب اللغة ٣٦ والمبدل ٩٦ .

كتاب العين من الثلاثي الصحيح

وقد أثيرت شكوك حول كتاب العين شملت المؤلف نفسه فهو الخليل أم غيره . كما شملت احتمال وجود تأثير أجنبى على معجم العين . وسنترك قضية التأثير الأجنبى لكانها في الباب الثالث من هذا البحث . ونتحدث الآن عن مؤلف العين أبو الخليل أم غيره . ولن نتناول القضية بالتفصيل ، فقد سبقنا إليها الدكتور عبد الله درويش الذى خصص باباً بعنوان « الخلاف حول كتاب العين »^(١) في كتابه المعاجم العربية .

ولكننا سنكتفى بالعرض السريع المركز .

تتلخص الآراء في مؤلف العين فيما يأتي :

- ١ - أن المؤلف هو الخليل .
- ٢ - واضح الفكرة هو الخليل والمنفذ هو الليث .
- ٣ - المؤلف هو الليث .
- ٤ - واضح الفكرة ، ومؤلف قسم منه هو الخليل . أما الذي أكمله فهو الليث .

أما من نفوا نسبة « العين » للخليل كلياً أو جزئياً - وهذا يجمع الآراء الثلاثة الأخيرة - فقد بنوا رأيهم على ما يأتي :

- ١ - اختفاء معجم العين منذ عصر المؤلف حتى منتصف القرن الثالث المجرى . وحين ظهر على أبيدى أحد الوراقين الخراسانيين أنكره أبو حاتم السجستاني (ه ٢٥٥) .
- ٢ - وجود فجوة بين معجم « العين » وثاني معجم يظهر في اللغة العربية وهو معجم الجمهرة لابن دريد (ه ٣٢١) . مما يشكك في تأليف العين في القرن الثاني المجرى . فلابد أن يكون مؤلفه لغويًا متأخرًا .

(١) صفحة ٤٥ وما بعدها .

٣ - لم يذكر أحد من تلامذة الخليل أو معاصريه هذا المعجم ولم يحكه عنه ، مما يدل على أنه ليس من مصنفات الخليل .

٤ - تشكيك كثير من العلماء في نسبته للخليل أو إنكارهم هذه النسبة . ومن هؤلاء الأزهري (٣٧٠ھ) الذي قال في كتابه التهذيب : « كان الليث رجلاً صالحًا عمل كتاب العين ونسبه إلى الخليل لينافق كتابه باسمه ويرغب فيه » . ومن هؤلاء أبو الطيب اللغوي (ت بعد سنة ٣٠٥) الذي يرى أن ترتيب الأبراب للخليل والخشوع غيره .

٥ - استخدام العين لبعض المصطلحات الكوفية مع أن الخليل أستاذ مدرسة البصرة . ومن ذلك إدخاله الرباعي المضعف في باب الثلاثي المضعف .

٦ - ما يوجد من خلاف في الترتيب الصوتي ومخارج الحروف بين ما جاء في العين وما جاء في كتاب سيبويه . فلو كان المؤلف هو الخليل لتطابق ما في الكتابين لأن سيبويه حامل علم الخليل .

٧ - كثرة الأخطاء والماخذ في العين .

٨ - النقل عن علماء متأخرين أو معاصرين للخليل ، والاستشهاد بالمزول من شعر المحدثين .

٩ - نسخ العين التي عشر عليها كلها حديثة .

١٠ - لا إسناد لكتاب العين .

ويبدو أن منكري نسبة العين للخليل - لكي يجعلوا إنكارهم مقنعاً - قد نسجوا من خيالهم قصصاً شائقة وإن لم تكن في جملتها مقنعة . فمن ذلك ما يحكى ابن المعتز عن ذهاب الخليل إلى خراسان ونزوله عند الليث . وقد لاقى الخليل حفاوة وترحيباً وإكراماً بالغاً من الليث فقام بإهدائه معجمه « العين » . وأعجب الليث بالمعجم وانكب

عليه دراسة حتى كاد يحفظه عن ظهر قلب ٠ وطاب للبيت يوماً أن يشتري جارية حسناء ، مما أحفظ قلب زوجته عليه ، وهداها تفكيرها إلى الانتقام منه في أغلى شيء لديه فأحرقت نسخته من العين ٠ ولم يتوان البيت عن التفكير في طريقة يحبى بها الكتاب من جديد ، فأخذ يكتب مرة أخرى ما كان يحفظه من الكتاب حتى أتم نصفه تقريباً ٠ ثم جمع بعضاً من اللغويين المعاصرين فعاونوه على إتمام الكتاب ٠

وقد أفاد الأستاذ الدكتور عبد الله درويش في مناقشة هذه الأدلة وأبطلها جميعها بما ملخصه ، مع بعض إضافات لى أو لغيرى :

١ - يبدو أن عزلة الخليل ، وانصرافه عن أن يدون كتبه بنفسه قد ساعد هو وغيره على أن يختفى كتاب العين بعضاً من الوقت فلم يظهر هذا الكتاب إلا بأخره على يد وراق من خراسان ، وربما كان مصير « العين » مثل مصير « الجيم » لأبى عمرو الشيبانى ، إذ يرون أن أبا عمرو بعد أن أتم تأليفه ضن به على الناس ، وللهذا لم تكتن نسخه ، ولم يشتهر أمره بين المتأخرین من العلماء ^(١) ٠

٢ - أن هناك بعض معاجم ظهرت بين « العين » و « الجمهرة » ، وأشهرها « الجيم » لأبى عمرو الشيبانى (٢٠٦ هـ) ٠

٣ - ليس من الغريب أن يرى العين عن الخليل البيت وحده ، فقد حدث ما هو أغرب من هذا بالنسبة لصاحب الجوهرى ، ومع ذلك لم يشك أحد في نسبته ، حيث لم يروه - كما يقول المقطفى - أحد من أهل خراسان ٠

٤ - أما إنكار الأزهري فلا اعتبار له ، لأنـه كان دائم التجريح لغيره من اللغويين ، والانتقاد من قدر الكتاب الذى ألفت قبله حتى يرفع من قيمة معجمه ٠

(١) دلالة الانفاظ ، ص ٢٢٣ ، المعاجم للدكتور عبد السميع ، ص ٣٨.

٥ — أما ما يوجد من خلاف في الترتيب الصوتي^(١) بين الخليل وسيبويه أو ما يوجد من وفاق بين مصطلح الخليل ومصطلح الكوفيين ، فلا شيء يمكن أن يؤخذ منه . وقد سبق أن عرضنا في فصل « النحو والصرف » تحت عنوان : « هل وجدت مدارس نحوية عند العرب ؟ » أمثلة كثيرة من هذا النوع فارجع إليها . بالإضافة إلى أن تصنيف الكلمات التي تكرر بعض حروفها محل خلاف كبير بين اللغويين ، إذ لم يتفقوا فيه على رأى^(٢) .

٦ — أما الأخطاء أو المآخذ الموجودة في العين فلا دلالة لها كذلك حتى مع التسليم بها . وهل هناك من يزعم أن الخليل منزه عن الخطأ أو التصحيف أو التحريف ؟ ومن من اللغويين قد سلم من أمثال هذه المآخذ ؟ ويكفى أن يراجع القاريء كتاب « التنبيه على حدوث التصحيف » لمحمة الأصفهانى (ت حوالي ٤٦٠ هـ) ليりى مصادق ذلك . وأكفى بأن أشير إلى الباب الأول من كتابه وعنوانه : « في تصحيفات العلماء في شعر القدماء وهم (أى العلماء) ستة وعشرون » ، ذكر منهم : أبو عبيدة ، الأصمى ، أبو زيد ، أبو عمرو بن العلاء ، عيسى بن عمر ، الخليل بن أحمد ، سيبويه ، أبو الخطاب الأخفش . وبالإضافة إلى هذا فقد سبق أن ذكرنا أن الخليل قد وجه كل اهتمامه إلى الطريقة الرياضية التي جمع بها مادته اللغوية ، وأنه لم يفعل كما فعل غيره من الرجوع إلى الرواية والأعراب ليسمع منهم ويسجل لهم . وهذه طريقة ربما كانت أكثر عرضة للخطأ من غيرها ، وإن كانت أدق من الناحية الإحصائية .

(١) ورد في المزهر للسيوطى ما يفسر هذا الاختلاف حيث ذكر ابن كيسان أنه سمع من يذكر أن الخليل قال : « لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحدف ، ولا بالالف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهوسنة خفيفة لا صوت لها . فنزلت إلى الحيز الثانى وفيه العين والباء فوجدت العين أنصرع الحرفين ثابتات به ليكون أحسن في التاليف » (المزهر ٩٠ / ١) .

(٢) انظر ديوان الأدب ٢٥ / ١ مقدمة المحقق .

٧ — أما ما عثر عليه من نقول ، سواء من المعاصرين أو المتأخرین ، فيمكن تفسيره بسهولة على النحو التالي :

(أ) ما ذكره أهلورات — حين عثر على قطعتين مخطوطتين لا عنوان عليهما — ووُجِد فيهما نقولا عن ثعلب (ت ٢٩١) والدينوري (ت ٢٨١) وكراع (ت ٣٠٧) والزجاج (ت ٣١٠) وغيرهم — لا قيمة له مطلقا لأن القطعتين ليستا من كتاب العين كما زعم وإنما من كتاب الحكم لابن سيده كما حرق الدكتور عبد الله درويش .

(ب) أما نقوله عن المعاصرين فلا شيء فيها ، وقد كانت هذه طريقة القدماء ، يجلس أحدهم إلى من يجد عنده علماء دون نظر إلى سنه أو بلده ولا نظن أن نقل المؤلف عنهم هو أصغر منه سنا — مادام في سن تسمح بالأخذ عنه — يعد أمراً غريباً ، أو شيئاً مثيراً للشبهة .

(ج) وأما نقوله عن المتأخرین فتفسيرنا لها أنها كانت أول الأمر بمثابة حواشٍ أو تعليقات كتبها أحد التلامذة على نسخته من العين . وبمرور الوقت أدخلت هذه الزيادات في صلب الكتاب بفعل النسخ . وقد حدث هذا لكثير من الكتب ، فليس « العين » بدعا من بينها .

٨ — وأما الزعم بأن كتاب العين ظل بلا إسناد ولا روایة فليس من الواقع في شيء فعندنا ثلاثة مسلسل لإسناد الكتاب وهي :

(أ) السلسلة الموجودة في النسخة التي طبعت وهي : قال أبو معاذ عبد الله بن عائذ ، حدثني الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما في هذا الكتاب . ٠٠٠

(ب) سلسلة ذكرها ابن فارس في أول المقايسين ، وهي عن على بن إبراهيم القطان عن أبي العباس أحمد بن إبراهيم المدائني عن الليث عن الخليل .

(ج) سلسلة ذكرها السيوطي في المزهر وهي عن أبي على الغساني عن أبي عمر بن عبد البر عن عبد الوارث بن سفيان عن القاضي منذر بن سعيد عن أبي العباس أحمد بن محمد بن ولاد النحوي عن أبيه ، عن أبي الحسن علي بن مهدي عن أبي معاذ عبد الجبار بن يزيد عن الليث عن الخليل ٠ وقراءة كتاب العين على ابن ولاد ثابتة في عدة مراجع ٠ بل إن الروايات نفسها تتحدث عن وجود نسخة أخرى من العين عند أبي جعفر النحاس (وهو معاصر لابن ولاد) كان يقرئها ابن يحب من تلاميذه ٠ وتمضي الروايات قائلة : إن المنذر بن سعيد حينما ذهب إلى مصر قصد أبا جعفر النحاس أولاً ، ولكن نشأ بينهما نوع من الجفوة نتيجة تصحيح منذر بن سعيد خطأ وقع فيه النحاس ^(١) ، ولذلك أبي النحاس أن يقرئه منذر بن سعيد معجم العين ، فانتقل ابن سعيد من مجلس النحاس إلى مجلس ابن ولاد وقرأ عليه ونسخ من نسخته كتاب العين ٠

وننتهي من هذا إلى أن معجم « العين » من عمل الخليل – جزئياً على الأقل – وإن كان الأرجح أنه كله من عمله ٠ ويبدو أن الدكتور إبراهيم أنيس – برغم تشككه في نسبة المعجم – يميل مع الرأى الذى ينسبه إلى الخليل وهو يدعم رأيه بقوله : « وفي رأينا أن مثل هذا الترتيب الصوتي الموسيقى لا يمكن أن يقام به إلا الخليل الذى عرف أنه موسيقى وعنى عنية خاصة بالأصوات ٠ والدليل احتراشه علم العروض وتأليفه كتاباً في الموسيقى ٠ فمثلك يمكن أن يعني بهذا الترتيب المخرجى » ٠

وقد طبع الجزء الأول من العين عام ١٩٦٧ ، وقام بتحقيقه الدكتور عبد الله درويش على ثلاثة نسخ مخطوطة ٠ ولكنه توقف عن تحقيقه فتقىد بهذه المهمة الدكتوران إبراهيم السامرائي ، ومهدى المخزومى ٠ وقد

(١) راجع معجم الآباء ١٤/١٨٣ ، ٤/٢٢٦ – ٢٢٧ ، والقسطى ١/١٠٣
والزبيدي ص ٢٤ ٠

نشرًا الجزء الأول عام ١٩٨٠ ثم تتابع نشر بقية الأجزاء حتى اكتمل المجم
فـ ثمانية أجزاء ظهر آخرها عام ١٩٨٥ .

أما ترتيب الخليل للعين فقد أخذ الصورة الآتية :

١ - رتب كلمات معجمه على الحروف ترتيباً مخرجياً . وقد وجد
أعمق الحروف هي حروف الحلق فبدأ بها . ولم يكتف بذلك ، بل رتب
حروف الحلق فيما بينهما فوتجدها ذات مخارج ثلاثة هي : الهمزة والهاء -
ثم العين والباء - ثم العين والخاء - وقد كان من المتوقع إذن أن يبدأ
الخليل معجمه بحرف الهمزة وأن يسمى كتابه بـ « الهمزة » ، ولكنه
عدل عن ذلك وبدأ بحرف العين وسمى كتابه « العين » ، والسر في ذلك
أن الخليل قد وجد - بحسه الصوتى - أن الهمزة صوت معرض للتغيرات
مثل التسهيل أو الحذف ، فلم يبدأ أن يبدأ بها ، وووجد أن الهاء صوت
مهموس خفى فلم يبدأ أيضاً أن يبدأ بها . وانتقل إلى الحيز الثاني من
حروف الحلق فوجد فيه العين والباء فبدأ بالعين لأنها « أنصع » أي
أوضح لأنها مجهرة .

٢ - كان يلتزم تجريد الكلمة من زوايدتها ، ثم يضعها في مكانها
بعد ذلك . ومعنى ذلك أنه بنى معجمه على « الجذور » أو « الأصول »
وأهمل حروف الزيادة . وقد ظل هذا دأب معظم معاجمنا حتى الآن .

٣ - رتب الأصوات على الوجه الآتى :

ع ح ه خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت /
ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ي (١) .

(١) نظرها بعضهم في قوله :

العين والباء ثم الهاء والباء
والغين والقاف ثم الكاف أكماء
صاد وسين وزاي بعدها طاء
والجيم والشين ثم الضاد يتبعها

٤ - خصص لكل حرف كتاباً أسماه باسمه . فالمجم عبارة عن كتب بعدد حروف الهجاء هي كتاب العين - كتاب الحاء - كتاب الماء ٠٠٠ وهكذا .

٥ - وفي كل كتاب كان يضع الكلمات التي تشتمل على الحرف الذي يحمل الكتاب اسمه أيا كان موضع هذا الحرف في الأول أو الوسط أو الآخر .

٦ - حين يتناول الكلمة مئا كان يقلبها على جميع أوجهها الممكنة . وكان في كثير من الأحيان يلتزم ببيان الأوجه المستعملة ، والأوجه المهملة . فكلمة مثل « قد » تقرأ بوجهين إما مع البدء بالقاف أو مع البدء بالdal . وكلمة مثل « عند » اذا قلبت على أوجهها تنتج ست صور هي ع ن د - ع د ن - ن ع د - د ع ن - د ن ع . ولتوضيحها بالنسبة للثلاثي رسم ابن دريد مثلاً وضع عند كل زاوية منه حرفاً من الحروف الثلاثة للجذر وتحرك من كل زاوية في الاتجاهين ، فحصل على التسليليات الستة :



ولتوضيحها بالنسبة للرباعي رسم الدكتور محمد سالم الجرح جدولًا ذا قوائم أربعة . فإذا وضعنا في القائمة الأولى أحد الأصول جاز لنا أن نضع في الثانية كلاً من الثلاثة الباقيَة . ويتبادل مع كل واحد من حروف القائمة الثانية المحرفان الباقيان في الثالثة والرابعة . أي أننا نحصل على ست صور في القائمة الرابعة مع حرف بعينه في القائمة

بالظاء ذال وثاء بعدهما راء
والميم والواو والمهموز والباء

=
والdal والتاء ثم الظاء متصل
واللام والتون ثم الفاء والباء

الأولى . فإذا ضربنا ذلك في الاحتمالات الأربع بالنسبة للحرف الأول حصلنا على ٢٤ صورة . فإذا كان الأصل الرباعي مثلا هو دحرج كان الجدول كما يأْتى :

الصور	٤	٣	٢	١
دحرج ١	ح	ر	ح {	
دحرج ٢	ر	ج	ر } ج	
دوجرج ٣	ح	ج	ر } ح	
دوجرج ٤	ج	ح		
دوجرج ٥	ح	ر		
دوجرج ٦	ر	ح {		

وتتكرر نفس العملية مع كل من الحاء والراء والميم بوضعها في القائمة الأولى مكان الدال .

إذا كان الجذر خماسيا ضرب هذا الرقم في خمسة فتبلغ صور الخامسي العقلية ١٢٠ تقليليا .

وقد طبق الخليل التقلييات مع جميع كلمات الثنائي والثلاثي وكان ينص على المستعمل من هذه الصور والمهمل . ولكن مع الرباعي والخمسى وجد أن العملية طويلة والاحتمالات كثيرة والمصور المستعملة فعلا - بالنسبة للمهملة - قليلة جدا ، ولذا اكتفى بالتقلييات العملية فقط لا المكنته عقلا .

٧ - نتيجة لنظام التقلييات فإن كل كتاب لا يستعمل على كلمات فيها حروف سابقة : فكتاب « الحاء » لا يستعمل على أي كلمة فيها « عين » ، لأن جميع الكلمات التي تشتمل على حرف العين قد سبقت في كتاب العين ، وكتاب الهاء لا يستعمل على أي كلمات فيها عين أو حاء لأنهما سبقت . . وهذا يعني هذا أن الكتب الأولى أكبر من الكتب المتأخرة . وكلما تأخرنا قللت كلمات الكتاب . ولهذا فإن كتاب العين يعد أكبر كتب المعجم وحين نصل إلى كتاب الميم نجده لا يتجاوز بضع عشرة صفحة ،

لأنه لم يرق لهذا الحرف ليوفق معه إلا أحرف العلة الثلاثة ٠ أما كتاب الحروف المعتلة وهو آخر الكتاب فلم يتجاوز بضم صفحات ٠

٨ — خضع تبعيّب الكلمات لنظام الكمية ٠ فمثلاً في باب العين نجد الكلمات مسجلة بحسب التقسيم الآتي :

الثنائي — الثلاثي الصحيح — الثلاثي المعتل — اللفيف — الرباعي —
الخامسى ٠ أما الثنائي فقد قصد به الخليل ما وجد فيه حرفان من الحروف
الصحيحة ، ولو مع تكرار أحدهما في أي موضع طبقاً لنظرية العناصر ،
فيشمل مثل قدٌ وقدٌ وقدٌ ٠ كما يشمل مثل ددن وقلق وجلل ٠ ولذلك
يقول ابن القطاع : الثنائي ما كان على حرفين من حروف السلامة ،
ولا تبال أن تتكرر فاءٌ أو عينٌ »^(١) واضح أن اصطلاح الخليل هذا
ناتج عن نظام التقليبات الذي اتبّعه ٠ لأن مثل ددن وقلق وجلل ستتماثل
في صورة من صور تقليباتها وتشتّرك في موضع التكثير فيها ٠ أما سائر
اللغويين من لم يتلبّوا ، فيعتبرون مثل قدٌ وجلل من مضعف الثلاثي ،
ويعتبرون مثل قدقد من مضعف الرباعي ، ويعتبرون مثل قلق من
السلام ^(٢) ٠

وأما الثلاثي الصحيح فهو عنده — كما عند غيره — ما اجتمع فيه
ثلاثة حروف صحيحة ٠ وأما الثلاثي المعتل فما وجد فيه حرفان صحيحان
وحرف علة واحد سواء جاء أولاً (مثال) أو وسطاً (أجوف) أو آخرًا
(ناقص) ٠ وأما اللفيف فقد عنى به ما وجد فيه حرفاً علة سواء كانا
مفروقين مثل وعى ، أو مقرّونين مثل كوى ٠

أما طريقة الكشف في العين فتقضي أولاً تجريد الكلمة من زوائدتها
لتتحديد الجذر ، ثم يبحث عن أعمق أصواتها لتحديد الكتاب ٠ فإن كان
من بينها « ع » أياً كان موضعها فإن الكلمة كتاب العين وإن لم

(١) أبنية الأسماء والمصادر ، ص ١٢ ٠

(٢) شرح الشافية ٣٤/١ ٠

يكن بها « ع » ووجد بها « ح » فمكانها كتاب الحاء ٠٠٠ ولهذا لابد أن يعرف الباحث الترتيب المخرجى للحروف ، ويقتضى عن أقصى حرف في المخرج ٠ فإذا حددنا الكتاب الذى سنبحث فيه عن الكلمة نظرنا إلى ناحية الكم ، وحددنا نوع الكلمة أهى من الثنائى أم الثلاثى الصحيح أم الثلاثى المعتل ٠ وبذل نضيق دائرة البحث ٠ وبعد ذلك نحدد مادة الكلمة عن طريق إعادة ترتيبها صوتيا ٠ وأخيرا نقوم بالتقليبات الممكنة ، وسنجد جذر الكلمة المطلوبة ضمن هذه التقليبات ٠

تهذيب اللغة للأزهري :

كان الأزهري محظوظاً في مقدمه معجمه فنشرت أكثر من مرة ، قبل أن تتعمد المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر بتحقيق المعجم بأكمله ونشره ٠ ويرجع الاهتمام بالمقدمة إلى أنها — كما يقول الأستاذ عبد السلام هارون — « من أهم الوثائق في تاريخ التأليف اللغوى وتاريخ المدارس اللغوية الأولى » (١) ٠

ويبدو أن الأزهري — وقد امتد به العمر من ٢٨٢ إلى ٣٧٠ — قد ألف معجمه هذا بعد السبعين كما يفهم من عبارة له وردت في المقدمة (٢) وأنه حشد له خبرات هذه الأعوام الطوال ، وأمده بكثير مما سجله وقيده وسمعه سواء من الأساتذة أو الأعراب أو القوم الذين وقع في أسرهم ، وكانوا عرباً عامتهم من هوازن ٠

وقد ذكر الأزهري في مقدمه معجمه أن من الروافد التي أمدت معجمه :

١ — تقيد نكت حفظها ووعاها من أقواء الأعراب الذين شاهدتهم وأقام بين ظهرانيهم سنيات ٠ إذ كان ما أثبته كثير من أئمة اللغة في الكتب لا ينرب متناب المشاهدة ، ولا يقوم مقام الدرية والعادة ٠

(١) مقدمة الحق ، ص ١٧ ٠

(٢) يقول : وكانت منذ تعاطيت هذا الفن في حدائقى إلى أن بلغت السبعين مولعاً بالبحث في المعانى والاستقصاء فيها وأخذها من مطانها ٠٠٠

٢ - المسادة التي جمعها حين وقع في أسر القرامطة . وكان القوم الذين وقع في سهمهم عرباً عامتهم من هوازن ، واحتلتهم أصوات من تيم وأسد . وقد كانوا قوماً « لا يكاد يقع في منطقهم لحن أو خطأ فاحش » . وقد أقام بينهم — على حد تعبيره — دهراً طويلاً واستقاد من مخاطباتهم ، ومحاورة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمة ونوادر كثيرة أوقع أكثرها مواقعها في الكتاب^(١) .

ومن يراجع تهذيب اللغة بأجزائه الخمسة عشر يجد مئات الأمثلة لهذه المسادة التي رواها الأزهري عن طريق المشفهة والنقل المباشر . ولهذا فنحن لا نقر الدكتور عبد الله درويش على تشكيكه في قيمة المسادة المسجلة من هذا الطريق ، ووصفه لها بالندور^(٢) . ومن أمثلة هذه المشفهة :

١ - سمعت الأعراب من بنى عقيل يقولون : جارية فارهة وغلام فاره اذا كانا مليحي الوجه . (٦/٢٧٩)

٢ - وخطأ بعض الناس قول القائل : فلان يستأهل أن يكرم بمعنى يستحق الكرامة . قال ولا يكون الاستئتمال إلا من الإهالة ، وأجاز ذلك كثير من أهل الأدب . وأما أنا فلا أنكره ، ولا أخطئ من قاله لأنني سمعته . وقد سمعت أعرابياً فصيحاً من بنى أسد يقول لرجل أولى كرامة : أنت تستأهل ما أوليت ، وذلك بحضرت جماعة من الأعراب فما أنكروا قوله (٦/٤١٨) .

٣ - سمعت صبياً من بنى عقيل يقول : وجهي زين ووجهك شين أراد أنه صبيح الوجه وأن الآخر قبيحه . والتقدير : وجهي ذو زين ، ووجهك ذو شين (١٣/٢٥٥) .

(١) المصدر نفسه ٦ ، ٢ .

(٢) المعاجم العربية ، ص ٢٩ .

ولم يكن للأزهرى طريقة معينة في تسجيل مشافهاته :

١ — فتارة يعتمد على الدليل السلبي (أى عدم سماعه عن العرب) في نفي وجود اللفظ أو التعبير . ومن ذلك قوله :

(أ) ولم اسمعهم يقولون في الغراب نعم ولكنهم يقولون نعم
٠ (٢٥٧/١)

(ب) لم أسمع الوصع في شيء من كلامهم (٨٤/٣) .
٢ — وثارة ينص على القبيلة أو الجماعة اللغوية التي سمع منها . وأكثر من سمع عنهم .

* بنو تميم (١٢٩/١ ، ١٢٩/٥ ، ٢٦٣/٣ ، ٢٢٨/٩ ، ٥٦٢/١٠)

* بنو عقيل (٤/٤ ، ٣٢٧/٦ ، ٢٧٩/٦ ، ٢٥٥/١٣)

* بنو كلاب — الكلابيون (٤٤٦/١٥ ، ٢٣٨/٢ ، ٦٥٠) .

* بنو كليب (١/١ ، ٣٧٦ ، ١٤٤/٧)

* بنو نمير (١٣/١٣ ، ١٥٨/١٥ ، ٦٥٠)

* بنو سعد (٢/٢ ، ٢١٩ ، ١٧٨/٧)

* قيس (٣/٣ ، ٣٢٦/١٠ ، ٥٦٢/١٠)

* بنو أسد (١٠/٩٤ ، ١١٠) .

شم طيء (٣٥٩/١٤) ، وبنو مضرن (١٢٤/١٥) ، وبنو فزارة (١١/١٥٥) ، وبنو سليم (٥٤٦/١٠) ، والهجريون (٣٤٤/١) ، والبحرينيون (٦٢/١) .

٣ — وهو في معظم حالاته يسجل سماعه دون أن ينسبه ومن ذلك :

(أ) سمعت بعض العرب (١/٧٤ ، ١٥٦ ، ٢/١٢٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٤/٢٠٠٠)

(ب) سمعت العرب (١/١١٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ٣٠٨ ، ٣٢٨ ، ١٧٨) .

(ج) سمعت غير واحد من العرب (١/٢١٢ ، ٢٦٧ ، ٢٠٠٠)

- (د) سمعت أعرابيا يقول (٢٤١ / ٣٧٧ ، ٠٠٠)
(ه) هذا سمعى من العرب (٢٦٣ / ١ ، ٠٠٠)
(و) سمعت امرأة من العرب (٥٨ / ٣ ، ٠٠٠)
(ز) هكذا سمعت من العرب (٣٣١ / ٣ ، ٠٠٠)

ومهما يكن من شيء فإن « تهذيب اللغة » يعد تابعا في منهجه « للعين »
تبعية كاملة ، بل بلغ من اتخاذه نموذجا له أن نقل مقدمة العين في مقدمته
نقلا يكاد يكون حرفيا ، بعد أن اعترف أن هذه المقدمة - بإجماع
اللغويين - من عمل أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد (١) .

أما من ناحية المادة اللغوية فحجم التهذيب ضخم جداً بالنسبة
لحجم العين . وقد أبدى الأزهرى كذلك اهتماماً كبيراً بأسماء البلدان
والأماكن والمياه . واهتم بإيراد الشواهد من القرآن والحديث بالإضافة
إلى الشعر ، كما عنى بإيراد القراءات المختلفة في مكانها المناسب (٢) .

البارع للقالى :

مؤلف هذا المعجم أبو على إسماعيل بن القاسم القالى المولود عام ٢٨٠
هجرية والمتوفى عام ٣٥٦ هجرية بالزهراء ضاحية من ضواحي قرطبة .

ويعد البارع أول معجم أندلسى ، وإن لم يكن له من الأندلسية
إلا مكان التأليف .

وقد دخلت نسخة من كتاب « العين » الأندلس ، ولم تكن موثقة
فأوزع الحكم الأموي إلى مجموعة من العلماء منهم « القالى » بم مقابلة

(١) تهذيب اللغة ٤١ / ١ .

(٢) الجرح ، ص ٤٦ .

الكتاب ولم يكن القالى يطمئن قبل ذلك الى صحة نسخة العين للخليل . ولكنه بعد المقابلة اقتنع بصحمة نسبته ، ولم ينسبه للبيت كما فعل غيره ، ولا تحفظ فقال « صاحب العين » كما فعل آخرون .

ويقول الأستاذ هاشم الطعان محقق البارع : « ولقد أتيح لى وأنا أحقر النص الذى بين يدي من (البارع) أن أقارن ما ورد فيه عن الخليل وهو أعظم الكتاب بنسختين مخطوطتين من العين فإذا بالكتابين متطابقين حذوك القذة بالقذة ٠٠ وبهذا يكون البارع أقدم نسخة وصلت إلينا من كتاب العين » (ص ٦٦) .

وقد أدخل القالى بعض زيادات وأجرى بعض تعديلات في كتاب العين « فقدم لكل مادة لغوية بما ورد عنها في مروياته . وارتأى أن يخالف في ترتيب الحروف بعض الشيء ، وأضاف بعض ما ظنه مهملا ، ونسب الشواهد غير المناسبة إلى قائلها — متى استطاع إلى ذلك سبيلا — وأكمل الشواهد المبتورة فكان من ذلك كله البارع . فالبارع إذن ليس إلا كتاب العين (موصولا) » . (مقدمة المحقق ص ٦٥ ، ٦٦) .

والى جانب هذه التعديلات والزيادات نجد خلافين آخرين أحدهما يتعلق بترتيب الأصوات ، والآخر يتعلق بالأبواب . فترتيب الخليل قد سبق ذكره ، أما ترتيب القالى فهو : هـ ح خ غ ق ك ض ج ش ل ر ن ط ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و أ ي .

أما اختلاف الأبواب فيتمثل في تسمية القالى للغيف : المواشى أو الأوشاب وفي إطلاقه على الثنائي اسم : الثنائى في الخط والثلاثى في الحقيقة . والخلاف كما يبدو خلاف لفظي لا حقيقي .

ولم يطبع « البارع » كله لأن المحقق لم يعثر على نسخة كاملة منه ،

وإنما عشر على قطعتين إحداهما في المتحف البريطاني والأخرى في مكتبة بباريس ، وهمما قطعتان مختلفتان . ومازال هناك أمل في العثور على نسخة كاملة في إحدى خزائن الشمال الإفريقين .

مختصر العين للزبيدي :

والكتاب كما هو واضح من عنوانه اختصار لمعجم العين مع تعديلات طفيفة وتصرف ليس بالكثير . ومؤلفه في غنى عن التعريف فهو مؤلف طبقات النحوين واللغويين ، ولحن العامة ، والاستدراك على أبنية سيبويه والواضح في علم العربية ، وجميعها قد طبع وحقق ^(١) .

وقد اطلعت على الجزء الأول من المطبوع ويقع في ثمانين صفحة ، وهي تعادل ست عشرة صفحة من مخطوطه ببغداد البالغ عددها ٢٣٢ صفحة . وقام بتحقيق هذا الجزء علال الفاسي ، ومحمد بن تاريت الطنجي ، ونشر التحقيق في السلسلة اللغوية التي تصدرها وزارة الدولة في المملكة المغربية .

وأهم ما قام به الزبيدي في مختصر العين :

(أ) التنظيم والتبويب : وقد شمل ذلك زيادة باب « للمضاعف الثنائي المعتل » وهو عند الخليل مدمج في باب « اللنيف » . كما شمل فصل أحرف العلة والهمزة وعدم دمجها كما فعل الخليل . وقد بدأ الزبيدي بالهمزة يليها الياء فاللواو .

(ب) تصحيح ما ورد من خلل أو تصحيف في العين مثل : جاء في

(١) حقق الطبقات الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ونشره بمصر . أما لحن العامة فقد حققه كل من الدكتور رمضان عبد التواب وعبد العزيز مطر . وأما الاستدراك فقد طبع في روما عام ١٨٩٠ . وأما الواضح فقد حققه الدكتور أمين السيد ونشرته دار المعارف عام ١٩٧٥ . وقد توفي الزبيدي عام ٣٧٩ هـ .

العين : رجل عقيم ورجال عقماء ٠ فصوب الزبيدي هذا الجمع بقوله :
ورجال عقми ٠

ومثل إيراد الزبيدي كلمة « الفقاعي » وهو الأحمر يخالطه بياض
في مادة (فقع) وكانت في كتاب العين في مادة (فقع) لتصحيفها ٠

(ج) الاختصار : وذلك عن طريق حذف الصيغة القياسية كالمصادر
والأفعال المضارعة والجموع القياسية ، وحذف القراءات والأحكام اللغوية
وأسماء اللغويين والرواة ٠ وإسقاط الشواهد كلها نثرية وشعرية (فيما
عدا بعض الشواهد القرآنية القليلة ، وما فيها من قراءات) ٠

(د) الاستدراك : وذلك بزيادة بعض الألiterations التي أهملها الخليل
وهي في اللغة ، أو إضافة بعض المعاني التي تركها للكلمة ٠ إلا أن الزبيدي
— كما ذكر في خاتمة الكتاب — « لم يستحسن جميع ما أهمله العين لأنـه
اكتفى بكتابه الذي خصصه لهذا الموضوع ، ولأنـه أراد أنـ يكون المختصر
صورة موجزة لما في الأصل من مواد » (١) ٠

المحيط للصاحب بن عباد :

شهد القرن الرابع معجماً رابعاً يسير على طريقة الخليل وهو معجم
« المحيط » للوزير الأديب المشهور الصاحب بن عباد (٣٢٤ - ٣٨٥ هـ)
وقد ظل هذا المعجم في زوايا النسيان حتى قام الشيخ محمد حسن آل
ياسين بتحقيق بعض أجزاء منه ٠ وقد رجع المحقق إلى نسختين اثنتين
إحداهما نسخة المتحف البريطاني والأخرى نسخة كربلاء ٠ وتتجدد
أجزاء متتالية منه في مكتبات أخرى من العالم (٢) ٠

(١) أبو بكر الزبيدي وأثاره في النحو واللغة ص ٤٦٤ - ٤٨٢ ٠

(٢) انظر رأى الصفافى فى هذا المعجم بعد ، حين عرضنا لمعجم
العباب له ٠

الحكم لابن سيده :

وهو من معاجم القرن الخامس الهجري ومؤلفه أشهر علماء اللغة في الأندلس في هذا القرن ، وبرغم أنه كان كفيلاً فقد ألف هذا المعجم والذ معجماً آخر ضخماً سيرد فيما بعد وهو « المحسن » . ولم يتع للحكم أن يطبع جميعه بعد ، فقد أصدر معهد المخطوطات بالقاهرة جزءه الأول عام ١٩٥٨ وتتابعت الأجزاء حتى صدر السابع عام ١٩٧٣ ووصل إلى مادة (ش ص م) .

ونظام الحكم هو هو نظام العين مع فروق طفيفة ، مثل إدماج الخليل المهمزة في حروف العلة ، وإفراد ابن سيده المهمزة بالذكر ، ومثل احتساب الخليل الألف اللينة حرف علة ، وتجاهلها من ابن سيده تماماً ، لأن الألف المدودة في العربية ترد — إذا كانت أصلية — إما إلى الواو أو الياء .

ويعترض صاحب الحكم بأنه حذف منه أموراً لا غنا عنها ، ونبه فيه على أشياء لابد من التتبيل عليها .

(أ) فقد حذف مثلاً المستحبات القياسية لاطرادها .

(ب) وميز بين المشتبهات كالجمع واسم الجمع وجمع الجمع .

ومات ابن سيده عام ٤٥٨ هـ .

مثالان تطبيقيان على معاجم الترتيب الموصى:

المثال الأول: اذا أردنا أن نبحث عن كلمة « مرید » في قوله تعالى : « وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً » نسير على الخطوات الآتية :

الجذر : مرداً •

الكتاب : الدال •

القسم : الثلاثي الصحيح •

المادة : درم •

التقلييات : درم - دم ر - ردم - رم د - م در - م رد

المثال الثاني: اذا أردنا ترتيب عدد من الكلمات في معجم العين أو أحد توابعه فإننا نسير على الخطوات التالية حين يكون المراد ترتيب الكلمات الآتية :

(١) غربال - ررف - ظنين - تل - تروية - فدان - دبابة -
موعدة - دندنة - غيم •

١ - نحدد أعمق الأصوات في كل كلمة ونكتبها فوقها (بعد تجريدتها من الزوائد) :

غ ر ظ ت ر ا د د د
غربال - ررف - ظنن - تلل - روى - فدن - دبب - واد -
د غ
دندن - غيم •

٢ - تقسم الكلمات الى مجموعات حسب أعمق الأصوات هكذا :

مجموعة الغين [غربل - غيم] •

مجموعة المدال [فدن - دبب - واد - دندن] •

مجموعة الناء [تلل] •

مجموعة الظاء [ظنن] •

مجموعة الراء [ررف - روى] •

٣ - ترتيب كل مجموعة تشتمل على أكثر من كلمة حسب القسم :

العين : غيم / غربل .

الدال : دبب / دندن / فدن / واد .

الباء : تلل .

الظاء : ظلن .

الراء : ررف / روى .

٤ - اذا وجد لفظان ينتميان الى نفس القسم يرتبان حسب المادة .
وينطبق ذلك على لفظي دندن ودبب اللذين يقعان في قسم الثنائي .
 وبالحصول على المادة وهي دن ودب نجد دندن تسبق دبب .

وعلى هذا يكون الترتيب النهائي على النحو التالي :

غيم - غربال - دندن - دبابة - فدان - موعدة - تل -
ظلين - ررف - تردية .

(ب) دائرة - غصنفر - براشن - دريئه - تمثال - غرنوق -
فرند - ورم - ثلاثة - تأييد - غاية .

الترتيب : (غ) غاية - غرنوق - غصنفر .

(د) دائرة - دريئه - تأييد - فرند .

(ث) ثلاثة - تمثال - براشن .

(ر) ورم .

والترتيب النهائي : (١) غاية (٢) غرنوق (٣) غصنفر (٤) دائرة
(٥) دريئه (٦) تأييد (٧) فرند (٨) ثلاثة (٩) تمثال (١٠) براشن (١١) ورم .

(ب) مدرسة الترتيب الألفبائي

١ - وضع الكلمة تحت أسبق حروفها ^(١) :

الجمهرة لابن دريد :

سار ابن دريد في معجمه الجمهرة على الترتيب الألفبائي العادي ، ووضع الكلمات تحت أسبق حروفها في الترتيب الهجائي ولكن عقد نظامه أن المؤلف اتبع المنهج الآتي :

١ - قسم أبنية الكلام إلى ثنائى وثلاثى ورباعى وخمسى وسداسى ^(٢) ولقيف ، وببدأ بهذا التقسيم . ولم يكتفى بهذه القسمة السادسية فعقد الموضوع بتقسيمات فرعية ، فالثنائى تحته :

(أ) ثنائى صحيح مثل أبب وأazz .

(ب) ثنائى ملحق ببناء الرباعى وهو المكرر أو الذى ضعف فيه حرفان مثل زل زل .

(ج) ثنائى معتل وما تشعب منه مثل باء وشوى (اعتبر المهمزة من حروف العلة) . والثلاثى تحته :

(أ) ثلاثى صحيح مثل بـكـلـ .

(ب) ثلاثى يجتمع فيه حرفان مثلان بـتـتـ .

(ج) ثلاثى عين الفعل منه أحد حروف اللين مثل بـاـبـ .

(د) ثلاثى معتل الآخر بـتـ (وـاـيـ) .

وهكذا . وقد تتبع الدكتور عبد السميع أبواب الجمهرة فحصرها في سبعة عشر بابا ^(٣) .

(١) أسبق حروفها في الترتيب الهجائي مهما كان موضعه في الكلمة .

(٢) عبر عنه بقوله : هذه أبواب الحقن بالخماسى بالزواائد التي فيها — ويقوله : الملحق بالسداسى — وبقوله : السادسية وان كان الأصل غير ذلك . وذكر له الأمثلة الآتية : سـحـنـكـ وـمـبـرـنـشـقـ .. الخ .

(٣) المعاجم العربية ، ص ٥٥ .

٢ - رتب الكلمات تحت كل باب على الترتيب الهجائي العادي . لأنه اعتبر الترتيب الصوتي مسلكاً وعرا لا يقدر على السير فيه إلا المتخصصون ، يقول : « وقد ألف أبو عبد الرحمن بن أحمد الفرهودي كتاب العين فأتعجب من تصدى لغايته ، وعنى من سما إلى نهايته ، ٠٠٠ ولكن رحمة الله أله كتابه مشاكلاً لشقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل ذهره وأملينا هذا الكتاب والنقص في الناس فاش » (١) ، ويقول : « وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة ، إذ كانت بالقلوب أبعق ، وفي الأسماع أندى ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة » (٢) .

٣ - اتبع نظام التقليبات كالخليل . ومعنى هذا أننا لا نجد الكلمة تحت حرفها الأول ، وإنما تحت أسبق حروفها في الترتيب الهجائي مما كان مكان هذا الحرف . وكلمة عبد ترجمت في الباء لأنها أسبق الحروف في الترتيب ، وكلمة سمع توجد تحت السين وهكذا .
ويوجد بين العين والجمرة وجهًا شبه رئيسيان هما :

١ - التقسيم الكمي .

٢ - التقليب .

كما يوجد بينهما وجهًا خالف رئيسيان هما :

١ - الترتيب الصوتي في العين ، والهجائي في الجمرة .

٢ - بدء العين بمرحلة الترتيب الهجائي (الصوتي) ثم تقسيم كل حرف تقسيماً كميًا ، أما الجمرة فتقيداً بالتقسيم الكمي ، ثم تقسم كل نوع إلى أبواب بعد حروف الماء .

وهناك جملة مأخذ أخذت على ابن ديريد منها :

١ - التكرار حيث جعل قسمًا للثانية الصحيح ، وهو ما ضعف فيه الحرف الثاني مثل أَرْزَ ، ثم جعل قسمًا للثالثي يجتمع فيه حرفان مثلان في أي موضع ، وذلك يشمل الثنائي الصحيح وزيادة .

(١) الجمرة ٣/١ .

(٢) المرجع السابق .

٢ - اعتباره المهمة من أحرف العلة

٣ - من أبوابه باب سماه اللفيف^(١) وهو يضم الكلمات التي جاءت على أوزان قليلة . وقد حشدتها بدون ترتيب وببعضها سبق توزيعه على الأبواب .

٤ - في أبواب الثلاثي الصحيح نجده يذكر أمثلة للثلاثي المعتل مثل :

ب ن و - ب و ه مع أن للمعتل بابا خاصا به .

٥ - اعتباره تاء الثنائي أحيانا من بنية الكلمة وعدها ضمن حروفها ومن ذلك ذكره كلمة « عجة » في مادة ج ع ه وقال : « العجة ضرب من الطعام عربية صحيحة » . وحقها أن تذكر في الثنائي الصحيح . والغريب أن ابن دريد ذكرها مرة ثانية في « باب من الثلاثي الصحيح » . حرغان مثلان في أي موضع » . ومن ذلك ذكره كلمة « ثبرة » في الرباعي وتعليله ذلك بأن الماء لازمة . بل ذكره كلمات ثلاثية لا تلزمها التاء في قسم الرباعي مثل « جثبة » و « جنبة »^(٢) .

٦ - مناقضته اسم معجمه وما نبه عليه في المقدمة من إيثاره للجمهر من كلام العرب ، وتجاهله للوحشى والمستنكر ، فأكثر من الألفاظ الغريبة ، حتى انفرد بأشياء لم ترد في معاجم غيره . ويتبين ذلك من مراجعة الماده اللغوية التي احتواها المزهر للسيوطى في الفصل الخاص بمعرفة الضعيف والمنكر والمتروك من اللغات ، فمعظمها مأخوذ من الجمهرة^(٣) .

(١) قال : وسمينا لفيما لقصر أبوابه والتقات بعضها إلى بعض .

(٢) هذه المأخذ وردت في المعاجم العربية الذكور عبد الممبيع ص ٥٩ وما بعدها . وجبلة الجرح القطعة الرقيقة من الجلد التي تركها عند البرء .

اما الجنبة فهى علبة تتخذ من جلد جنب البعير .

(٣) الجرح : ص ٤٣ .

٧ — وأخطر من هذا ، تلك التويمة التي أصدقها به الأزهري وذلك في قوله : « وَمِنْ أَلْفِ فِي عَصْرِنَا الْكَتَبُ فَوْسِمُ بِالْأَفْتَالِ وَتُولَّدُ الْأَلْفَاظُ ۰۰ وَإِذْخَالُ مَا لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ دَرِيدٍ وَتَصَفَّحَتْ كِتَابَ الْجَمْهُورَةِ لَهُ فَلَمْ أَرِهِ دَالًا عَلَىٰ مَعْرِفَةِ ثَاقِبَةٍ وَعَثَرَتْ مِنْهُ عَلَىٰ حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ أَنْكَرَتْهَا وَلَمْ أَعْرِفْ مَخَارِجَهَا » ^(١) ۰

٨ — ويبدو أن معظم أخطاء ابن دريد قد نتجت عن عدم خبرته بعلم الصرف وفي ذلك يقول ابن جنى : « وَأَمَّا كِتَابُ الْجَمْهُورَةِ فَفِيهِ أَيْضًا مِنْ اضطِرَابِ التَّصْنِيفِ وَفِسَادِ التَّصْرِيفِ مَا أَعْذَرْ وَاضْعَهُ فِيهِ لِبَعْدِهِ عَنِ الْعِرْفِ هَذَا الْأَمْرُ ۰ وَلِمَا كَتَبَتْهُ وَقَعَتْ فِي مَتْوَنَهُ وَحْرَاشِيهِ جَمِيعًا مِنْ التَّبَيِّهِ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ مَا اسْتَحْيِيَتْ مِنْ كُثْرَتِهِ ۰ ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا طَالَ عَلَىٰ أَوْ مَاتَ إِلَىٰ بَعْضِهِ وَأَضْرَبَتِ الْبَتَّةَ عَنِ بَعْضِهِ » ^(٢) ۰
ويبدو أن ابن دريد كان يحس بالنقص في عمله ويعتذر بأنه أملى الكتاب ارتاجلا « لا عن نسخة ، ولا تخليل في كتاب قبله ۰ فمن نظر فيه فليخاصم نفسه بذلك فيعذر إن كان فيه تقدير أو تكريير » ^(٣) ۰

ولكننا من ناحية أخرى نجد من العلماء من يشهد له ويقدمه على منافسيه . يقول المسعودي : « وَكَانَ أَبُو دَرِيدَ بِبَغْدَادِ مِنْ بَرِّ زَمَانِنَا هَذَا فِي الشِّعْرِ ، وَأَنْتَهَى فِي الْلُّغَةِ ، وَقَامَ مَقَامُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ فِيهَا ، وَأَوْرَدَ أَشْيَاءَ فِي الْلُّغَةِ لَمْ تَرْجِدْ فِي كِتَابِ الْمُتَقَدِّمِينَ » ^(٤) ۰ ويقول

(١) ٣١/١

(٢) المزهر ٩٣/١ نقلًا عن الخصائص .

(٣) الجمهرة ٢٦٨/٣ .

(٤) ونبات الاعيان ٤٤٨/٣ .

أبو الطيب اللغوى : « هو الذى انتهى إليه علم لغة البصريين ٠ وكان أحفظ الناس وأوسعهم علما وأقدرهم على الشعر ٠ وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحاماً ما في خلف الأحمر وابن دريد » (١) ٠
ويدافع عنه السيوطي قائلاً : « معاذ الله هو برىء مما رمى به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحريره في روایته ٠ ولا يقبل فيه طعن نفطريه لأنه كان بينهما منافرة عظيمة » (٢) ٠

وكانت وفاة ابن دريد عام ٣٢١ هـ عن نيف وتسعين سنة ٠ وكان قد أصيب بالفالج على رأس التسعين ثم شفى ثم أصيب به مرة ثانية ٠ وقد طبع معجم الجمهرة في حيدر آباد بالهند عام ١٣٤٤ هـ في ثلاثة مجلدات الحق بها مجلد خاص للنهارس ٠ وقد قام على تصحيحه رجالاً هما الشيخ محمد السورى والمستشرق الالمانى فريتيس كرنوكو ٠

ويبدو أن تعقد منهج الجمهرة ٠ وتمسك ابن دريد بنظام التقليبات برغم طرحه لترتيب الخليل الصوتى كانا من أسباب انصراف المعجميين عن اتباع نظام الجمهرة ، ولذا يقف ابن دريد وحده دون أتباع أو مريدين (٣) ٠

(١) مراتب النحوين ص ٨٤ ٠

(٢) المزهر ٩٣/١ ٠

(٣) ولكن هذا لم يمنع تأليف بعض الكتب حوله مثل : فائت الجمهرة لأبى عمر الزاهد ، وجواهرة الجمهرة للصاحب بن عباد ، وشرح شواهد الجمهرة لأبى العلاء المرى ٠

مثالاً تطبيقيان على معجم الجمهرة :

المثال الأول : البحث عن الكلمة « ربابة » في الجمهرة :

الجذر : رب •

القسم : الثنائي •

الباب : الباء •

المادة : بر •

التقليليات : بر - رب •

المثال الثاني : ترتيب الكلمات الآتية حسب ورودها في معجم الجمهرة :

علقم - سبابة - ابتلاء - توبيخ - دلال - عصفور - دقيق -

ابنثاق - ركود - شتيمة •

١ - مجموعة الثنائي بعد التجريد : [سبب - دلال - دقيق] •

مجموعة الثلاثي الصحيح : [بثق - ركد - شتم] •

مجموعة الثلاثي المعتل : [بلو - وبخ] •

مجموعة الرباعي : [علقم - عصفر] •

٢ - ترتيب كل مجموعة حسب أسبق الحروف :

(أ) سبب - دلال - دقيق •

(ب) بثق - شتم - ركد •

(ج) بلو - وبخ •

(د) عصفر - علقم •

٣ - ترتيب ما أتفق أسبق الحروف فيه حسب المادة :

(أ) بس - دق - دل •

(ب) ب ث ق — ت ش م — د ر ك ٠

(ج) ب خ و — ب ل و ٠

(د) ر ص ع ف — ع ق ل ه ٠

٤ — الترتيب النهائي :

سيابة — دلال — دقيق — انثاق — شتيمة — ركود — ابتلاء —

توبيخ — عصفور — علقم ٠

٥ — وضع الكلمة تحت أول حروفها الأصلية :

ظهر هذا النوع من المعجم منذ وقت مبكر لا يتجاوز النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ٠ وأقدم معجم سلك هذا النظام هو :

معجم الجيم لأبي عمرو الشيباني :

وتوجد من المعجم نسخة مصورة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٠ كما قام المجمع بطبعه في ثلاثة أجزاء الأول منها إبراهيم الإبياري (١٩٧٤) والثاني عبد العليم الطحاوى (١٩٧٥) والثالث عبد الكريم العزيزاوى (١٩٧٥) وألحق بالمعجم جزء رابع يشتمل على الفهارس (١٩٨٣) ٠

ويعد الشيباني من المعمرين فقد ولد قبل الخليل (٥٩٤) ، وتوفى بعده (٢٠٦) ٠ ولهذا يطرح بعضهم احتمال أن يكون الشيباني سبقاً للخليل في وضع معجمه ^(١) ٠

وأبو عمرو راوية كوفي أخذ اللغة مشافهة عن الأعراب ورحل إلى البادية ، وكانت له مشاركة في رواية الحديث ٠

(١) انظر : في علم اللغة العام لشاهين ، ص ١٩٧ ٠ وانظر في ذكر الخلاف حول مولده ووفاته : مقدمة المحقق لكتاب الجيم ، ص ١٠ وما بعدها . ويختار ديم ان يكون مولده حوالي سنة ١٢٠ ووفاته سنة ٢١٣ (ص ١٩٤١٨) ٠

ويقولون : إن مؤلف الجيم كان ضئينا به ، ولم ينسخ في حياته ، فقد بعد موته إلا يسيراً . وحين أراد مجمع اللغة العربية تحقيقه لم يعثر إلا على نسخة واحدة ومع ذلك يقول المحقق عن الكتاب : « ولكنه لا شئ ليس على صورته النهائية التي أرادها له واضعه ، كما أنه لا يحمل مقدمة تعرف بمنهجه وتعلل تلك التسمية » ويقول أيضاً : « هذا إلى أن ورود بعض الأبواب مبتورة يكاد يؤكّد لنا أن الكتاب لم يتم استصفاء على يدي صاحبه أبي عمرو وأن الموت عجل به عن ذلك » ^(١) .

ويبدو أن عدم تداول الكتاب جعل العلماء يظنون أن سبب التسمية أنه انتهى بحرف الجيم كما ذكر كونكو أو أنه بدأ بها كما ذكر كثيرون لكن قال أبو الطيب اللغوي : « وقفت على نسخة منه فلم نجده مبدواً من الجيم » . وكلام أبي الطيب حق ، فالمعجم لا يبدأ من الجيم وإنما يسير على الترتيب الهجائي العادي بحسب أوائل الكلمات بعد تجريدها من الزوائد ، ولكنه لم يدخل في الترتيب ثوانى الكلمات وثوالثها . وللهذا نجد كلمات حرف الألف تتتابع هكذا : أوق - ألب - أفق - أزح - أنس - أرب - أخذ الخ .

وربما كانت أهم ميزة لهذا المعجم أن ألفاظه خلاصة استصفاء لشعر شعراء قبائل تربى على الثمانين يكاد جل شعرهم يكون مجهولاً يعز تتبعه في المراجع التي بين أيدينا . كما أن هذه الكلمات تحمل شروحها لا تتطوى عليها معاجمنا ، وتكون غريبة عليها ^(٢) .

ولهذا فإن كتاب الجيم يمكن تسميته معجماً على سبيل التجوز ، لأنّه يهتم بالألفاظ الغريبة التي لا يكاد يعرفها غيره ، والتي تنسب إلى قبائل معينة قديمة ، ويبدو أن المؤلف - لجريه وراء الغريب - قد أطلق على معجمه لفظاً وأراد به معناه الغريب . فالجيم في اللغة الديجاج ،

(١) ص ٣٥ ، ٤٦ .

(٢) مقدمة المحقق ص ٤٧ ، وفرنر ديم ص ٥٧ .

وهذا هو المعنى الذى ربما عناء المؤلف تشبيها لعمله بالديباج لحسنـه^(١) . ولكن يعکر على هذا التخريج أن تفسير الجيم بالديباج لم يرد في معجم الجيم نفسه .

وهناك احتمال آخر هو أن يكون المؤلف قد بدأ معجمه بالجيم فعلا ، ولكن جاء بعده من أعاد ترتيب الكتاب على الترتيب الهجائي المعروف ويبقى السؤال : لماذا اختار الجيم على هذا الاحتمال ؟ الإجابة يلخصها الأستاذ إبراهيم الإبياري محقق الكتاب في قوله :

(أ) إما لأنـه كره أن يبدأ بالباء أول الحروف لأنـه لابد معها من النص على نقطها حتى لا تلتبس بالباء والثاء . وهذا يطول العنوان ، ولذا بدأ بالجيم الذي لا يلتبس في اسمه بحرف آخر .

(ب) أو لأنـ الجيم أحد حروف خمسة تجمع بين المجهـر والشدة^(٢) .

وقد كان أول من نوه بمعجم الجيم وأشار إلى أهميته المستشرق فـ كرنـكـو ولكنه هو ومن جاء بعده من المستشرقين أخفقوا في تحقيقـه .

وفي عام ١٩٦٨ صدرت أول دراسة علمية مفصلة عن المعجم برسالة أعدـها فـرنـر دـيم لنـيل شـهادـةـ الدكتورـاهـ من جـامـعـةـ لـودـفـيكـ مـكـسيـمـيلـيانـ في مـيونـيـخـ . وـتـرـجـمـ بـحـثـ فـرنـرـ دـيمـ إـلـىـ العـرـبـيـةـ وـنـشـرـ عـامـ ١٩٨٠ـ . وـقـدـ أـثـبـتـ دـيمـ أـنـ كـثـيرـاـ مـاـ مـادـةـ «ـجـيمـ»ـ لـمـ يـرـدـ فـيـ المـاعـجمـ الـأـخـرـ ،ـ وـأـنـ عـلـمـاءـ الـلـغـةـ الـمـاتـخـرـيـنـ لـمـ يـأـخـذـوـ مـنـهـ إـلـاـ قـلـيلـاـ .ـ كـمـ ذـكـرـ أـنـ فـيـ جـيمـ

(١) هذه المعلومات مأخوذة من بغية الوعاة - كشف الظنون - الاعلام للزركلى - دلالة الألفاظ للدكتور ابراهيم انيس (ص ٢٢٣) - محاضرات في علم اللغة للمؤلف (ص ٢٠٧) .

وقد ذكر الدكتور عدنان الخطيب أن لأبي عمرو الشيباني معجما سمياه «الحروف» رتبه على الترتيب الهجائي العادى (المعجم العربى ، ص ٢٩) . وراجع ما ذكره في ص ٣٢ ، ٣٣ كذلك .

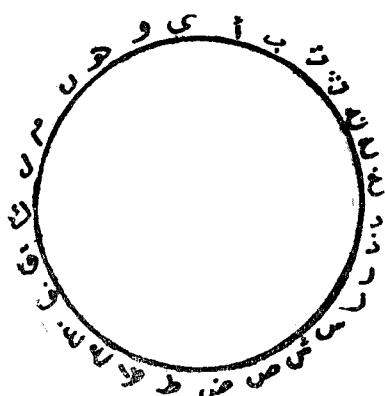
(٢) مقدمة الجيم ص ٣٨ ، ٤٠ .

عددًا ضخماً من الشواهد الشعرية التي يصعب العثور عليها في مراجع أخرى . وهذا وذاك يعطى المعجم أهمية كبيرة ^(١) .

المقاييس لابن فارس :

ولد ابن فارس (أحمد بن زكريا القزويني) وعاش ومات في القرن الرابع الهجري قرن النهضة المعممية الشاملة . وكانت ولادته عام ٣٣٩ هـ (٢) ووفاته عام ٣٩٥ هـ . آثار ابن فارس اللغوية عديدة منها «الصحابي في فقه اللغة» ومنها «المجمل» بالإضافة إلى معجمه مقاييس اللغة الذي معنا . وقد أقيم نظام المقاييس على أساسين هما :

١ - اتباع الترتيب الهجائي العادي . ولكنه لم يكن يبدأ شوانى الكلمات من أول الألفبائية ولكن من الحرف الذي يلى الحرف الأول . وحينئذ فقوله : باب الحاء وما بعدها يعني به الحاء مع الخاء ، ثم يسير إلى نهاية الألفبائية ، ويبدأ من الهمزة ويقف عند الجيم . وقد شرح الدكتور عبد الله درويش الفكرة قائلاً : فإذا تصورنا أن الأبجدية منتظمة في شكل دائرة فإن الترتيب يبدأ من الحرف المعين مبتدئاً بتأليفه مع



(١) ديم ص ١٤٨ ، ١٥٨ .

(٢) ذكر ذلك عدنان الخطيب ص ٣٩ ، وأكد الاستاذ هلال ناجي أنه ولد سنة ٣١٢ والأرجح أنه ولد خلال العقد الأول من القرن الرابع أو بداية العقد الثاني (مقدمة التحقيق لمجمل اللغة) .

ما يليه في الدائرة ثم ينتقل إلى الحرف الثاني وهكذا حتى تعود الدائرة من حيث بدأت وهكذا :

وفعل مثل ذلك في الحروف الثالثة ^(١) . وعلى هذا فكلمة مثل « عبد » توضع في المقاييس بعد كلمة « عقد » لأن القاف تلى العين بحرفين أما الباء فلا يأتي دورها إلا بعد الانتهاء من جميع حروف الهجاء ثم البدء بالهمزة ثم الباء ^(٢) .

٢ - تقسيم كل حرف من حروف الهجاء أقساماً ثلاثة (إن وجدت الثلاثة) أو بعضها (إن لم توجد كلها) . وهذه الأقسام هي : (أ) المضاعف . (ب) الثالثي الأصول . (ج) ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف .

وأهم ما يميز المقاييس إلى جانب ذلك شيئاً :

١ - محاولةربط المعانى الجزئية للمعنى بمعنى عام يجمعها أو معن عام . وخير مثال لذلك مادة « جن » التي ردها إلى معنى الستر والتستر ، وفرع على ذلك : الجنة لأنها ثواب مسchor عنهم اليوم - والجنة بمعنى البستان لأن الشجر بورقه يستتر - والجنين الولد في بطن أمه - والجنان القلب - والجن الترس ، وكل ما استتر به من السلاح فهو جنة - والجنة الجنون ، وذلك أنه يغطى العقل - وجنان الليل سواده وستره الأشياء - والجن سموا بذلك لأنهم مستترون ^(٣) .

٢ - مذهبه الخاص في الرباعي والخامسي الذي شرحه بقوله :

(١) المعجم العربي من ١٤٤ .

(٢) يبدو أن ابن خارس أخذ فكرته البدء في الثنائي بما يلى الأوائل وفي الثنائي بما يلى الثنائي - أخذها عن معاجم التقلييات . ولكن معاجم التقلييات فعلت ذلك تجنبًا للتكرار ، ولا حكمة في صنيع ابن خارس .

(٣) ٤٢١/١ ، ٤٢٢ .

« اعلم أن للرباعي والخمسى مذهبا في القياس يستتبعه النظر الدقيق . وذلك أن أكثر ما تراه منحوت . ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتحت منها كلمة تكون آخذة منها جميعا بحظ . والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم : حيعل الرجل اذا قال حى على ٠٠ فعلى هذا الأصل بنينا ما ذكرناه من مقاييس الرباعي فنقول : إن ذلك على ضربين : أحدهما المنحوت الذي ذكرناه . والضرب الآخر الموضوع وضععا لا مجال له في طرق القياس ٠٠ » ^(١) .

ومن يراجع مادة المقاييس يجد ابن فارس يضيف إلى هذين الضربين ضربا ثالثا وهو : « ما يجيء على الرباعي وهو من الثلاثى على ما ذكرناه لكنهم يزيدون فيه حرفاً لمعنى يريدونه من مبالغة » ^(٢) .

وأمثلة هذه الأنواع الثلاثة كما يلى :

١ - بحتر : القصير المجتمع الخالق من بتر وحتر : فال الأول كأنه حرم الطول فبتر خلقه ، والثانى لأنه ضيق عليه ولم يعط ما أعطيه الطويل .

٢ - أما ما وضع وضععا فمثل له بالبخنق والبرغز والبرذن والبرشم ^(٣) . الخ ٠٠

٣ - أما ما زيد فيه حرف فمثاله بلعوم من البلع ، وبرقع ، بزيادة الباء ، وبلسم بزيادة الميم وبلغع بزيادة اللام .

وقد طبع معجم مقاييس اللغة في مصر بتحقيق الأستاذ الكبير عبد السلام هارون في ستة مجلدات وزود بفهرس دقيقة وافية .

. ٣٢٩/١ (١)

. ٣٢٥/١ (٢)

(٣) البخنق : برقع يغشى العنق والصدر . والبرغز : ولد البقرة الوحشية . والبرشم : البرقع .

مجمل اللغة لابن فارس :

عده بعضهم أفضل ما ألف ابن فارس وأشهره ، وقد قام بتأليفه – كما ذكر في مقدمته – ليتلافى تعقيدات المعاجم السابقة مثل العين والجمحة . ولذا ألفه مختصرًا قرباً ، قليل اللفظ ، كثير الفوائد ^(١) .

ويكشف عنوان الكتاب عن منهجه ، وهو الإجمال الشديد ، والتقليل من الشواهد والتصاريف . كما أن المؤلف يكشف عن جوانب أخرى من النهج في مقدمته حين يصف المعجم بصغر الحجم وحسن الترتيب . وفي أوائل الأحرف قد يتحدث المؤلف عن جوانب أخرى من منهجه كقوله في أول حرف الجيم : « هذا باب الجيم من مجمل اللغة وقد ذكرنا فيه الواضح من كلام العرب والصحيح منه دون الوحشى المستنكر . ولم نأله جهداً في اجتناب المشهور الدال على غريب آية أو تفسير حديث أو شعر . والمتوكى من كتابنا هذا من أوله إلى آخره : التقريب والإبانة عما اختلف من حروف اللغة فكان كلاماً ، وذكر ما صح من ذلك سمعاً ، ومن كتاب لا يشتكى في صحة نسبة » ^(٢) .

أما ترتيبه فهو نفس ترتيب المقاييس أي الترتيب الهجائي مع بدء الثاني مما يلى الأول والثالث مما يلى الثاني والتقسيم الكمى إلى مضاعف وثلاثى وما زاد على ثلاثة أحرف .

بين المقاييس والمجمل :

رغم اتفاق المعجمين في الترتيب فهما يختلفان في عدة جوانب منها :

١ - يقوم المقاييس على جملة من الأقياس تتعلق بالثلاثى والرباعى كما سبق أن ذكرنا أما المجمل فمعجم عادى همه إيصال معانى الألفاظ إلى القارئ .

(١) مقدمة التحقيق للمجمل ص ٩٦ .

(٢) مجمل اللغة ٣٨٢/١ .

٢ - ينفرد المجمل بذكر مواد كثيرة لم يشير إليها في المقاييس ^(١) .

وقد طبع المجمل طبعتين محققتين ، أولاهما بتحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، في أربعة أجزاء ، والأخرى بتحقيق هادي حسن حمودي في خمسة أجزاء ، من منشورات معهد المخطوطات العربية بالكويت .

مثالان تطبيقيان على معجمي المقاييس والمجمل :

المثال الأول : البحث عن الكلمة « متکلف » في أحد المعجمين :

الجذر : کف

البائب : الكاف .

القسم : الثلاثى .

المادة : الكاف والملام وما يتلذّهما .

المثال الثاني : ترتيب الكلمات الآتية حسب ورودها في أحد المعجمين :

بهو — حيتان — أتان — تعبير — درهم — بثور — أزيزا —
صيام — صنبور — بزخ — دخان — صراء — دهان .

(١) تقسم الكلمات إلى مجموعات حسب حرفها الأول بعد التجريد :

* أتن — أزز .

* بهو — بشر — بزخ .

* حوت .

* دبر — درهم — دخن — دهن .

* صوم — صنبور — صراء .

(١) مقدمة التحقيق للمجمل من ١١٥.

(ب) ترتيب الكلمات كل حرف حسب حجمها :

* أَرْزُ / أَتَنْ •

* بَهْوٌ - بَشْرٌ / بَرْزَخٌ •

* حَوْتٌ •

* دَبْرٌ - دَخْنٌ - دَهْنٌ / دَرْهَمٌ •

* صَوْمٌ - صَحْرَاءً / صَنْبُورٌ •

(ج) ترتيب الكلمات كل قسم حسب الثنائي والثلاثي :

* أَرْزُ - أَتَنْ •

* بَشْرٌ - بَهْوٌ - بَرْزَخٌ •

* حَوْتٌ •

* دَهْنٌ - دَبْرٌ - دَخْنٌ - دَرْهَمٌ •

* صَوْمٌ - صَحْرَاءً - صَنْبُورٌ •

فيكون الترتيب النهائي :

أَرْيزٌ - أَتَانْ - بَثُورٌ - بَهْوٌ - بَرْزَخٌ - حَوْتٌ - دَهَانٌ - تَدْبِيرٌ -
دَخَانٌ - دَرْهَمٌ - صَيَامٌ - صَحْرَاءً - صَنْبُورٌ •

أساس البلاغة للزمخضري :

ولد الزمخضري عام ٤٦٧، وتوفي عام ٥٣٨ و هو أول من اكتمل على يديه نظام الترتيب الألفبائي . وقد ذكر في سبب اختياره له ما يأتي : « وقد رتب الكتاب على أشهر ترتيب متداولاً ، وأسهله متناولاً ، يهم في طلبه - موضوعة على طرف الثمام وحبل الذراع » . ونظام الزمخضري هو النظام الحديث الذي ينظر إلى الأوائل فإذا اتفقت ينظر إلى الثنائي فإذا اتفقت ينظر إلى الثالث . ويشرح الزمخضري

خطته قائلاً : « من خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع في عبارات المدعين وانطوى في استعمالات المفلكين من التراكيب التي تملح وتحسن ..

« ومنها التوقيف على مناهج التركيب والتأليف .. بسوق الكلمات متناسقة لا مرسلة بدوا ، ومتناهية لا طرائق قددا ..

« ومنها تأسيس قوانين فصل الخطاب والكلام الفصيح بإفراد المجاز عن الحقيقة ، والكتابية عن التصرير .. »^(١) ..

ولعل أهم ما يميز الكتاب — إلى جانب سهولة ترتيبه — ما أقرمه المؤلف من التقرير بين المعانى الحقيقية والمعانى المجازية للكلمة ، وبدينه بالمعنى الحقيقى .. ومن أمثلة ذلك قوله :

١ — سيف وسنان ذَرِبٌ .. وفيه ذَرَبٌ وذَرَابَةٌ : حدة .. ومن المجاز : لسان ذرب .. وسم ذرب ..

٢ — مجَّ الماء من فيه .. وشیخ وبعير ماجَ : هرم لا يمسك ريقه .. ومن المجاز : مزج الشراب بمجاج المزن وبمجاج النحل .. وهذا كلام تمجه الأسماع .. وإذا كان الزمخنرى قد وفق في الأمثلة السابقة وغيرها فهو لم يوفق في بعض آخر مثل :

١ — يقال أشد من وخز الإبر .. ومن المجاز : إبرة القرن لطرفه ..

٢ — أرتج الباب : أغلقه إغلاقاً وثيقاً .. ومن المجاز : أرتجت الناقة : حملت فأغلقت رحمها على الماء .. وأرتجت الدجاجة : امتلاً بطنها بيضاً ..

٣ — كتب الكتاب .. انتسخه .. ومن المجاز : كتب عليه كذا : قضى عليه .. وكتب البغة وكتب عليها اذا جمع بين شفريها بحلقة .. وكتب النعل والقربة : خرزها بسيرين ..

(١) مقدمة المؤلف ص ٨ ..

وأهم ما نلاحظه على هذه الاقتباسات شيئاً :

- (أ) أنه ثبت المعانى الحقيقة والأخرى المجازية مع أن المجاز والحقيقة في حركة دائبة ويتبادلان مراكزهما .
- (ب) أنه عكس الوضع بالنسبة لكلمات « إبرة » و « أرجح » و « كتب » فاعتبر المجاز حقيقة والحقيقة مجازاً .

المصباح المنير للفيومي :

وهو من المعاجم الموجزة ، ومؤلفه من علماء القرن الثامن الهجري (١) . وقد اهتم فيه المؤلف بالاصطلاحات الفقهية ، لأنه هدف من تأليف معجمه إلى شرح ألفاظ « شرح الوجيز » الذي كتبه الرافعى (٢) على « الوجيز » (٣) المغزالى وفيه أكثر من الاستشهاد بالحديث النبوى (٤) .

والكتاب – كما ذكر الفيومى في خاتمة معجمه – قد جمع أصله من نحو سبعين كتاباً ما بين معاجم وموسوعات وكتب تفسير ونحو ودواوين شعر . ويزيد في قيمة المعجم أن المؤلف أدق بكتابه دراسة موجزة ضمت قواعد من النحو والاستدلال والتصريف والمصادر والجامعة والذكير والتأنيث والتفصيل والنسب .

(١) لم تحدد المراجع تاريخ مولده ، واستنتج بعضهم أن يكون قد ولد قبل عام ٧٠٠ . أما تاريخ وفاته فقيل في حدود ٧٦٠ وقيل ٧٧٠ .

(٢) هو أمّام الدين عبد الكريـم بن محمد بن عبد الكـريم بن الفضـل بن الرافعـي القزوينـي (٥٥٧ - ٦٢٣ هـ) وشرح الوجيز يسمى كذلك : « الشرح الكبير » و « وفتح العزيـز في شرح الـوجـيز » .

(٣) الـوجـيز كتاب في فقه الشافعـية .

(٤) من ذلك قوله في مادة « ثنى » : « اثنـيتـ علىـه خـيراـ وبـخـيرـ وأـثـنـيتـ عـلـيـه شـرـاـ وبـشـرـ .. وـفـي الصـحـيـحـيـنـ : مـرـواـ بـجـنـازـةـ فـاثـنـواـ عـلـيـها خـيراـ فـقـالـ عـلـيـه الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ وـجـبـتـ .. ثـمـ مـرـواـ بـأـخـرىـ فـاثـنـواـ عـلـيـها شـرـاـ فـقـالـ عـلـيـه الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ وـجـبـتـ » .

ملحوظة : سارت معاجم هذه المدرسة على اعتبار الأوائل ثم الثوانى ثم الثالث ، ولكن هناك طريقة غريبة سار عليها أبو حيان في معجمه « تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب » حيث اعتبر الأوائل ثم الثالث ^(١) .

٣ - وضع الكلمة تحت أول حروفها دون تجريد :

لم تظهر - في الحقيقة - معجمات قديمة كاملة اتبعت هذا النظام . وإنما ظهرت مجموعة من الكتب اللغوية التي اهتمت بنوع معين من المفردات وأهم هذه الكتب هو :

١ - « المصور والمدود » لابن ولاد المصرى المتوفى عام ٣٣٦ هـ وهو معجم يحصر كلمات المصور والمدود في اللغة العربية ، وسار فيه المؤلف على النحو التالي :

١ - وضع الكلمات تحت أوائلها بدون تفريق بين الأصلى والزائد .
٢ - اتباع نظام الترتيب الهجائى العادى وطرح نظام الخليل الصوتى .

٣ - عدم إعطاء أى اعتبار لثوانى الكلمات أو ثوالثها .

وقد طبع كتاب ابن ولاد حتى الآن طبعتين غير محققتين ، إحداها بإشراف الدكتور بول برونل في لندن - ليدن عام ١٩٠٠ ، والأخرى بإشراف السيد محمد بدر الدين الطببي في القاهرة عام ١٩٠٨ - وكلتاها مليئة بالتحريفات والأخطاء .

(ب) « غريب القرآن » لأبى بكر محمد بن عزير السجستانى المتوفى عام ٣٣٠ هـ

(١) انظر مقدمة المحققين ص ٧ - ٨ .

(ج) وقد لاقى هذا النظام رواجاً بصفة خاصة بين المؤلفين في غريب القرآن وغريب الحديث ، لأن عملهم في الحقيقة كان يخاطب الجمهور المسلم قبل المختصين في البحث اللغوي ، ولا شك أن هذا النظام أيسر على القارئ العادي . ونشرت بوجه خاص إلى « المفردات في غريب القرآن » للراغب الأصفهاني ، و « النهاية في غريب الحديث والأثر » لابن الأثير .

(د) كذلك سلك الجواليقى هذا السبيل في كتابه عن الكلمات العربية في اللغة العربية والذي يحمل اسم « العرب » .

والسر في عدم شيعون هذا النظام بين المعجميين القدماء أنه يمزق كلمات المادة الواحدة ، ويفرقها في أماكن متعددة . فمادة « كتب » مثلاً ستوزع مشتقاتها على النحو الآتي :

كتاب وكتاب و ٠٠٠ في الكاف

مكتب ومكتوب و ٠٠٠ في الميم

تكلاتب ٠٠٠ و ٠٠٠ في التاء

اكتتاب ٠٠٠ و ٠٠٠ في الألف وهذا

و بذلك ضي المعجميون بالسهولة في سبيل لَمَ المترافق وجمع

الشامل .

٤ - وضع الكلمة تحت حرفها الأخير دون تجريد :

التقنية في اللغة :

مؤلف هذا المعجم أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي ، الذي ولد عام ٢٠٠ هـ وتوفي عام ٢٨٤ هـ . والبندنيجي نسبة إلى بلد يدعى بندنيجين على طرف النهر وان من ناحية الجبل من أعمال بغداد في أرض السواد ، قرب الحدود العراقية الإيرانية .

رتب المؤلف كتابه على حسب أواخر الكلمات ، بغض النظر عن كونها حروفاً أصلية أو زائدة ، معأخذها في الاعتبار قوافي الشعر وكيفية ترتيبها هجائياً ٠ ومن أجل هذا — ولأن المؤلف هدف إلى خدمة الشعراء — لم يرتب الكلمات داخل القافية أي نوع من الترتيب ، وإنما اكتفى بتجميل الكلمات تحت الحرف الأخير (حرف الروى في القافية) ، مع ما يسبقها حين يكون التزامه ضرورياً في القافية ٠

ومما يدل على أن هدف المؤلف لغطي يتمثل في تقديم القوافي المتماثلة — أنه كثيراً ما كان يسرد الكلمات سرداً متتابعاً دون توضيح معانيها ، وتنكراره الكلمة في أكثر من موضع بحسب ما يلحتها من زوائد تغير القافية ٠ « فكبير » في قافية و « كبيرة » في قافية أخرى ٠ ٠ ٠ وهكذا ٠ وقد أفصح المؤلف عن هذا حين قال إنه « اختار الكلام الفصيح الذي لا يجهله العoram » ، وحين أطلق على الفروع داخل الحرف الواحد « قافية » ٠

ولنمثل لذلك بباب الراء ٠ فقد بدأ بكلمات : المجر — النجر — البشر — العسر ٠ ٠ ٠ ثم قال : « قافية أخرى » اشتملت على كلمات مثل : الميرة — كبيرة — صغيرة — جبيرة ٠ ٠ ٠ ثم « قافية أخرى » اشتملت على كلمات مثل : قمامطر — عذافر — تضافر — تظاهر ٠ ٠

ومما يؤكد سيطرة فكرة القافية على تقسيمات المؤلف أنه قسم حرف الألف إلى : باب الألف المدودة مثل : أباء — خباء — هباء — حرباء — شتاء ٠ ٠ ثم باب الألف المهمزة مثل : نباً — ظماً — كلأً ٠ ٠ ٠ وتحت هذا الباب فروع متعددة ٠ ففرع يشمل : الظماء — الفناء — الجراءة ٠ ٠ ٠ وفرع يشمل : الللاء — الصأسأة — الدأدأة ٠ ٠ وأخيراً ذكر باب الألف المقصورة ويشمل كلمات مثل : القفا — البلى — الطلى — العلي ٠ ٠

ومادام هدف المؤلف تقديم القوافي للشعراء ، وليس هدفه تقديم

العون لن يريد ضبط الكلمة أو معرفة معناها فإنه لم ير أى داع لترتيب الكلمات داخل القافية الواحدة . لأن من يبحث عن قافية معينة لا يهمه ترتيب الكلمات تحت هذه القافية إذ لا بد له أن يقرأ كلمات القافية المراده كلها . وهذا هو السر في أن المؤلف لم يرتب الكلمات أى ترتيب آخر على الأوائل أو الثنائي مثلاً . ولهذا فلا معنى لقول محقق « التقافية » : « فلم يدر بخلده ارتضاء ترتيب هجائى يوفر على المراجع الجهد ، مما يدل على عدم اختصار المسألة في ذهنه » (انظر ص ٢٤ من المقدمة) .

وقد طبع المعجم عام ١٩٧٦ باسم « التقافية في اللغة » وقام بتحقيقه الدكتور خليل إبراهيم العطية ، ونشر في العراق بمساعدة وزارة الأوقاف .

٥ - وضع الكلمة تحت حرفها الأصلي الأخير .

رأى هذه الطريقة التي يطلق عليها نظام الباب والفصل أو الترتيب بحسب القافية هو الفارابي اللغوي وعنده أخذها تابعون كثيرون .

ومن الباحثين من ينسب الريادة للبنديجي مؤلف « التقافية » ومن هؤلاء محقق التقافية الدكتور خليل العطية وكذلك الدكتور عبد الصبور شاهين (١) . وفي رأيي أن كتاب التقافية لا يمكن اعتباره من معاجم الباب والفصل لما يأتي :

(أ) أنه مرتب بحسب الأوامر دون تجريد من الزوائد .

(ب) أنه لم تعتير فيه الأوائل في حال اتفاق الأوامر .

(ج) أن مهمته تختلف عن مهمة المعجم ، لأنها تتتركز في عرض كلمات اللغة مبوبة على حسب تقسيمات القافية في الشعر العربي . أما مهام المعجم الأساسية التي تتلخص في شرح الكلمات وضبطها بالشكل

(١) انظر : في علم اللغة العام ، من ٢١٥ .

وبيان كيفية كتابتها وتحديد وظيفتها الصرفية .. فتكاد تختفى من هذا الكتاب .

صحاح الجوهرى :

يعد الجوهرى تابعاً لطريقة الفارابى ، ولكنه أدخل تعديلاً جوهرياً عليها إذ اطرح الخطوات الكثيرة التى سارت عليها معاجم الأبنية ، واختار من منهج الفارابى المعقد فكرة الباب والنصل وحدها وأدار عليها معجمه . ولذا فإن مزيته – على حد تعبير المستشرق الألسانى كرنوكو – « تتحصر في أنه رتب المسادة اللغوية برمتها في ترتيب هجائى واحد » .

والاسم الكامل لمعجم الجوهرى هو « تاج اللغة وصحاح العربية » ولكنه اشتهر باسم « الصحاح » . وتضيّط إما بكسر الصاد جمع صحيح وإما بفتح الصاد ف تكون مفرداً بمعنى صحيح مثل براء وبرء . وأفضل طبعة للصحاب تك التى حققها الأستاذ أحمد عبد الغفور العطار .

وقد سار كتاب الصحاح في الآفاق وبلغ في الشهرة مبلغاً عظيماً ، ويقول القفطى : إنه لما دخلت نسخة منه مصر نظرها العلماء فاستجودوا قرب مأخذها . ويقول إن أهل مصر يرونون كتاب الصحاح عن ابن المقاطع الصقلى متصل الطريق إلى الجوهرى ، ولا يرويه أحد من أهل خراسان (١) .

وفي رأىي أن كتاب « الصحاح » نال من الشهرة أكثر مما يستحق ، وأن الجهد الحقيقى يعود إلى الفارابى لا إلى الجوهرى ، وأن أصحاب الاتهام تشير إلى الجوهرى بالأخذ والاغتراف من « ديوان الأدب » بدون أن يشير إلى ذلك أو يلمح حتى إليه .

ولما كانت هذه التهمة خطيرة وتمس مكانة الجوهرى العلمية فسنعطيها شيئاً من البسط حتى يتضح فيها وجه الحق .

(١) مقدمة العطار لتهذيب الصحاح للزنجاني ، ص ٤٢ .

بين الصحاح وديوان الأدب : كان كرنكو ^(١) أول من تنبه إلى العلاقة بين الصحاح وديوان الأدب ، وأشار إلى وجود التشابه بل التماثل بينهما ولكنه تحدث عن ذلك في إيجاز شديد وسطحية ظاهرة ، إذ قال إنه عقد مقارنة بين المعجمين « وكم كانت دهشتي أن أكتشف أن الجوهرى لم يكتف بأن عب من ديوان الأدب ، بل وجدت — قدر ما استطعت الاستقراء والمقابلة — أن الصحاح لا يحتوى على أى شيء لا يوجد في ديوان الأدب » .

ولم يحاول أحد من الباحثين منذ نشر المقال (عام ١٩٣٤) حتى الآن أن يتوفّر على درس القضية ويناقشها مناقشة واعية فكل ما وجه إليها ما قاله الأستاذ أحمد عبد الغفور العطار : « ولقد أسرف كرنكو في دعوته ولا سند له . فديوان الأدب للفارابي وصحاح الجوهرى موجودان ٠٠ والفارق بين المعجمين كبير . وبعد كل هذا نجد عمل الجوهرى أصح وأكمل وأعظم من عمل خاله الفارابى » ، وما قاله : « والتقاء الفارابي والجوهرى في نقطة أو نقاط ليس دليلا على أن الثاني سطا على الأول » ^(٢) . وحاول الدكتور عبد السميع محمد في أسطر قليلة أن ينفي عن الجوهرى دعوى السرقة من خاله الفارابى ، وكان أهم ما اعتمد عليه عدم تحدث أحد من العلماء عن دعوى النقل هذه ^(٣) .

أما نحن فيخلص رأينا فيما يأتي :

١ — هناك اتفاق بين المؤرخين على أن هناك صلة نسب بين الجوهرى والفارابى . فمعظم المؤرخين على أن الفارابى خال الجوهرى ، وروى بعضهم رواية أخرى ضعيفة تقول إن الجوهرى هو خال الفارابى ^(٤) .

(١) في مقال له بعنوان The Beginning of Anabic lexicography.

(٢) مقدمة الصحاح ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٣) المعاجم العربية ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٤) انباه الرواة ٥٢/١ ، ومعجم الأدباء ٦١/٦ وما بعدها ، ونزهة الآباء ، ويفية الوعاة وغيرها .

٢ - كما أن من المتفق عليه تاريخيا وجود صلة علمية بين الفارابي والجوهري ، فقد ذكر المؤرخون أن الجوهرى تلمنذ على خاله الفارابى ، بل منهم من ذهب إلى تعميق هذه الصلة وقال إنها هي السبب في تسمية الجوهرى بالفارابى ، وأنه سمي بذلك نسبة إلى خاله وأصله هو من فارس ^(١) .

٣ - من الروايات التاريخية الموثقة أن الجوهرى قرأ «ديوان الأدب» على خاله ، وأنه كان يحتفظ بنسخة منه عنده كتبها بخطه . بل أكثر من هذا يقول ياقوت : إنه بعد أن قرأه على مؤلفه بفاراب أعاد قراءته على أبي السرى محمد بن إبراهيم الأصبهانى بأصبهان ، ثم عرضه على أستاذه أبي سعيد السيرافي ببغداد فقبله ولم ينكره فصار عنده من صحاح اللغة ^(٢) .

وكل هذه العوامل تجعلنا نقول إن الجوهرى قد استفاد ولا شك من ثقافة خاله وعلمه ، وإنه تأثر بشخصيته اللغوية ، واستعان بكتاب «ديوان الأدب» في تأليف معجمه الصحاح .

ولكن إلى أى حد بلغ هذا التأثير ؟

والى أى مدى استفاد الجوهرى من «ديوان الأدب» ؟

هذا ما سنحاول أن نجيب عنه الآن :

١ - وأول شيء ثابت لا يقبل النقاش أن الجوهرى أخذ عن «ديوان الأدب» نظام الباب والفصل . وهذه قضية لا يستطيع أحد أن يجادل فيها أو ينكرها . فاماًنا «ديوان الأدب» وأمامنا «الصحاح» . ولا شك أن «ديوان الأدب» أسبق في التأليف من «الصحاح» ، ولاشك أن الفارابى هو السابق بهذا النظم .

(١) معجم الأدباء ٦٢/٦ ، وبغية الوعاة ، واضاءة الراموس ٤٥/١ .

(٢) معجم الأدباء ٦٣/٦ .

وهذه نقطة التقاء هامة لأنها النقطة الجوهرية التي حققت للصحاح الشهرة وأنزلته من المعاجم منزلة حسنة ° و معظم صفات المدح التي وصف بها الصحاح ترجع إلى هذا النظام ، مثل وصفه بأنه قريب المتناول — حسن الترتيب — سهل المطلب لما يراد منه °

ولا أظن أن الأستاذ العطار ^(١) على حق حين يصر على نسبة الفضل في هذا النظام للجوهرى مع اعترافه بأن الفارابى هو السابق ° ولا أنهم كيف يمكن التوفيق بين قوله : « ولعل من الحق والإنصاف أن نذكر أن بين الفارابى والجوهرى نقطة التقاء وهي تقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول » ، وقوله : « والذى نراه أن منهج الجوهرى في ترتيب صخاجه باعتبار أواخر الكلمات غير مقصود منه تيسير الأمر على الشعراء والكتاب °° أما المنهج الذى اتبעה فهو من ابتكاره (!) وهذا إليه علمه الواسع بالصرف واستغلاله به » (! !) °

٢ — أما المادة اللغوية ، فلتتحقق صلة الصحاح فيها بديوان الأدب لجأت إلى ثلاثة طرق :

أولها : أنى رتبت بعض مواد ديوان الأدب على ترتيب الصحاح ثم قارنت بين النوعين من المادة °

ثانيةها : أننى قابلت مادة ديوان الأدب على الصحاح لأرى مدى اتقانهما في معالجة الألفاظ ، وطريقة تناولها ، وبيان معانيها ، وأوقف على مزاجه أو نقصه كل منهما عن الآخر °

وثالثتها : أنى عقدت موازنة بين الكتابين شملت أعمال العلماء وأسماء المراجع ، والأبحاث النحوية ، والشواهد ، والماخذ اللغوية °

وأظننا — بعد هذه الموازنات — نستطيع أن نصدر حكمنا وننجز

مطمئنون :

أولاً

تحليل بعض المواد اللغوية

مادة حب :

ديوان الأدب	الصالح
١ - الحبة واحدة الحب من كل الحبوب .	١ - الحبة واحدة حب الخنطة ، ونحوها من الحبوب .
٢ - وحبة القلب ثمرته .	٢ - وحبة القلب سويداؤه ويقال ثمرته وهو ذاك .
٣ - وهي الحبة الخضراء والحبة السوداء .	٣ - والحبة السوداء والحبة الخضراء .
٤ -	٤ - والحبة من الشيء القطعة منه
٥ -	٥ - ويقال للبرد حب الفمـام وحب المزن وحب قر .
٦ -	٦ - ابن السكـيت : وهذا جابر ابن حبة اسم للخبز وهو معرفة .
٧ - والحبة بـالـكـسـرـ بـزـورـ الصـحـراءـ مما ليس بقوـتـ . وـفيـ الحديثـ : «ـفـيـنـبـقـونـ كـمـاـ تـبـتـ الـحـبـةـ فـيـ حـمـيلـ السـيـلـ»ـ والـجـمـعـ حـبـ .	٧ - والحبة بالكسر بزور الصحراء مما ليس بقوت . وفي الحديث : «فينبكون كما تبت الحبة في حمبل السيل» والجمع حب .
٨ -	٨ - والحبة بالضم : الحب . يقال نعم وحبة وكرامة .
٩ - والـحـبـ : الـخـابـيـةـ ،ـ وـالـجـمـعـ حـبـابـ .	٩ - والـحـبـ : الـخـابـيـةـ فـارـسـيـ مـعـربـ . وـالـجـمـعـ حـبـابـ وـحـبـيـةـ .
١٠ - فـلـانـ جـبـىـ أـىـ حـبـيـبـ ،ـ كـمـاـ تـقـولـ خـدنـ وـخـدـينـ .ـ وـالـحـبـ اـيـضاـ لـغـةـ فـيـ الـحـبـ (ـ انـظـرـ ٣٣ـ)ـ .	١٠ - والـحـبـ الـحـبـيـةـ وـكـذـلـكـ الـحـبـ بـالـكـسـرـ .ـ وـالـحـبـ اـيـضاـ الـحـبـيـبـ مـثـلـ خـدنـ وـخـدـينـ .

الصحاب

ديوان الأدب

١١ — ذكر في باب فعل يفعل :
يقال حبته بمعنى أحبته . وهذا
شاذ لأنه لا يأتي فعل — بالكسر —
في المضاعف وهو واقع الا أن
يشركه يفعل .

..... ١٢

..... ١٣

١١ — يقال أحبه فهو محب وحبه
يحبه بالكسر فهو محبوب ، قال
الشاعر :
أحب أباً مروان من أجل تمره
وأعلم أن الرفق بالمرء أرق
ووالله لولا تمره ما حببته
ولا كان أدنى من عبيد ومشرق
وهذا شاذ لأنه لا يأتي في المضاعف
يفعل بالكسر الا ويشركه يفعل
بالضم اذا كان متعدياً ما خلا هذا
الحرف .

١٢ — ويقال : ما كنت حبيباً ،
ولقد حببت بالكسر اي صرت حبيباً
١٣ — الأصمعي : قولهم حب
بنفلان معناه ما أحبه الى . وقال
الفراء معناه حبب بضم الباء ثم
اسكتت وأدغت في الثانية . وقال
ابن السكاك في قول مauda' :
هجرت غضوب وحب من يتتجنب
وعدت عواد دون وليك تشتب
أراد حب فادغم ، ونقل الضمة
إلى الحاء لأنه مدح . ومنه قولهم :
حبذا زيد . فحب فعل ماض
لايصرف وأصله حبب على ما قال
الفراء ، وهذا فاعله . وهو اسم
مبهم من أسماء الاشارة ، جعلا
شيئاً واحداً فصار بمنزلة اسم يرفع
ما بعده . وموضعه رفع بالإبتداء ،
وزيد خبره فلا يجوز أن يكون بدلاً
من ذا لأنك تقول : حبذا المرأة ولو
كان بدلاً لقلت :
حبذه المرأة قال الشاعر جرير :

ديوان الادب

الصحاح

- ١٤ — تحبب اليه اى تودد .
- ١٥ — وتحبب الحمار اذا امتلا من الماء .
- ١٦ —
- ١٧ — استحبه عليه اى آثره واستحبه اى احبه .
- ١٨ — تحابوا اى احب كل واحد منهم صاحبه .
- ١٩ — والحباب الحبيب .
- ٢٠ —
- ٢١ — الحباب : الحياة . ومنه سمي الرجل الحباب . وإنما قبل الحباب اسم شيطان لأن الحياة يقال لها شيطان . ومنه يقال لها شيطان .
- ٢٢ — حباب الماء معظمه والحبابة واحدة حباب الماء .
- ٢٣ — ويقال حبابك أن تفعل كذا اى غايتها .
- ٢٤ — والاحباب هو البروك .

- وحيذا نفحات من يمانيه ثائقك من قبل الريان أحيانا
- ١٤ — وتحبب اليه تودد .
- ١٥ — وتحبب الحمار اذا امتلا من الماء ، وشربت الابل حتى حببت اى تملأ ريا .
- ١٦ — وامرأة محبة لزوجها ، ومحب لزوجها ايضا عن الفراء .
- ١٧ — الاستحباب كالاستحسان .
- ١٨ — وتحاببوا اى احب كل واحد منهم صاحبه .
- ١٩ — الحباب بالكسر المحببة والموادة .
- ٢٠ — الحباب بالضم الحب قال الشاعر :
- فوالله ما ادرى وانى لصادق اداء عراني من حبابك ام سحر
- ٢١ — الحباب ايضا الحياة . وإنما قيل الحباب اسم شيطان لأن الحياة يقال لها شيطان . ومنه سمي الرجل .
- ٢٢ — وحباب الماء بالفتح معظمه قال طرفة :
- يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفایل باليد ويقال ايضا حباب الماء : فناخاته التي تعلوه وهي اليعاليل .
- ٢٣ — وتقول ايضا : حبابك ان تفعل كذا اى غايتها .
- ٢٤ — والاحباب البروك .

ديوان الأدب

٢٥ — ويقال للبعير محب اذا كان لا يبرح موضعه من كسر او مرض .

..... ٢٦

٢٧ — حب الاسنان تقضدها .

٢٨ — نار الجباجب النار التي تورتها الخيول بحوافرها من الحرارة . ويقال الجباجب اسم رجل كان بخيلا جدا .

الصحاب

٢٥ — والاحباب في الابل كالحران في الخييل ، قال الشاعر : ضربت بغير السوء اذ أحبأ أبو زيد : يقال بغير محب . وقد أحب احبابا ، وهو أن يصييه مرض او كسر فلا يبرح من مكانه حتى يiera او يموت ، وقال ثعلب : يقال أيضا للبعير الحسير : محب وأشند :

جيت نساء العالمين بالمبب
فهن بعد كلهن كالمحب

٢٦ — وأحب الزرع والب اذا دخل فيه الأكل ، وتنشأ فيه الحب والب .

٢٧ — الحب بالتحريك تنضد
الاسنان قال :

وإذا تضطك تبدى حببا .

٢٨ — الحباب اسم رجل بخيل كان لا يوقد الا نارا ضعيفة مخافة الضيغان فشربوا بها المثل حتى قالوا نار الجباجب لما تقدحه الخيول بحوافرها .

قال التابفة يذكر السيوفة :

تقد السلوقي المضاعف نسجه
وتوقد بالصفاح نار الجباجب
وربما قالوا : ناز أبي جباجب ،
وهو ذباب يطير بالليل كأنه نار ،
قال الكبيت :

يرى الراعون بالشفرات منما
كتسار أبي جباجب والظبينا
وربما جعلوا الجباجب اسماء لتنك
النار ، قال الكسعي :
ما بال سهمي يوقد الجباجبا

ديوان الأدب

الصحاب

- ٢٩ — حبان من أسماء الرجال .
- ٣٠ — الجباب الصغير الشأن
الحقير .
- ٣١
- ٣٢ — الحب الخشبات الأربع
التي توضع عليها الجرة ذات
العروتين .
- ٣٣ — المحبة الحب .
- ٣٤ — هو الحبيب .
- ٣٥ — يقال أثانا زمن الحباب
أى زمن تلقيح النخل .
- ٣٦ — حبان من أسماء الرجال .
- ٣٧ — حبيت الرجل اذا أطعمته
الحب .
- ٣٨
- حب الله اليه اليمان وهو
نقض التكيره .

- قد كنت أرجو أن يكون صائبا
٢٩ — حبان بالفتح اسم رجل
موضوع من الحب .
- ٣٠ — الحباب بالفتح الصغار ،
الواحد جباب ، قال الهذلي :
دلجي اذا ما الليل جن
على المقرنة الحباب
يعنى بالقرنة الجبال التي يدنو
بعضها من بعض .
- ٣١ — حبى على فعلى اسم
امرأة ، قال هدية بن خشم :
فما وجدت وجدى بها أم واحد
ولا وجد حبى بابن أم كلاب
..... ٣٢
- ٣٣ — انظر رقم ١٠
- ٣٤
- ٣٥
- ٣٦
- ٣٧
- ٣٨

ومن هذه الموازنة نخرج بالنتائج الآتية:

- ١ - توجد في الصحاح زيادات ليست في ديوان الأدب مثل الفقرات ٥، ٦، ١٣، ٢٦، ٣١ ومثل الزيادات التي نجدها داخل الفقرات على سبيل الشرح أو التفصيل أو الاستشهاد .

ونلاحظ أن بعض هذه الزيادات يحتاج إلى نقل عن مرجع آخر كالفقرة رقم ١٣ وهي موجودة في تهذيب اللغة ، وبعضاً منها موجود في العين ، وكالفقرة رقم ٢٦ ولم أجدها في العين ولا الجمهرة ولا تهذيب اللغة . كما أن بعضها من قبيل التطبيق أو الشرح والتفصيل الذي لا يحتاج إلى مرجع .

- ٢ - كما توجد في ديوان الأدب زيادات ليست في المصاح مثل الفقرة رقم ٣٢ وهي موجودة في التهذيب والعين ، والفقرتين رقم ٣٥ ، ٣٧ ولم أجدهما لا في العين ولا التهذيب ولا الجمهرة .

٣ - ولكننا الى جانب ذلك نلمح شعبها كبيراً وأحياناً تماثلاً بين بعض الفقرات مثل :

(١) الفقرة رقم ٣ ، فالعبارة هي العبارة ، والغرض في المرض هو الغرض . والعبارة — بعد هذا — لم ترد في العين ولا التهذيب ولا الجمرة .

(ب) ومثل رقم ٩ ، وتفسیر الحب بالخابية لم يرد في العين ولا الجمهرة ولا التهذيب . وعبارة الخليل : الحب الجرة الضخمة . وعبارة الجمهرة : الحب الذي يكون فيه الماء . وعبارة التهذيب هي عباره الخليل .

(ج) ومثل الفقرة رقم ١٨ ، ولم ينص في العين ولا في الجمهورية
ولافي التمهذيب على هذا المعنى لأنّه مفهوم من الصيغة . ولكننا نجده عند
الصالح بعبارة ديوان الأدب . ولو لم يكن قد أخذ العبارة منه لوجّهنا
اختلافاً بين العبارتين . وقد كان في إمكان الجوهري أن يقول مثلاً :
أى أحب بعضهم بعضاً ، أو أحب كل واحد منهم أخيه ، أو أحب كل
منهم الآخر .

باب

مقابلة المادة اللغوية

بمقابلة مادة ديوان الأدب على الصحاح يتبين ما يأتي :
١ - اتفاق المعجمين اتفاقا تاما في معالجة كثير من الصيغ والافاظ مما يدل على وجود صلة بينهما . وينظر ذلك من النماذج الآتية :

الصحاح	ديوان الأدب	المجهر
أى كملك و هو و حسبك درهم اسم . وهذا رجل حبيبك من وهو مدح لذكره	ويقتل حبيبك درهم أى كملاك ويقتل هذا رجل حبيبك من رجل وهو مدح لذكره	حسني كذا وكذا أى يكتفي وأما حسب مجزوم فمعناه كما تقول حبيبك هذا أى كملك
الستقب الذكر من ولد الناتحة . الستقب ولد الناتحة الذكر	الستقب ولد الناتحة الذكر والستقب لفته في الصنف من كل شيء مسح	الستقب بالمسنن والمسنن حسوار الناتحة وبالمسنن أكثر والستقب خباء خرق المسقائب
الستقب عبود البيت الأطوط الخباء	الستقب عبود البيت . والستقب ولد الناتحة . ولستقت الناتحة أى أكثر وضعا الذكور	عبود الخباء قال : حسوار الخباء عبود

المعنى

ديوان الأدب

الصحاب

عليها المشجب الخشبة التي تلقى

مشجب واحد ، المشجب والمشجب واحد ،

مشجب خشببات موقد

مشجب ومشجب خشببات موقد

ويقال الشجب أيضاً ويسمون

الثلاث الخشببات التي يعلن

لهمساً الرابع سقاوه ولهمساً

الشجب .

الجلوية ما يجلب للبيع . والجليل

الجلوية ما يجلب للبيع . والجليل

الجليل الذي يجلب من بيده
إلى غيره .
أجله إلى إجلاته .
• مجازاً كما هنذا .

إنجابت السحابة أوى انكشفت

إنجابت السحابة أوى انكشفت

١— ولكننا من ناحية أخرى نجد اختلافاً كبيراً بين المعجمين في معالجة الناظ أخري وشرحها وبين قطبيها كما يبين من الناتج الآتي :

الصحاب

ديوان الأدب

- ١— الكتر (بالفتح) : السنام .
- ٢— كل صانع عند العرب اسکاف .
— وقول من قال : كل صانع عند العرب اسکاف ^{تفخر}
- ٣— الهدار اللبن اذا خثر اعلاه والسلله ^{معروفة} .
- ٤— ذئب الطليس وهو الذي في لونه غبرة الى السوداء .
- ٥— السسم ولد الضبع من الضبع .
- ٦— البردان اسم موضع .
- ٧— يوم سخنان (ينفع المسلمين) اى حمل .
- ٨— ووضع الشارابي « تولج » في السلام الرياعي الملحق بروايه بعد النساء (تلچ) ، ووضعيتها الجوهري في باب الجيم ^{الصل} الروايه لأن النساء متقبلة عن واو .

٣ — كما نجد زيادات كثيرة في الصحاح ليست في ديوان الأدب . ولسنا في حاجة إلى ضرب الأمثلة على ذلك ، فهو واضح من الموارنة السابقة بين مادة حبب في ديوان الأدب والصحاح ، كما يتضح من المقارنة بين حجم المعجمين ، فحجم الصحاح يبلغ مثل ديوان الأدب ، ولذلك جاء أكثر الفاظا وأوفر مادة .

٤ — ونجد أيضاً زيادات في ديوان الأدب ليست في الصحاح ، ولكنها قليلة بالنسبة لزيادات الصحاح قلة ظاهرة . وقد جمعت هذه الزيادات فلم تزد على بعض صفحات (١) .

ثالثاً

دراسة الظواهر المشتركة

١ — اذا قارنا بين المعجمين من حيث الأعلام نجد الجوهرى مكثراً من ذكر أسماء العلماء والرواة بخلاف الفارابى الذى كان مقللاً جداً .

٢ — ومن حيث المراجع ، لم يذكر الفارابى اسم أى مرجع من المراجع التى رجع إليها في حين أن الجوهرى كان أحياناً يذكر اسم المراجع ومن هذه المراجع : الإبل للأصممى ، والهمز لأبى زيد ، والكتاب لسيوطىه ، والفرق للأصممى ، والغريب المصنف لأبى عبيده ، والفرس للأصممى .

٣ — ونجد الأبحاث النحوية كثيرة في الصحاح ، وتفوق نظيرتها في ديوان الأدب .

(١) راجع رسالتنا المباحثية عن الفارابى اللغوى ٦ ص ٣١٢ .

٤ — أما الشواهد فتفوق في الصحاح عددها في ديوان الأدب ، سواء كانت قراءات قرآنية أو أحاديث نبوية أو أمثلاً أو أبيياتاً شعرية و هناك شواهد لم ينسبها الفارابي ونسبت في الصحاح ، أو جاءت ناقصة في ديوان الأدب ورواه الجوهرى كاملاً كما أن هناك أشياء خالفة فيها الصحاح ديوان الأدب ^(١) .

٥ — وأما المأخذ اللغوية التي أخذها العلماء على الصحاح فنجد كثيراً منها مشتركاً بين الصحاح وديوان الأدب ، وبعضاً منها ينفرد بها الصحاح ، مما يدل على أن الجوهرى لم يأخذها من ديوان الأدب . ومن أمثلة المأخذ المشتركة بينهما :

(أ) قال الفارابى : الشبَّير العطية وأصله بالتسكين •

قال العجاج : الحمد لله الذي أعطى الشبَّير •

وقال الجوهرى : ومصدره الشبَّير (بالسكون) إلا أن العجاج حركه

فقال :

الحمد لله الذي أعطى الشبَّير •

قال ابن برى : وقول الجوهرى إن الأصل فيه الشبَّير بسكون الباء ٠٠٠
وهم لأن الشبَّير مصدر شبرته اذا أعطيته والشبَّير اسم للعطية .

(ب) ذكر الفارابى كلمة « اللفاء » في الناقص لا المهوذ ، وكذلك فعل الجوهرى .

(١) راجع تفصيل ذلك في المرجع السابق ، ص ٣١٣ - ٣٢٣ .

قال الصغانى ، والمهموز موضعه ٠

(ج) ذكر الفارابى « الزرجون » في باب فعلول على اعتبار أن فونتها أصلية ٠ وكذلك فعل الجوهرى إذ ذكرها في باب النون فصل الزاي ٠
قال الصغانى : وموضعه « زرج » لأن وزنه فعلون والجيم لام الكلمة ٠

(د) قال الفارابى في باب مفعل : منعج اسم موضع ٠ وكذلك ضبطها الجوهرى (بالفتح) ٠
قال الصغانى : والصواب فيه كسر العين ، ولعله نقله من كتاب الفارابى ٠

(ه) قال الفارابى : وسالم من أسماء الرجال ٠ وقال بعضهم : يقال للجلدة التي بين العين والأنف سالم ٠ ومثل هذا في الصحاح ٠

قال الصغانى : وهذا غلط وقد تبع خاله الفارابى فيأخذ اللغة من معنى الشعر ٠

(و) قال الفارابى : غضبى مائة من الإبل وهى معرفة لا تدخلها الآلف واللام ٠ ومثل هذا قاله الجوهرى ٠

وقال الفيروزابادى : قول الجوهرى تصحيف والصواب غضباً بالمنشأة تحت ٠ وغير ذلك كثير وكثير ٠

ويتضح من هذا كله وجہ الشبه الكبير في المادة اللغوية بين الصحاح وديوان الأدب ، فما معنى هذا ؟ وما تفسيره ؟

قد يقال إن الجوهرى لم يأخذ تلك المادة من الفارابى ، وإنما أخذها من أصوله ومراجعه الأولى ٠

ولكن الذى يبدو أن الجوهرى قد استعان بديوان الأدب مباشرة

وأنه أخذ منه كثيراً من مادته اللغوية مما أدى إلى هذا التشابه أو التماثل في بعض الأحيان ٠ ويبدو أيضاً أن كثرة ما أخذه الجوهرى عن خاله كانت السبب في إغفاله ذكر اسمه في معجمه جميعه إغالاً تاماً ، وإلا فلو حرص على ذكر اسمه في كل موضع لتكرر اسمه في كل صفحة ولسجل الجوهرى على نفسه الحكم بالتبعدية ، وهو ما حاول أن يخفيه ويطمس معالمه ٠ وإلا فكيف نعمل تسجيل الجوهرى أسماء العلماء الذين نقل عنهم (وأسماء المراجع في بعض الأحيان) ومنهم من نقل عنه مرة واحدة أو مرتين ، وفي مسائل غير ذات بال ، ومنهم من لا يتعتبر بمثلك شهرة الفارابى وطبيب صمعته ^(١) ولو أن الجوهرى كان حسن النية ، أو لو أنه لم يأخذ كل هذه المادة المشتركة من « ديوان الأدب » مباشرة لذكر اسمه ولو مرة واحدة ٠ وإذا كان الجوهرى قد أحسن بالخرج من كثرة تردد اسم خاله في كل صفحة ، فلا أقل من أن يشير إلى اسمه في مقدمة معجمه ويشيد بفضله ٠

ولتكنا مع هذا لا نوافق كرذوك في قوله : « إنه ليس في الصحاح شيء لا نجده في ديوان الأدب » فالصحابي أوسع مادة وأكثر كما من ديوان الأدب ، وهو يحتوى على زيادات كثيرة لا نجدها في ديوان الأدب كما سبق أن ذكرنا ، وأظنه لو عكس القضية فقال : « ليس في ديوان الأدب شيء إلا نجده في الصحاح » لكان أقرب إلى العواب وأدنى إلى الحقيقة ، وإن كان هذا الحكم كذلك ليس على إطلاقه ٠

والخلاصة أن الصحاح متاثر بديوان الأدب في نظامه ، وفي مادته اللغوية ، وأنه استفاد منه كثيراً — مباشرة وبالواسطة — وإن اشتمل

(١) من نقل عنهم الجوهرى مثلاً أبو الغوث (في عجين أنجان) .
والجوهرى ينقل في صحاحه عن أساتذته المباشرين — من طبقة الفارابى —
كابى على الفارابى وأبى سعيد السيرافى . ويبدو أن الجوهرى كان من دأبه
اغفال أهم الأسماء التي اعتمد عليها ، فقد فعل نفس الشيء بالنسبة لأن
كتيبة ، فقد أغفل ذكر اسمه إغالاً تاماً برغم كثرة ما أخذه عنه وكثرة اشاراته
إلى العلماء يشكل ملحوظ .

على زيادات كثيرة ليست فيه . وقد أحس بهذه الاستفادة الصغاني من قبل فنبه في أكثر من موضع من كتابه « التكملة » على ذلك كما سبق أن ذكرنا . كذلك أدركها الفيومي فأشار إليها أكثر من مرة في معجمه المصبح المنير ^(١) .

الأعمال التي دارت حول الصحاح :

لاقى الصحاح اهتماماً كبيراً من الطلاب والباحثين منذ ظهوره وكانت عليه شروح وتعليقات عديدة ، كما قام أكثر من عالم باختصاره . وقد أخذت الأعمال التي دارت حول الصحاح أشكالاً خمسة هي :

- ١ - التوهم
- ٢ - الدفاع
- ٣ - التذليل والتعليق
- ٤ - الاختصار
- ٥ - الترجمة

وأشهر ما أُلف في توهيم الصحاح كتابان هما :

أولاً : التتبية والإيحاص عما وقع من الوهم في كتاب الصحاح ، الذي يعرف كذلك بحواشي ابن بري ، وقد نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة باسم : كتاب التتبية والإيحاص عما وقع في الصحاح بتحقيق الأستاذين مصطفى حجازى وعبد العليم الطحاوى (١٩٨٠ - ١٩٨١) .

وهذا الكتاب يعد من أسبق التعليقات النقدية على الصحاح لأن مؤلفه عبد الله بن بري المصرى قد ولد عام ٤٩٩ هـ وتوفي عام ٥٨٢ هـ فإذا علمنا أن الصحاح قد دخل مصر على يد ابن القطاع المتوفى

(١) انظر مثلاً مادة سدد وشوشن .

(م ١٦ - البحث اللغوى)

عام ٥١٥ هـ أدركنا مدي حرص ابن بري من ذ نشأته على الاشتغال بهذا الكتاب والنظر فيه ، وتتبع ما فيه « محسياً غلطاته ومخرجاً سقطاته » .

ولا ترجع أهمية حواشى ابن بري (التنبية والإيضاح) إلى قدمها فقط ، وإنما إلى جملة أمور ، من بينها :

١ - أنها أحد الأصول الخمسة التي وثق فيها ابن منظور (مؤلف لسان العرب) ، وبنى عليها معجمه .

٢ - أنها من كتب اللغة القلائل التي توفر مؤلفيها عمق النظرة ، ودقة الرواية ، وكثرة المحفوظ ، وسعة الاطلاع - إلى جانب العناية الفائقة بالنحو والتصريف .

وقد عرف ابن بري بهذه الصفات فلفت الأنظار إليه وهو في سن مبكرة ، ووقع عليه الاختيار وهو في الحادية والعشرين من عمره ليتولى التصحح في ديوان الإنشاء بمصر « فكان لا يصدر كتاب عن الدولة إلى ملك من ملوك النواحي إلا بعد أن يتضنه ويصلح ما لعله فيه من خلل خفى » .

وقد جمع ابن بري إلى علمه أدباءً جماً ولساناً عفأ ، فكان - كما يقول محقق الكتاب - « لا يسارع إلى التخطئة ، ولا يكتئم بالغفلة أو الجهل . وهذه سمة العلماء ، يعرفون فضل المتقدم ويحترمون اجتهد غيرهم ٠٠٠ » . ويعجب الزبيدي بأدب ابن بري فيقارن بين عبارته : « وليس كما ذكر » ، وعبارة الفيروزابادى : « وأخطأ الجوهري في الإطلاق » ، ويقول : « ولكن ما أخطأه تعبيره بقوله : وليس الأمر كما ذكر . فانظر أين هذا من قوله [الفيروزابادى] : أخطأ ، على أنه لا خطأ » .

ولهذا جاءت تعليقات الذين أرخوا لحياته حافلة بعبارات التقدير وألفاظ الثناء . فالسيوطى يقول : « إنه لم يكن في الديار المصرية مثله .

وكان قيّما بالنحو واللغة والشواهد ثقة » ٠ والمقطى يقول : « كان جمّ الفوائد ، كثير الاطلاع ، عالماً بكتاب سيبويه وعلله ، وبغيره من الكتب النحوية ، قيما باللغة وشواهدها ٠٠ وكانت كتبه في غاية الصحة والجودة ٠٠ وأكثر الرؤساء بمصر استفادوا منه وأخذوا عنه » ٠ ويصفه ابن خلkan « بالإمام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدرائية ، علامه عصره ، وحافظ وقته ، ونادرة دهره » ٠

وهناك إشارة في بعض المراجع القديمة الى أن ابن برى لم يكمل حواشيه على الصحاح وأنه وقف عند مادة « وقش » ، لكن الأستاذ مصطفى حجازى يرجع إتمام الكتاب وبلغ ابن برى بحواشيه آخر الصحاح ٠ ويتوقع الأستاذ حجازى إمكانية الحصول على نسخة كاملة من حواشى ابن برى عن طريق استخلاص ما في لسان العرب لابن منظور من نقول عن ابن برى بعد مادة « وقش » (١) ٠

دراسة تحليلية لكتاب ابن برى :

نقرر بادئ ذى بدء أن ابن برى لم يستوعب في حواشيه كل ما يمكن أن يوجه إلى الصحاح من نقد ٠ وقد وجدنا — في حدود المادة التي وصلتنا من حواشى ابن برى — أن ابن برى قد أغفل بعض المأخذ الذى وردت عند غيره كالصاغانى والفيروزابادى ٠ ونكتفى بذكر المثالين التاليين :

١ — ذكر الجوهرى أن الآتان تسمى البيدانة ٠ وقد نقل ابن برى هذه التسمية دون أن يعقب عليها بالرفض كما فعل الصاغانى ٠ ففى التكملة (٨/٢) : « آتان بيدانة تسكن البيداء ، وهى غير ما قيل : البيدانة الآتان ٠ ففى هذا القول نظر » ٠ وتقييد البيدانة بساكنة البيداء سبق به الخليل فى العين ونقله عنه الأزهري فى تهذيب اللغة ٠

ولكن ابن برى يذكر للبيدانة تقسيرين هما : التى تسكن البيداء

(١) راجع مقدمة المحقق ص ٥ وما بعدها .

(ف تكون النون زائدة) أو العظيمة المبدن (ف تكون النون أصلية) ،
ولا يوجه أى نقد لعبارة الصاحب .

٢ - ذكر الجوهرى فى فصل (ثعلب) بيّناً شاهداً على أن الشعلبان :
ذكر الشعالب ، وهو :

أربٌ بِيُولُ الشَّعْلَبَانَ بِرَأْسِهِ لَقَدْ هَانَ مِنْ بَالْتٍ عَلَيْهِ الشَّعْلَبُ

ولم يعقب ابن برى على هذا بأكثر من قوله : « هذا البيت مختلف
في قائله فبعضهم يرويه لغواوى بن ظالم ، وبعضهم يرويه لأبي ذر
الغفارى ، وبعضهم يرويه للعباس بن مردارس » .

وأمانتنا تعليق كل من الصاغانى والفيروزابادى على الشاهد :

(أ) قال الصاغانى : والصواب الشعلبان : تثنية ثعلب (التكملا
الشعلبان برأسه غلط صريح .. والصواب في البيت فتح القاء لأنه مثنى .
٠ / ٢٠)

(ب) وقال الفيروزابادى : واستشهاد الجوهرى بقوله : أرب بِيُولُ
الشعلبان برأسه غلط صريح .. والصواب في البيت فتح القاء لأنه مثنى .
فإذا أردنا أن نحلل تعليقات ابن برى على الصلاح تحليلاً
موضوعياً نجدها تدور حول ما يأتى :

١ - نسبة الجوهرى إلى الخطأ الصرف الذى أدى إلى وضع الكلمة
في غير موضعها الصحيح . ومن ذلك وضعه « الأباءة » لأجمة القصب في
المعتل مع أن همزتها أصلية ، ووضعه « اختتاً » بمعنى استتر خوفاً
أو حياء في (ختاً) مع أنها من ختا يختتو ، فتحققها أن توضع في المعتل .
ومن ذلك وضعه « الفتة » بمعنى الطائفة في (فیاً) مع أن أصلها فیتو ،
فالهمزة عين ، والمحذف لامها وهى الم الواو ، وكذلك وضعه « جبنطاً »
في (حبطاً) وصوابه في (حبط) لأن الهمزة زائدة .

٢ - الاستدراك على ما ساقه من شواهد ، وهذا يشمل :

(١) نسبة الشاهد الى قائله ، ومن ذلك نسبة البيت :

شُنِيَانَا إِنْ أَتَاهُمْ كَانَ بَدْأَهُمْ وَبَدْأُهُمْ إِنْ أَتَانَا كَانَ شُنِيَانَا

الأوس بن مغراة السعدي (٦/١) ، والبيت :

اذا الأرطى توَسَّدْ أبْرَدِيَه خَدُودْ جَوَازِيَه بِالرَّمْلِ عَيْن
للشماخ بن ضرار (٩/١) .

(ب) تصحيح نسبة الشاهد، ومن ذلك نسبة الجوهرى بعض بيت

وهو : ٠٠ قتيل التجوبي ٠٠

نسبته للكميٰ ، وهو للوليد بن عقبة (٥٥/١) ، ونسبته :

والقُصْبَ ماضِمْرٌ وَالْمَقْنُ مَلْحُوبٌ

الامری، القيس، وهو لإبراهيم بن عمران الأنصاري (١٢٩/١) ،

و نسبتہ :

جَرَّتْ عَلَيْهَا كُلُّ رِيحٍ رَيْدَةً
هُوَ جَاءَ سَفَوَاءً نَوْجَ الغَدْوَةِ

لهميان بن قحافة ، والسائل هو علامة التيامي " (٢٤/٢)

(ج) تكملة الشاهد ، ومن ذلك استشهاد الجوهرى بنصف البيت :

ولو تعادی بیکه کل محلوب

وقد عقب ابن بري قائلاً : صدره :

يقال محبسها أدنى لرتعها (٧/١)

وكذلك استشهاد الجوهرى بعجز بيت لامرئ القيس وهو :

كمشی اُتان حِلَّت عن مناهل

قال ابن برى : صدره :

وأعجبنى مشى الحتر مقة خالد (١٢/١)

(د) إضافة شواهد جديدة ، ومن ذلك أن الجوهرى قد ذكر أن الإسوار لغة في السوار نقلًا عن أبي عمرو ٠ وقد عقب ابن برى بقوله : « وحقه أن يذكر شاهدًا على الإسوار لغة في السوار لئلا يظن أن الإسوار في السوار قول انفرد به أبو عمرو ٠ وشاهد قوله الأحوص : غادة تغربت الريشاح ولا يف ٠ سرث منها الخلخال والإسوار وقال حميد بن ثور ٠٠ وقال العرنديس الكلابي ٠٠ وقال المرار بن سعيد الفقيعى ٠٠ » (١٣٥/٢) ٠

(ه) الاعتراض على مكان وضع الشاهد ، فقد قال الجوهرى : « قراب السيف : جفنه ، وهو وعاء يكون فيه السيف بغمده وحملته ، وفي المثل : إن الفرار بقرب أكياس » ، وقد عقب ابن برى قائلاً : « صواب الكلام أن يقول — قبل المثل — والقارب : القرب ، ويستشهد بالمثل عليه ، لأن هذا المثل ٠٠ الخ » (١٢٧/١) ٠

(و) التعليق على الشاهد بتقسيم غامضه أو بيان مناسبته أو توجيهه أو ذكر أصله ومضريه إن كان مثلاً ٠ وأكتفى باقتباس الأمثلة الآتية :

* عقب على رواية بيت عدى بن زيد :

أجلَّ أنَّ الله قد فضلَكم فرق ما أحکى بصلب وإزار قائلاً : « هذه الرواية تحتاج إلى تفسير ، لأنَّه أراد بالصلب هاهنا الحسب ، وبالإزار العفاف ٠ أي فضلَكم الله بحسب وعفاف فوق ما أحکى أي : أقول ٠٠ » ٠

* عقب على قول الجوهرى إن الرجز الآتى لامرأة ترقص ابنها :

أشبه أباً أمك أو أشبهه عملٌ
ولا تكوننَ كهلُوكْ وَكَلٌّ
يصبح في موضعه قد انجذلٌ
وارقَ إلى الخيرات زنثاً في الجبلٌ

عقب قائلًا : « البيت [اقتبس الجوهرى البيت الأخير] لقيس
ابن عاصم المقرى ، وكان أخذ صبياً من أمه يرقشه ، وأمه منفوسه بنت
زيد الفوارس ، والصبي هو ابنه واسمه حكيم ٠٠ وزعم الجوهرى أن
الرجز لأمه قالته وهي ترقصه ، وليس ب صحيح ، وإنما الذى قالته
راددة على أبيه هو :

أشبه أخي أو أشبههنْ أباكا
أما أبى فلن تنال ذاكا
تقرر أن تناله يداكا »

* عقب ابن برى على اقتباس الجوهرى المثل : « أساء سمعاً فأساء
جابة » بقوله : « ولم يذكر أصله ٠ وأصله – على ما ذكر الزبير بن بكار –
أنه كان لسهل بن عمرو ابن ”مضعوف“ ، فقال له : إنسان : أين أمك ؟
أى قَصْدُك ، فقال : ذهبت تشتري دقيقاً ، فقال أبوه : أساء سمعاً
فأساء جابة » ٠

(ز) تصحيح الرواية أو الضبط ٠ والأمثلة على هذا كثيرة منها :
* روى الجوهرى البيت التالي بحسب « ملجاً » :

وملجاً مهروئين يلتفى به الحيا إذا جائحت كحُلٌّ هو الأم والأب
فعقب ابن برى قائلًا : « صوابه : وملجاً بكسر الهمزة لأن قبله ٠٠٠٠ ٠٠
* روى الجوهرى صدر بيت شاهداً ٠٠ وهو :
والخيل تمزع غرَباً في أعنقتها

فعقب ابن برى قائلًا : « وصواب إنشاده : والخيل بالنصب لأنّه
معطوف على المائة من قوله :
الواهب المائة الأبكار زينتها سعدان توضح في أوبارها اللبد »

* ذكر الجوهرى في فصل (ميد) صدر بيت لأبي ذؤيب شاهداً
على « مайд » بالياء المثنية اسم جبل هو :
يمانية أحيا لها مظاً مайд

وقد عقب ابن برى قائلًا : « صوابه : مابد بالباء المعجمة بواحدة .
وحقه أن يذكر في فصل مبد ٠٠ » .
وغيره كثير ٠٠

٣ - إهماله بعض المواد ، أو الكلمات . ومن أمثلة ذلك :

(أ) قال ابن برى : « وذكر في فصل (برأ) : برأتْ أبراً ،
وبرأتْ - أيضاً - أبراً ٠٠٠ ولم يذكر برأتْ أبراً - بالضم في
المستقبل - وقد ذكره سيبويه وأبو عثمان المازنى وغيرهما من
البصرىين ٠٠ » .

(ب) قال ابن برى : « وقد أهمل من هذا الفصل [بوب] قولهم :
بابة ، والجمع بابات ، وهى تستعمل في الحساب والحدود والكتاب .
قال الأصمى : بابات الكتاب : وجوهه ، وقال غيره : طرقه ٠٠ » .
٤ - التعليقات الصرفية والنحوية ، وهذا يشمل :

(أ) أخطاء للجوهرى ، كما حدث في مادة (ش ي أ) حين معالجته
لكلمة « أشياء » ، وفي مادة (ن ب أ) حين حديثه عن تصغير « نبى » ،
وفي مادة (ز ر) حين حديثه عن ضبط الراء في الأمر : « زرّاه » ،
وفي مادة (ن ص ب) حين حديثه عن النسبة إلى « نصيبين » ، وفي
مادة (ق د د) حين حديثه عن نون الوقاية ٠٠٠

(ب) إضافات واستطرادات ، كإثباته أن أصل الألف في « آءة »
واو ، وقوله إن « الذرية » فعلى من الذر أو فعلى لة ٠٠ ، وكتفاصيله
ال الحديث عن « أمس » في الصفحتان ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٠٠٠

٥ — عدم الدقة في التعبير ، كقول ابن بري : « قوله الجوهرى :
إن البوادر من الإنسان اللحمة ٠٠ ليس ب الصحيح ، وصوابه أن يقول :
إن البوادر جمع بادرة للحمة التي بين المنكب والعنق ٠٠ » ٠ ومثله قول
ابن بري : « أما قول الجوهرى : الحمارة تنصب حول الحوض ، وتنصب
أيضاً حول بيت الصائد ، فصوابه أن يقول : الحماير : حجارة تنصب
على الحوض ، الواحدة حمار ، وهو كل حجر عريض » ٠

٦ — ضبط الكلمة أو تصحيح ضبطها ، أو إزالة ما لحقها من تصحيف .
ومن أمثلة ذلك :

(أ) قال الجوهرى : البَدْأَهُ : النصيب من الجذور .
وقال ابن بري : ذكر أبو عبيد في باب الميسر من غريب المصنف :
البَدْأَهُ بالضم النصيب من أنسباء الجذور ٠٠

(ب) قال الجوهرى : والاسم الجثاء ، مثل الهمزة .
وقال ابن بري : الذى ذكره أبو زيد الانصارى : الجثاء ساكنة
ال شيئاً ويقوى قوله قول الراجز :
في جثاء من جثاءات الفجر .

(ج) روى الجوهرى في فصل (س ع ب) بيتاً لابن مقبل هو :
يعلون بالمردقوش السورد ضاحيةٌ على سعيب ما الضاللة للجز
وقد عقب ابن بري قائلاً : « هذا تصحيف تبع فيه ابن السكين .
وإنما هو اللجن بالنون ، وقبله :
من نسوةٍ شمسٍ لا مكرهٍ عَتِّفَ ولا فراحتَ في سرٍّ ولا عن
٧ — التعقيب برأى آخر ، ومن ذلك :

(١) ذكر الجوهرى فى فصل (ج ن ب) قولهم : فلان لا يطير بجهنمتنا . وقد عقب ابن برى قائلاً : « هكذا قال أبو عبيدة وغيره بتحريك النون . وكذا روى فى الحديث : وعلى جهنمتى المصراط أبواب مفتوحة . وقال عثمان بن جنى : قد غرى الناس بقولهم : أنا فى ذكرك وجنبتك - بفتح النون - والصواب إسكان النون .. »

(ب) ذكر الجوهرى فى فصل (س رب) قولهم : «فلان آمن» فى سربه أى فى نفسه . وقد عقب ابن برى قائلاً : «هذا القول الذى قاله هو قول جماعة من أهل اللغة . وأنكر ابن درستويه قول من قالوا : آمن فى سريه أى فى نفسه ، قال : وإنما المعنى آمن فى أهله وماله وولده ..»

٨ - توجيه النقد لغير الجوهرى . و ممن نقدمهم ابن برى :

(ب) ابن القطاع : يقول ابن بري : « وذكر الجوهرى شاهدا على حلبة جمع حالب وهو قولهم : شتى تؤوب الحلبة ، وغيره ابن القطاع فجعل بدل شتى : حتى ٠٠ والمعروف هو الذى ذكره الجوهرى ، وكذلك ذكره الأصممى وأبو عبيد ٠٠ » (٦٨ / ١)

(ج) المحدثون : قال ابن بري : « وأهمل أن يذكر بعد هذا الفصل (حنطب) وهي لفظة قد يصحفها بعض المحدثين فيقول حنطب ، وهو غلط » (٦٥/١)

(د) أبو عبيد : قال ابن بري : « لم يذكر السبحة بالفتح وهي الثياب من الجلود ، وهي التي وقع فيها التصحيف ، فقال أبو عبيد :

هي السبّحة بالجيم وضم السين . وغلط في ذلك إنما السبّحة : كساء أسود . واستشهد أبو عبيد على صحة قوله بقوله مالك بن خوبل المذلى وهو :

اذا عاد المسارح كالسبّاج

فصحف البيت أيضاً ، وهذا البيت من قصيدة حائية ٤٠٠ (١/٢٤٤) .

(ه) الأصمى : قال ابن برى : « وذكر في فصل (ش ت ت) شستان ماهما . . . قال : وقال الأصمى : لا يقال : شستان ما بينهما ، وقول الشاعر :

لشستان ما بين البيزيدين في الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم

ليس بحجة ، إنما هو مولئد » ، وقد عقب بقوله : « وأما ما حكاه عن الأصمى أنه لا يقال : شستان ما بينهما ، فليست بشيء ؛ لأنه قد جاء ذلك في أشعار الفصحاء من العرب ، ومن ذلك قول أبي الأسود الدؤلى . . . ومنه قول البعيث . . . وقال آخر . . . وقال الأحوص . . . » (١٦٦ ، ١٦٧ / ١) .

ثانياً : نفروذ السهم فيما وقع للجوهرى من الوهم لخليل بن أبيك الصfdى المتوفى عام ٧٦٤ هـ ، وتوجد منه نسخة مصورة بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وقد تتبع الصfdى الجوهرى في أوهامه المصرفية والاشتقاقية والتصحيف وسوء التعبير والخطأ في التفسير . ويبدو أن معظم ما أخذ الصfdى منقوله عن ابن برى ولذلك يقول بعضهم : « قلد فيه ابن برى ، فلا يكاد يذكر مسألة من عنده إلا بعض أدبيات والاستدلال بعض الأبيات » (١) .

اما كتب الدفاع فأشهرها الوشاح وتنقيف الرماح في رد توهيم

(١) انظر حسين نصار : المعجم العربي ٥٢٦ / ٢ ، ٥٢٧ .

المجد الصحاح لعبد الرحمن بن عبد العزيز المغربي نزيل مكة وأحد
مدرسيها^(١) .

وأما التذليل والتعليق فقد تمثلا أحسن تمثيل في كتاب الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني^(٢) في كتابه المسمى « التكملة والذيل والمصلة » ، وقد طبعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وذكر المؤلف في مقدمته ما نصه : « هذا كتاب جمعت فيه ما أهمله أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى رحمة الله في كتابه وذيلت عليه وسميته كتاب التكملة والذيل والمصلة غير مدع استيفاء ما أهمله واستيعاء ما أغفله » . ويتلخص جهد الصغاني في هذا الكتاب في النقاط الآتية :

- ١ - إيراد المواد التي أهملها الجوهرى .
- ٢ - إيراد الصيغ والألفاظ والمعانى التي أهملها الجوهرى فيما ذكره من مواد .
- ٣ - تكملة الشواهد الشعرية أو إصلاح مابها من خلل أو تصحيف أو تصويب اسم قائل الشاهد الشعري .
- ٤ - نقد الاستشهاد ببعض الأحاديث الضعيفة .
- ٥ - تصحيح الأخطاء المتعلقة بالتصريح أو التفسير^(٣) .

وأما المختصرات فمنها :

(أ) ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح للزنجنانى (ت ٦٥٦ هـ)
ووقع حجمه موقع الخمس من الصحاح .

(١) وقد طبع على هامش الصحاح (طبعة بولاق ١٢٩٢ هـ) .

(٢) توفي عام ٦٥٠ هـ .

(٣) انظر المعجم العربى لحسين نصار ٥١٣/٢ وما بعدها .

(ب) تهذيب الصحاح للمؤلف السابق ٠ قال في مقدمته : « ثم نظرت نظرا ثانيا فرأيت هم بنى الزمان ساقطة ٠٠ فأوجزته إيجازا ثانيا حتى وقع حجمه موقع العشر من كتاب الجوهرى ^(١) ٠ وقد طبع الكتاب بتحقيق الأستاذين هارون والمعطار ٠

(ج) مختار الصحاح لحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى من علماء القرن السابع الهجرى ٠ قال في مقدمته : « هذا مختصر في علم اللغة جمعته من كتاب الصحاح ٠٠ لما رأيته أحسن أصول اللغة ترتيبا وأوفرها تهذيبا وأسهلها تناولا وأكثرها تداولا ٠٠ واقتصرت فيه على ما لابد لكل عالم فقيه أو حافظ أو محدث أو أديب من معرفته وحفظه » ٠

وقد أعيد ترتيبه على نظام أساس البلاغة مؤخرا وحذف منه مالا يناسب الطالب ٠ وقام بإعادة ترتيبه وتهذيبه الأستاذ محمود خاطر وراجعه الشيخ حمزة فتح الله ٠

اما ترجمات الصحاح فستتحدث عنها في الباب الثالث : قضية التأثير والتأثير ٠

الباب للصفانى (العباب الزاخر واللباب الفاخر) :

هذا ثانى ^(٢) عمل معجمي يقدمه الصفانى ، وقد سبق الحديث عن « التكملة » ٠ ويتميز هذا العمل باستقلاله وتحرره من صحاح الجوهرى ٠ وقد ألفه فيما بين سنتي ٦٤٣ و ٦٥٠ ، ومات المؤلف دون أن يتمه إذ وصل إلى مادة « بكم » ^(٣) فقط ٠

(١) مقدمة تهذيب الصحاح للزنجاني ، ص ٤ ٠

(٢) ترك الصفانى عملا لغويًا ثالثا هو « مجمع البحرين » في ١٢ مجلدا جمع فيه بين الصحاح والتكميلة ٠

(٣) ومع ذلك تذكر بعض المراجع أنه في عشرين مجلدا ٠

وقد ظل العباب حبيس خزائن الكتب حتى تصدى لتحقيقه ونشره الشيخ محمد حسن آل ياسين ، فنشر حرف المهمزة عام ١٩٧٧ ثم حرف الطاء عام ١٩٧٩ ثم حرف الغين عام ١٩٨٠ ٠٠٠ وقد علل المحقق لجوءه إلى نشر قطع متفرقة من الكتاب باختلاف قطع الكتاب المتفرقة وأسلائة الموزعة بين :

- (أ) ما كتب بخط المؤلف ، ويتصف بالدقة والإتقان والضبط الكامل
- (ب) ما نقل من أصل المؤلف وعليه خطه وتصويباته
- (ج) ما خط بأقلام عدد من الناسخين الذين لم يسلموا من الموضع في الغلط

ولهذا رأى أن يبدأ « بنشر القطع المكتوبة بخط المؤلف » ولم يجد ضيراً في انعدام التسلسل « مادامت كل قطعة منها تشكل حرفًا مستقلاً » ٠

وقد احتل عباب الصغاني مكانة عالية بين المعاجم حتى اعتبر أحد المعاجم اللغوية الرئيسية التي لا يستغني الباحث والدارس عن الرجوع إليها ٠ فقد اعتبر الفيروزابادي في مقدمة معجمه « القاموس » محكم ابن سيده وعباب الصغاني غرّتني الكتب المصنفة في هذا الباب ٠ ويرى السيد طي أن أعظم الكتب اللغوية بعد الصحاح : المحكم والعباب ٠

وقد قدم المؤلف لـادة معجمه بمقدمة تحدثت عما يأتي :

- ١ - اشتمال الكتاب على ما تفرق في كتب اللغة المشهورة والتصانيف المعتبرة المذكورة وما بلغه مما جمعه علماء هذا الشأن والقدماء الذين شافهوا العرب العرباء وساكنوها في داراتها ، وسايروها في نقلها من مورد إلى مورد ومن منهل إلى منهل ٠
- ٢ - استشهاده بالقرآن والحديث النبوى والنصائح من الأشعار والمسائر من الأمثال ٠

٣ - ذكره أسامي جماعة من أهل اللغة لا غنى بمارس هذا الكتاب
وسائل كتاب اللغة عن معرفتها .

٤ - تفاخره بدقته وبنخذه الكتب المداوللة ، ونقده للغويين السابقين
مثل الأزهري والجوهري وابن فارس وابن السكري والصاحب بن عباد .
وقد قسا المؤلف على الأخير منهم قائلاً : « وأما الصاحب بن عباد فإن
كتابه المسمى بالمحيط لو قيل إنه أحاط بالأغلاط والتصحيفات لم يبعد عن
الصواب . وكأن علماء زمانه خافوا أنهم لو نطقوا بشيء منها قطع رسومهم
وتسويعاتهم فلبوا نداءه ، وأمنوا على دعائه ونجوا بالصمت » .

لسان العرب لابن منظور :

يعد لسان العرب من أضخم المعجمات العربية - إن لم يكن
أضخمها - على الإطلاق ومؤلفه هو عبد الله محمد بن مثكر^م بن علي
ابن أحمد الأنباري ، من نسل رويفع بن ثابت . وتنازع ابن منظور
أقطار عربية هي تونس ولبيبا ومصر . وقد حقت في بحث لى حول ابن
منظور أن صلة ابن منظور بلبيبا تتحضر في أن جده الأعلى رويفع بن
ثابت الصحابي ولد طرابلس إبان حكم معاوية وغزا منها إفريقية
سنة ٤٧ هـ . أما النسبة « الطرابلسية » التي وردت في بعض المراجع
فهي نسبة إلى طرابلس الشام (لا طرابلس الغرب) فقد ولد ابن
منظور القضاء في هذه المدينة بعد أن استردها السلطان قلاوون من أيدي
الصليبيين عام ٦٨٨ .

ومن الثابت تاريخياً أن ابن منظور ولد بمصر وترعرع بها ، ومن
الثابت كذلك أنه ولد في ديوان الإنشاء بمصر مدة طويلة عبر عنها المؤرخون
بقولهم « طول عمره » ، كما كانت وفاة ابن منظور بمصر . ولذا فإن من
الأقرب اعتباره مصرياً إذا أصرنا على نسبته إلى إقليم بعينه ، والأفضل

نسبته الى أفريقية^(١) ومصر كما جاء في كتب الترجم « الإفريقى المصرى » ، أو عدم نسبته الى إقليم بعينه لكثره أسفاره وتنقلاته على عادة العلماء في ذلك العصر .

وقد اعتمد ابن منظور أكثر ما اعتمد على مصادر خمسة هي تهذيب اللغة للأزهري ، والحكم لابن سيده ، والصحاح للجوهرى ، والجمحة لابن دريد ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير . وذكر في مقدمة معجمه أن كتابي الأزهري وابن سيده وعوا المسلك عسرا المطلب ، وأنه لذلك فضل أن يرتب معجمه ترتيب الصحاح في الأبواب والفصول ، لسهولة منهجه وبساطة ترتيبه .

وليس هناك ما يميز معجم ابن منظور عن غيره من المعاجم التي سلكت في ترتيبها نظام الباب والفصل سوى توسيعه في الشرح وإفاضته في ذكر أسماء الرواة والعلماء واللغويين وال نحوين ، وكثرة تسواهده وتنوعها .

وقد ولد ابن منظور سنة ٦٣٠ هـ ، وتوفي عام ٧١١ هـ ، وطبع معجمه عدة طبعات أولاهما في بولاق بمصر عام ١٣٠٠ هـ ، وتقع في عشرين مجلداً ، والثانية في لبنان وتقع في ٦٥ جزءاً صغيراً . ثم قامت دار لسان العرب ببيروت بإصدار طبعة من لسان العرب بعد أن أعيد ترتيبها على حسب الأوائل ، وأضيف إليها المصطلحات العلمية التي أقرتها الجامع العلمية والجامعات العربية ، وزودت بالصور والرسوم والخرائط ، واختارت لهذه الطبعة اسم « لسان العرب المحيط » . وقد قام بإعداد هذه الطبعة وترتيبها السيدان : يوسف خياط ونديم مرعشلى .

(١) أفريقية كانت تطلق على ما يطلق عليه اليوم - بالتقريب - تونس .
وانظر مؤلفنا : النشاط الشعفى في ليبيا ص ٢٢٧ - ٢٨١ - ومقالنا : ابن منظور اللغوى (مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد ١٨ - ١٩٧٥ / ٧٤) .

وما زلنا نطمح في مزيد من الاهتمام بهذا المعجم فيتقدم أحد لإعادة ترتيب مادته داخلياً، وإعداد فهارس متقدمة لسادته^(١) .

القاموس المحيط للفيروز آبادي :

أما الفيروز آبادي فهو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي المولود بقرية كارزين قرب شيراز . وقد عرف باسم الفيروز آبادي نسبة إلى قرية فيروز آباد من قرى فارس ومنها والده وجده . وكان مولده عام ٧٣٩ هـ ووفاته عام ٨١٦ أو ٨١٧ هـ .

وقد ذكر الفيروز آبادي في مقدمة معجمه السبب في وضعه هذا المعجم وأهم مميزاته فقال : « وكانت برهة من الدهر المتمس كتاباً جاماً بسيطاً . ولماً أعيانى الطلاق شرعت في كتابي الموسوم باللامع المعلم العجائب ، الجامع بين الحكم والعباب^(٢) . وضمنت إليه ما زيدات . غير أنى خمنته في ستين سفراً يعجز تحصيله الطلاق . وسئللت تقديم كتاب وجيئ على ذلك المنظام . فصرفت صوب هذا القصد عنانى ، وألقت هذا الكتاب محفوف الشواهد ، مطروح الزوائد . ولخصت كل ثلاثة سفراً في سفر ، وضمنته خلاصة ما في العباب والحكم ، وأضفت إليه زيدات من الله تعالى بها .

نظامه :

١ - رتبه المؤلف على نظام الباب والمفصل ، وقد اشتمل على

(١) نشر الدكتور ياسين الأيوبي (١٩٨٠) معجماً لشعراء لسان العرب ، وطبعته دار العلم للملايين ، وأصدرت دار المعرف بمصر الجزء الأول من فهارس اللسان (١٩٨٤) . ويقوم الدكتور خليل عمايرة بإعداد فهارس تفصيلية للسان باستخدام الكومبيوتر . كما قدم الدكتور على حلمى موسى احصاءات بهمداد لسان العرب .

(٢) الحكم لابن سيده ، والعباب للصفاني .

بابا (١) غير أنه قدم باب الماء على باب الواو والياء . وأما في الفصول
فالواو مقدمة على الماء وهي قبل الياء .

٢ - التزام الاختصار والتتركيز ما أمكن . وفي سبيل ذلك :

(أ) حذف الشواهد إلا ما ندر .

(ب) حذف أسماء المرواة واللغويين .

(ج) استخدم الرموز الآتية :

(ع) وتعنى موضع ، و (د) وتعنى بلد ، (ة) وتعنى قرية ،
و (ج) وتعنى جمع ، و (جج) وتعنى جمع الجمع ، و (م) وتعنى
المعروف ، و (و) وتعنى واوى ، و (ى) وتعنى يائى .

(د) ترك القياسي والمطرد .

(ه) لم يذكر المؤنث مرة ثانية بعد ذكر المذكر بل اكتفى بقوله :
وهي بهاء أي أنشى هذا المذكر بهاء .

(و) ترك النص على عين المضارع اذا كان الفعل من باب فعل
يفعل (بفتح فضم) واكتفى بذكر الماضي .

(ز) ما كان مفتوح الأول جرده من الضبط وما جمع الى ذلك
فتح الثاني وصفه بقوله : محركة .

٣ - تخلص الواو من الياء - وهذا قسم على حد تعبير
الفirozابادى - يسم المصنفين بالمعنى والإعفاء .

٤ - أنه لم يكن - زيادة في الضبط - يكتفى بذكر الحركة وإنما
يذكر المثال كقوله : « رأب الصدع كمنع أصلحه » ، فهى كمنع في الضبط

(١) ضم الفirozابادى الواو والياء في باب واحد وعقد بابا لالاف اللينة
وضع تحته كلمات مثل اذا - الى - الا . . .

لا في المعنى . وقوله « والقبق البطن ، وبالكسر صدف بحري ، وكغراب أطم ^(١) بالمدينة .. وكتاب ع بسم مرقدن » .

بين الفيروزابادى والجوهرى :

من يقرأ مقدمة القاموس يحس بأن الفيروزابادى وضع نصب عينيه صالح الجوهرى ، وأنه أراد أن يتفرق عليه ، وأن ينتزع الإعجاب الذى ناله الصاحح منذ ظهوره وعلى امتداد أربعة قرون . ولهذا جعل الفيروزابادى من أهدافه في معجمه :

١ - زيادة مادته على مادة الصاحح ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « ولما رأيت إقبال الناس على صالح الجوهرى - وهو جدير بذلك - غير أنه فاته نصف اللغة أو أكثر إما بإهمال المادة ، أو بترك المعانى الغريبة النادرة - أردت أن يظهر للناظر بادىء ذى بدء فضل كتابى هذا عليه ، فكتبت بالحمرة المادة المهملة لديه .. ولم أذكر ذلك إشاعة العفاف ، بل إذاعة لقول الشاعر : كم ترك الأول الآخر » ^(٢) .

٢ - تصويب أخطاء الجوهرى ورد أوهامه ، وعبر عن ذلك بقوله : « ثم إنني نبهت فيه على أشياء ركب فيها الجوهرى رحمه الله خلاف الصواب غير طاعن فيه ، ولا قاصد بذلك تنديدا له ، وإن زراء عليه ، وغضا منه بل استيقظا للصواب ، واستربحا للثواب .. واختصمت كتاب الجوهرى من بين الكتب اللغوية مع ما في غالبيها من الأوهام

(١) الأطم : الحصن والبيت المرتفع .

(٢) ومع ذلك استدرك العلماء على الفيروزابادى كثيرا من المادة ، يقول السيروطى : فاته أشياء ظفرت بها في أثناء مطالعنى حتى همت أن أجمعها في جزء : ويقول آخر أنه هناك من يعتقدون أن « القاموس قد أحاط باللغة » ولذا أراد « التنبية على بطلان هذا الزعم بذكر شيء مما فاته » : (انظر : ابن الطيب الفاسى للبواب ، ص ١٢٣) . وسيأتي ذكر لتكلمة الزبيدى لقاموس الفيروزابادى .

الواضحة ، والأغلاظ الفاضحة ، لتداوله واحتثاره بخصوصه ، واعتماد المدرسين على نقوله وبخصوصه » .

أما بالنسبة لزيادات الفيروزابادى فقد استعاضت المطبعة عن الحمرة بخط معتد يوضع فوق المادة الزائدة . وتبدو الزيادات كثيرة من النظرة السريعة لكثرة الخطوط وشمولها معظم الصفحات ، وتكررها في كثير منها .

ولم يقم أحد من الباحثين بإحصاء يبين عدد الجذور التي يحتويها القاموس المحيط لمقارنتها بجذور معجم الصحاح وتحديد نسبة الزيادة ، ولكن قدم الدكتور على حلمى موسى الإحصاء التالى المتعلق بالصحاح وللسان وتابع العروس ، كما قدم الدكتور محمد مصطفى رضوان إحصاء بمجموع مواد القاموس . وهذا كما يأتي (١) :

المجموع	خليسي	رباعي	ثلاثى	المعجم
١١٩٧٨	٣٠٠	٤٠٨١	٧٥٩٧	التاج
٩٢٧٣	١٨٧	٢٥٤٨	٦٥٣٨	اللسان
٥٦١٨	٣٨	٧٦٦	٤٨١٤	الصحاح
١٠٣٤٣	—	—	—	القاموس المحيط

ولا يغ رب عن البال أن زيادات المواد أو الجذور ليست هي كل زيادات القاموس على الصحاح ، لأن التوسع في الشرح ، وذكر معان جديدة للجذر يمثل نسبة كبيرة من زيادات الفيروزابادى .

ويكفى لبيان فضل الفيروزابادى في هذا أن أشير إلى أن بعضًا من مادة القاموس لم يرد حتى في لسان العرب برغم اعتبار الأخير واحداً من أضخم المعاجم العربية على الإطلاق . ويكفى أن أمثل بالمثال الآتي — وقد

(١) اىظر إحصاءات جذور معجم لسان العرب ص ٩٣ ودراسات في القاموس المحيط صفحات ٩٦ ، ٩٧ .

عثرت عليه بطريق المصادفة — فقد أهمل ابن منظور في مادة (لجن) ذكر الكلمة « لجنة » و معناها ، وقد ورد في القاموس ما نصه : « واللجنة الجماعة يجتمعون في الأمر ويرضونه » ٠

وأما بالنسبة لأخذ الفيروزابادي على الجوهرى فبعضها يسلم له ، وبعضها يسلم للجوهرى ، وبعضها لا يعد أحد الرأيين فيه أفضل من الآخر ٠ وقد تتبع كثير من العلماء هذه الأوهام بالتعليق والدراسة ، ويبدو أن تعاطفهم كان متوجها إلى الجوهرى ولذا ألفت الكتب في الانتصار له ، ولا أعرف كتابا واحدا ألف لانتصار للفيروزابادي ٠

فمما أخذه الفيروزابادي على الجوهرى ولا يمكن الدفاع فيه عن الجوهرى ٠

١ — قال في القاموس (شاد) : « شاد الحائط يشيده طلاه بالشيد وهو ما طلى به حائط من جص ونحوه ٠ وقول الجوهرى : من طين أو بلاط — بالياء — غلط ، والصواب ملاط باليم لأن البلاط حجارة لا يطلى بها وإنما يطلى بالملاط وهو الطين » ٠

٢ — قال في القاموس (صعر) : « والصيغة اعتراف في السير ، وسمة في عنق الناقة لا البعير ، وأوهم الجوهرى بيت المسيب الذى قال فيه طرفة لما سمعه : قد استنوق الجمل » ٠

وقد حاول ابن الطيب الفاسى أن يعتذر عن الجوهرى بقوله : إنه أراد بالبعير الأنثى ^(١) ، والتتكلف واضح في هذا الدفاع ٠

أما بيت المسيب الذى أشار إليه الفيروزابادي فهو :

وقد أنتاسى الهم عند اختصاره بناج عليه الصيغة مكدم

(١) أضاءة الراموس ١٠٩/٣ ٠

٣ — قال في القاموس (نوف) : « وأنف عليه زاد كنيف . وأفرد الجوهري له تركيب (ن ف) وهما . والصواب ما فعلنا لأن الكل واوى » .

ومما أخذه الفيروزابادى على الجوهري دون وجه حق :

١ — جاء في القاموس (بهت) « وقول الجوهري : فابهتى عليها أى فابهتىها لأنه لا يقال بهت عليه - تصحيف ، والصواب فانهتى عليها بالنون لا غير » .

والفيروزابادى يشير إلى قول أبي النجم :

سبى الحمة وابهتى عليها ثم اضرى بالولد مرفقها وقد تكفل صاحبا « إضاءة الراموس » و « الوشاح » بالرد على الفيروزابادى .

فقال الأول : إن كانت الرواية فابهتى ثابتة فلَا يلتفت لدعوى التصحيف لأنها في مثله غير مسموعة . وإن لم تثبت الرواية كما قال وصحت الرواية معه ثبت هذا التصحيف حينئذ بالنقل لا لأنه لا يقال . وليس عندي جزم في الرواية حتى أفصل قوليهما . وإنما ادعاء التحرير بمجرد أنه لا يتعدى « بهت » « بعلى » دعوى خالية عن الحجة ^(١) .

وقال الثاني : قوله بالنون لا معنى له هنا لأن نهت لازم لا يتعدى ولا بحرف الجر ، يقال نهت ينهت . والنهاية الزئير . وقد أقر ابن برى كلام الجوهري ولم يتعقبه من جهة المعنى وقال : إنما عدى بعلى لأنه بمعنى افترى ^(٢) .

٢ — جاء في القاموس (كتب) : « والكتاب » كرمان : المكتوبون .

(١) إضاءة الراموس ٧٧/٢ .

(٢) الوشاط ص ٣٦ والتبيه لابن برى - مادة « بهت » .

والكتب كمقدّس موضع التعليم ٠ وقول الجوهرى : الكتاب والكتب واحد
غلط ॥

وما جاء في الصحاح صحيح ، فقد قال الخليل : المكتب بضم الميم :
المعلم ، والكتاب مجمع صبيانه ٠ وذكر الأزهري أن الكتاب اسم المكتب
الذى يعلم فيه الصبيان ٠

وقال صاحب الوشاح : العبارة في غاية الصواب ٠٠ وفي مسند
الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين
سورة وإن زيد بن ثابت له ذئابة في الكتاب (١) ٠

٣ - جاء في القاموس (مزج) : « المزج الخلط والتحريش ،
وبالكسر اللوز المر كالزييج والعسل ٠ وغلط الجوهرى في فتحه أو هي
لغية » ٠

وقد تكفل الفاسى بنقض ذلك فقال : لا غلط في الفتح ، فهو الذى
جزم به غيره وصرح به المفيومى ، وقال : سمي العسل مزجا لأنه يخلط
بالشراب ٠ وبالفتح روى بيت أبي ذوعبيب :

وجاءوا بمزج لم ير الناس مثله هو الضحك إلا أنه عمل النحل
وهو الذى قاله أبو حنيفة وغيره ، فلا معنى لقوله : أو هي لغية به هي
لغة مكبرة صحيحة ثابتة نقلها الأثبات (٢) ٠ وقد اقتصر الخليل في العين
على الفتح ٠

وقد رد بعضهم ما في الصحاح من أوهام إلى أن الجوهرى مات
وترك الكتاب مسوّدة فبيضه تلميذه أبو إسحاق الوراق بعد موته فغلط
فيه في عدة مواضع ٠ وسئل الميدانى عن الخلل الواقع في الصحاح فقال :

(١) انظر العين ، والتهذيب ، وأضاءة الراموس ٣/٢ ، والوشاح ص ٣٤

(٢) أضاءة الراموس ٢١٩/٢ ٠

إنه قرئ عليه إلى باب الضاد فحسب وبقى أكثر الكتاب على سواده .
ولم يقدر له تنقيحه ولا تهذيبه . قال ومن زعم أنه سمع من الجوهرى
 شيئاً من الكتاب زيادة على باب الضاد فقد كذب (١) .

إضاءة الراهواس (٢) لابن الطيب الفاسى (٣) :

يعد إضاءة الراهواس موسوعة لغوية فريدة ، ومع ذلك ما يزال
مخطرطاً لم ينال النور بعد برغم تعدد نسخه في مكتبات العالم . ومؤلفه
ابن الطيب الفاسى من أعلام المغرب ، وقد ولد عام ١١١٠ هـ من أسرة
متمسكة بالدين حريصة على العلم ، وتوفي عام ١١٧٠ هـ في المدينة
المقدسة حيث دفن .

ويوضح المؤلف منذ البداية عن استنكاره ل موقف الفيروزابادى من
الجوهرى ويصرح بأن الدفاع عن الجوهرى كان من أسباب تأليف هذا
الكتاب : « وفي أثناء القراءة والإقراء .. رأيت المجد الشيرازى يكثر في
قاموسه من الاعتراضات على الصلاح .. ويتبع في الرد ، ويائى بالتنديد
الذى لا يحمله سد ، ورأيت بعض المدعين يقلدونه في كلامه ، ويعتقدون
— لقصورهم — تصويب اعتراضاته عليه وملامحه .. فلما رأيته أكثر من
التنديد عليه ، وبالغ في عزو الأوهام إليه ، انتصرت لأبي نصر .. وجعلت
أرد ما يورده مشروحا في شرحه لصنفات اللغة وأتعقه في الدروس أكمل
التعقيب وأبلغه .. فلما وقف على ذلك أشياخنا الأستاذة وأصحابنا
الجهابذة تاقت نفوسهم إلى جمع ذلك في تعليق مستقل » .

وقد بدأ المؤلف متھمسا في الأبواب الأولى من كتابه (المھمة إلى

(١) انظر شرح دیباجة القاموس للشيخ نصر الھورینی ، ص ٣٨ .

(٢) الراہواس : القبر . ويعرف الكتاب كذلك باسم شرح القاموس أو
حاشية القاموس .

(٣) اعتمدنا في كتابة هذه النبذة على رسالة الدكتوراه (مخطوطۃ)
المعنونة : ابن الطیب الفاسی وآثاره في المعجم العربي للدکتور علی حسین
البوبای .

الراء) فتوسع واستفاض في الشرح والتعليق ، ولم يهمل أى فصل من فصول القاموس ، ثم فتّر حماسه بعد ذلك حتى اكتفى في القسم الأخير بتعليقات بسيطة ، واقتصر على أقل الألفاظ .

وقد لخص الدكتور على المبواب جهود ابن الطيب الفاسي في النقاط الآتية (١) :

- ١ - الشرح بمعنى الواسع الذي يشمل الضبط والتفسير والاستشهاد وغير ذلك •
 - ٢ - الاستدراك ^(٢) •
 - ٣ - النقد ^(٣) •
 - ٤ - زيادات الفيروزابادى على الجوهرى •
 - ٥ - اختقادات الفيروزابادى للجوهرى •

ويلاحظ في المعجم ميل المؤلف الظاهر نحو الجوهرى ، وتعصبه المطلق له ، وتحامله الواضح على الفيروزابادى ، مما جعله يتهمه بالتقسيب والغموض والخطأ والوهم وغيرها من التهم .

وقد خلف ابن الطيب الفاسى تلامذة نابهين كان أشهرهم الزبيدي مؤلف تاج المuros التالي :

١٥١ صفة من الرسالة .

(٢) لاحظ أنه أراد بذلك الرد على ادعاء الفيروزابادي الإهاطة . ولهذا نرى الفاسق يعلق وهو يستدرك على الفيروزابادي تعليقات مثل : « وهو قصور بالغ » و « وأغفله مع شدة تبعه للصحاب » و « وقد أغفل المصنف أكثر من نصفها .. وهو غاية في القصور في جنب دعوى « القاموس المحيط بجميع الأمور » .

تاج العروس للزبيدي :

أشتهر الزبيدي باسم السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ٠ وقد ولد بإحدى مدن الهند عام ١١٤٥ هـ ، ثم ارتحل إلى زبيد باليمن حيث درس بها ثم غادرها وهو في السابعة عشرة من عمره ٠ وفي سنة ١١٦٧ هـ هاجر إلى مصر واستقر بها إلى أن توفي عام ١٢٠٥ هـ ٠

وقد التقى الزبيدي بأستاذه الفاسي في المدينة المنورة وتناصر عليه هناك ، وتلقى عليه القاموس المحيط وشرحه سمعاً ومشافهة ، ووضع نسخة من حاشية ابن الطيب الفاسي بين يديه وهو يؤلف *التاج* (١) ٠

ولم يترك الزبيدي مناسبة إلا أشاد بأستاذه وشيخه كقوله : « وهو عمدتى في هذا الفن والمقلد جيدى العاطل بخطى تقريره المستحسن » ، « ولعمرى لقد جمع فأوعى ، وأتى بالمقاصد ووفى » ٠ وكان إذا قال في *تاج العروس* « شيخنا » — وما أكثر ما قالها — فإنه يعني ابن الطيب الفاسي (٢) ٠

وقد ذكر المؤلف المهدف من تأليف هذا الكتاب فقال : « كتاب القاموس المحيط ٠٠٠ أجل ما ألب في الفن ٠٠٠ ولما كان إبرازه في غاية الإيجاز ، وإيجازه عن حد الإعجاز تصدق لكتف غواصيه ودقائقه رجال من أهل العلم [فكرت] في وضع شرح عليه ممزوج العبارة جامع لمواده ٠٠٠ وافتبيان ما اختلف من نسخه والتوصيب لما صح منها من صحيح الأصول » ٠ وتقول المراجع إن الزبيدي بعد أن أنجز من *التاج* إلى آخر حرف الدال أولم وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم بمصر وأطلعهم عليه فاغتنبوا به وشهدوا بفضلة وسعة اطلاعه ٠

وإذا كان الزبيدي قد ترسم خطى أستاذه الفاسي في جميع مراحل

(١) ابن الطيب الفاسي ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، عدنان الخطيب ، ص ٤٣ ٠

(٢) ابن الطيب الفاسي ، ص ٢٩٠ ٠

منهجه ، فقد خالفه في حملته الشديدة على الفيروزابادي حيث خف كثيرا من حدتها وتجنب استعمال العبارات الجارحة .

وكانت طريقة صاحب التاج أن يضع عبارة القاموس المحيط بين قوسين ثم يورد شروحه وأقواله واستشهاداته وتعليقاته خارج الأقواس ، محاولا الملاعنة بين ما يقوله وما هو من كلام القاموس حتى لا ينقطع السياق .

ويرغم أن « تاج العروس » شرح للقاموس فلقد ظهرت شخصية الزبيدي فيه إلى حد جعله يفوق مجرد شرح أو تعليق ، ويعتبره اللغويون كتابا مستقلا ، ومعجما قائما بذاته ^(١) . وقد ختم الزبيدي بمعجمه هذا عهد المعجمات المطلولة ، ورجع في تأليفه إلى حوالي خمسمائة مرجع ذكر أهمها في مقدمته .

وتشمل إضافات الزبيدي على القاموس ما يأتي :

- ١ — ذكر الشواهد التي أغفلها القاموس .
- ٢ — رد بعض الاقتباسات التي أصلوها أو مصادرها الأولى .
- ٣ — الاستدراك على الفيروزابادي فيما أغفله من مواد أو كلمات أو معان . وكان من عادة المؤلف أن يختتم المادة بما استدركه قائلا : وما يستدرك عليه .

وقد تم طبع تاج العروس عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) بعد محاولة بدأّت سنة ١٢٨٧ هـ ^(٢) . ويعاد طبعه الآن بالكويت طبعة علمية محققة ووصلت عام ١٩٨٦ إلى الجزء الثالث والعشرين .

(١) عبد الله درويش : المعاجم العربية ص ١٠٧ ، وحسين نصار : المجم العربي ٦٣٩/٢ وما بعدها .
(٢) عدنان الخطيب ص ٤٦ .

النكلة والذيل والصلة للزبيدي :

ألف الزبيدي هذا الكتاب ليستدرك ما فات صاحب القاموس من اللغة « إبطالا لما يعتقد كثير من لا توغل له في هذا الشأن أن صاحب القاموس قد أحاط باللغة »^(١) وهو بهذا يحاكي الصاغاني في تكملته على الصحاح .

وقد ظلت النكلة مخطوطة حتى طبع مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزءين الأول والثاني منها بتحقيق الأستاذ مصطفى حجازى (١٩٨٦) ، وقد وصل الجزءان إلى نهاية حرف الجيم .

ويشبعه منهج الزبيدي في هذا الكتاب منهج الصاغاني في تكملته على الصحاح فهو مثله :

١ - ينسب ما يورده - مما فات صاحب القاموس من اللغة - إلى قائليه من اللغويين وأصحاب المعاجم .

٢ - ويغزو ما ينقله إلى مصدره كالصحاح واللسان والأساس .

٣ - ويتعقبه فيما وقع فيه من خطأ أو وهم . وكانت طريقة في ذلك إيراد عبارة القاموس مسبوقة بقوله : « قوله المصنف كذا ٠٠٠ » ثم التعقيب على ذلك بقوله : « خطأ ، أو وهم صوابه : كذا » ثم يتبع ذلك بالنقل والشهادة التي تؤيد ما ذهب إليه^(٢) .

وقد ألهه بعد فراغه من معجمه تاج العروس ، وقد ذكر ذلك في مقدمة التكملة حيث يقول : « فإني لما فرغت من شرحى على كتاب القاموس ٠٠ وتعقبت فيه البحث عن عواره ، والكشف عن مخبات أسراره ، وبيان غامضه ومشكله ، وتقدير مبهمه ومهمله ، والتتبيل على

(١) ص ٧١ .

(٢) ص ١٢ ، ١٣ .

ما وقع فيه من اختلال في بعض سياقاته ، وحل تعقيد في طي " عباراته ،
وكتت ذكرت عقيب كل تركيب ما فاته من اللغات ۰۰ فكان يختلاج في المبال
إفراد ذلك في تأليف على الاستقلال ۰۰ » ^(۱) ۰

(ج) مدرسة الترتيب بحسب الأبنية

مدخل :

يلاحظ أن جميع المعاجم التي سبق ذكرها قد رتبت بحسب الـ وف
الساكنة (أو ما يمكن أن يسمى بالصوات أو السواكن consonants)
دون اعتبار الحركات (أو ما يمكن أن يسمى بالصوائت أو العطى vowels)
سواء في ذلك ما قام بتجريد الكلمة من الزوائد – وهو النوع الغالب –
أو ما وضع الكلمات تحت حرفها الأول دون تجريدها من الزوائد ۰

أما هذا النوع من المعاجم الذي سميناه بمعاجم الأبنية فقد كان
نوعاً فريداً في بابه إذ راعى في ترتيب الكلمات الحركة إلى جانب الصوت
الساكن . ولتكن – من سوء الحظ – لم يكتب له الشيوخ والشهرة نظراً
لتعقد نظامه وتركبه من خطوات عدة ۰

وعلى الرغم من أن أول معجم كامل اتبع نظام الأبنية قد ظهر في
القرن الرابع الهجري على يد مؤلف من تركستان ، من إقليم فاراب اسمه
أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي – فقد تمت محاولات كثيرة
لدراسة أبنية اللغة العربية وترتيبها منذ بدأ التشكير اللغوي عند العرب ۰
وقد مهدت هذه المحاولات الطريق ، ويسرت السبيل أمام ظهور فكرة
المعجم الكامل . وربما كان من المفيد – من أجل هذا – أن نقسم البحث
في معاجم الأبنية إلى نقطتين أساسيتين : تناول في أولاهما مرحلة التمهيد ،
أو وضع اللبنات الأولى ، وتناول في ثانيةهما مرحلة المعجم الكامل ،
وأشهر المعاجم التي اتبعت هذه الطريقة ۰

أولاً — مرحلة التمهيد :

بدأ التأليف في الأبنية على أيدي النحاة ، وقد كان « سيبويه أول من ذكرها وأول من سطرها » ^(١) ، ولذلك أفرد لها في كتابه أبواباً جمع فيها ما عرفه من أبنية اللغة العربية وقسمها تقسيماً كمياً ، مع فصل أبنية الأسماء عن الأفعال ، ومثل لكل نوع منها . وقد ذكر للأسماء ٣٠٨ بناء بين ثالثي مجرد ومزيد ، ورباعي مجرد ومزيد ، وخامسى مجرد ومزيد . وذكر للأفعال ٣٤ بناء بين ثالثي مجرد ومزيد ورباعي مجرد ومزيد .

ومهد سيبويه لكتابه عن الأبنية بمقيدة تحدث فيها عن أقل ما تكون عليه الكلمة وأكثر ما تصل إليه وحروفها أصلية أو مزيد فيها . ثم تحدث عن حروف الزوائد حرفاً حرفاً ، وذكر مواضع زيادة كل منها ^(٢) . ولم يكن من غرض سيبويه في هذا البحث أن يحصر ألفاظ كل بناء ، وإنما كان غرضه يتوجه إلى حصر الأبنية والتمثيل فقط لكل منها .

وجاء النحاة بعد سيبويه فبهرهم هذا العمل ، وأثار إعجابهم . فلم يقدموا لنا في الموضوع شيئاً ذا بال ، وانحصر بحثهم في ناحيتين :

الأولى : الاستدراك على سيبويه وإضافة بعض الأبنية التي تركها . وقد فعل ذلك ابن السراج الذي ذكر أبنية سيبويه وزاد عليها ٢٢ مثلاً ، كما زاد أبو عمر الجرمي عليها أمثلة يسيرة ، ثم زاد ابن خالويه أمثلة يسيرة ^(٣) ، وزاد الزبيدي أكثر من ثمانين بناء ^(٤) .

والثانية : يمثلها المبرد الذي حول البحث في الأبنية إلى عمليات تدريبية وافتراضات عقلية بدلاً من أن يحاول القيام بعمل إيجابي . فهو

(١) أبنية الأسماء لابن القطاع ورقة ٢ .

(٢) كتاب سيبويه ، ٣١٥/٢ وما بعدها (طبعة بولاق) .

(٣) أبنية الأسماء لابن القطاع ورقة ٢ .

(٤) الاستدراك على سيبويه للزبيدي (ط روما سنة ١٨٩٠) ، ص ١ .

لم يبحث الأبنية بحثا عمليا يقوم على الاستقراء والكتاب ، وإنما أطلق لفكرة العنوان ، وأكثر من الفروض العقلية . ومن ذلك أنه عقد بابا باسم « هذا باب معرفة الأبنية وتقسيطها بالألفاظ » قال فيه : « فإذا قال لك ابن من (ضرب) مثل (جعفر) فقد قال لك زد على هذه الحروف الثلاثة حرفا ، فحق هذا أن تكرر لامه فتقول (ضريب) ٠٠ ولو قال لك ابن لي من (ضرب) على مثل (صممح) لقلت (ضريب) » ^(١)

ولكن من حسن حظنا أن اللغويين لم يدعوا النهاة وحدهم في هذا الميدان يصلولون ويجدلون ، وإنما شاركوهם فيه ، وحولوا البحث في الأبنية مرة أخرى إلى بحث استقرائي تتبعى ، وإن اتجهوا في البحث اتجاهها آخر ، فلم يعد هدفهم حصر الأبنية فقط – فهذا أمر قام به السابقون – وإنما اتجه إلى محاولة حصر الألفاظ تحت كل بناء ، واتخذ ذلك مظوريين اثنين : فاتجه فريق إلى أن يفردوا في كتبهم اللغوية بحوثاً خاصة بالأبنية ، واتجه ذريقي آخر إلى التأليف في الأبنية مؤلفات مستقلة .

أما الفريق الأول فلم تتم بحوثه بطابع خاص ، وإنما اتخذت
أسكالاً متعددة . فمنها ما اهتم بأن يذكر من الفاظ البناء ما يقع الاشتباه
فيه ويدع ما عداها ، ومنها ما اهتم بذكر الأبنية التي تعدد ضبطها ،
ومنها ما تعرض لبعض الأبنية — بدون ضابط وذكر الفاظها ، ومنها
ما اهتم بذكر الأبنية النادرة ، ومعظمها وجه عنایته لصيغتين من صيغ
الأفعال هما « فعل وأفعل » . وقد حظيت هاتان الصيغتان باهتمام
المغوبيين جميعاً حتى إن الكتب المبكرة التي ألفت في الأفعال كانت تحمل
اسم « فعل وأفعل » أو « فعلت وأفعلت » .

وأهم ما ألف في هذا الاتجاه « الغريب المصنف » لأبي عبيد ، و « إصلاح المنطق » لابن السكيت ، و « أدب الكاتب » لابن قتيبة ،

القتضي للمبرد (مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٩٠٩ - نحو)

و « المختب اكراع النمل » ، و « الجمهرة » لابن دريد في أبوابها الأخيرة .

وأما الفريق الثاني فلم يصل بمؤلفاته - حتى القرن الرابع الهجرى - إلى مرتبة المعجم الكامل الذى يحصر الأبنية (سواء كانت للأسماء أو الأفعال) ويوزع تحت كل بناء ما يخصه من ألفاظ ، وإنما كانت مؤلفاته خاصة ببعض الأبنية دون بعض .

وانحصرت جهود اللغويين في هذه الناحية فيما يأتي :

(أ) التأليف في أبنية المصادر : وأول من ألف في ذلك المكسائي (ت سنة ١٨٢ هـ أو سنة ١٨٣ هـ) ، ثم النضر بن شميل (ت سنة ٢٠٣ هـ) ، والفراء ، (ت سنة ٢٠٧ هـ) وخصص كتابه بمصادر القرآن ، وأبو عبيدة (ت سنة ٢٠٩ هـ) ، والأصماعي (ت سنة ٢١٣ هـ) وأبو زيد (ت سنة ٢١٥ هـ) ونقطويه (ت سنة ٣٢٣ هـ) (١)

(ب) التأليف في أبنية الأفعال : ولا نعرف مؤلفاً واحداً منها تعرض للأفعال جملة ، إذ لم يبدأ التأليف في ذلك إلا بعد الفارابى (قرن ٤ هـ) الذي سনخمه بحديث مفصل فيما بعد .

وإنما نجدها تناولت صيغاً خاصة من الأفعال ، ونجد صيغتين اثننتين من بين هذه الصيغ تجذبان اهتمام اللغويين في المؤلفون فيها ، وهما صيغتا « فعل وأفعال » . ومن أول من ألف فيها قطرب (ت سنة ٢٠٦ هـ) والفراء ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد ، والزجاج (ت سنة ٣١١ هـ) وابن دريد (ت سنة ٣٢١ هـ) . وأقدم كتاب وصلنا منها هو « فعلت

(١) انظر الفهرست لأبى النديم (ط مصر ١٣٤٨) ص ٧٧ ، ٨٠ ، ٩٨ ، ١٠٠ - ١٢١ ومعجم الأدباء (ط الطبى) ٢٧١/١ ، ٢٧٢ ، ٢١٦/١١ ، ٢١٧ ، ٢١٣ ، ٢٠٢/١٩ ، ٢٠٣ ، ٣٤٣/١٩ ، ١٣٧/٢٠ ، ١٤ ، ١٣٧/٢٠ .

وأ فعلت » لأبي حاتم السجستانى (ت سنة ٢٥٥ هـ) ^(١) ، وقد حقه
ونشره مؤخراً الدكتور خليل العطية .

(ج) التأليف في أبنية الأسماء : ولم أجد أحداً من اللغويين قد أفرد
أبنية الأسماء بتأليف مستقل يقصد استيعابها ، ويعدم إلى تنظيمها ويجمع
ما تفرق منها ، ولكنني وجدتهم قد ألفوا في شيءٍ خاصٍ منها وهو
» المقصور والمدود « . ومنهم ألف في ذلك الفراء ، والأصمعي ، وأبو عبيد ،
والزجاج ^(٢) وأبو على القالى (ت سنة ٣٥٦ هـ) ، وقد وصلنا كتاب أبي
على القالى وما يزال مخطوطاً .

ونخلص من كل هذا إلى أن التأليف في الأبنية في مرحلته الأولى لم
يأخذ صورة المعجم الكامل ، ولم يتوجه إلى حصر المادة اللغوية
وتوزيعها على الأبنية . وهو إلى جانب فقدانه عنصر الترتيب والنظام لم
 يصل إلى أكثر من :

- (أ) حصر الأبنية والتمثيل لكل منها .
(ب) العناية ببعض الأبنية ومحاولة حصر ألفاظها .
أى أنه فقد أهم عنصريين من عناصر المعجم الكامل وهما الشمول
والترتيب .

ثانياً - مرحلة المعجم الكامل :

١ - ديوان الأدب للفارابي :

رائد هذه المرحلة هو الفارابي اللغوى أبو إبراهيم إسحاق بن
إبراهيم المتوفى سنة ٣٥٠ أو ٣٧٠ هـ ، وكان موطنـه فاراب ، وهي مدينة

(١) انظر الفهرست ص ٧٩ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٠ ، ١٥١/١ ، ١٤٦ ، ١٢٦ ، ١٣٦ ، ٥٣/١٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٣/٢٠ ، ١٤ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦١/٢ ، ٦٢

(٢) انظر كشف الظنون (ط استنبول ١٣٦٠ - ١٤٦١)

وراء نهر سينهون ٠ ويعتبر معجمه « ديوان الأدب » أول معجم جامع في اللغة العربية ترتب مادته على حسب الأبنية ، أو باعتبار السواكن والعلل ٠

وقد قام مجمع اللغة العربية بالقاهرة بطبع هذا المعجم بتحقيق المؤلف وظهر في أربعة أجزاء يليها جزء خاص بالفهارس ٠ ويخلص نظام ديوان الأدب فيما يأتي :

(أ) قدم الفارابي لمعجمه بمقدمة شغلت من المطبوعة ثلاثة وعشرين صفحة^(١) وتناولت عدة لغوية وتصريفية كما سنتحدث فيما بعد ٠

(ب) بعد المقدمة تجىء المادّة اللغوية موزعة على أبوابها بحسب أبنيتها على النحو الذي شرحه في مقدمته ٠

(ج) وذيل معظم أبواب الأفعال بأحكام تصريفية ٠

المقدمة : أما المقدمة فقد تناولت المسائل الآتية :

١ - تفضيل اللسان العربي على سائر الألسنة لأنّه كلام جiran الله في دار الخلد ، ولأنّه المزه من بين الألسنة عن كل نقية ، والمعلّى عن كل خسيسة ٠

٢ - التعرض لأعمال اللغويين السابقين بصورة مجملة وتقسيمهم إلى موجز وغير موجز ومتعدد بين المذهبين ٠

٣ - إدلاله بنفسه وفخره بمصنفه ، وذكره أنه عمل في كتابه « عمل من طب لمن حب » وأنه لم يسبق إلى هذا النّظام ، أو يزاحم عليه ٠

٤ - ذكره الضابط العام الذي ينظم كل ما حواه معجمه من مادة

(١) انظر ديوان الأدب بتحقيقى الجزء الأول ص ٧٠ - ٩٢

لغوية وهو أن يكون مستعملاً ، وأن يذكره النحارير من علماء أهل الأدب في كتبهم ، وأن يكون وارداً في قرآن أو حديث أو شاهد من كلام العرب .

٥ - شرح منهج الكتاب .

٦ - التعرض لبعض الأحكام التصريفية التي تتعلق بنظام الكتاب كالحديث عن أقل الأبنية وأقصاها ، وعن حروف الزيادة ومواضعها ، وعن أبنية الأسماء مجردها ومزيدتها واستعمالات كل بناء ، كقوله عن بناء « فَعْل » بفتح فسكون أنه يكون واحد فعول (قلب وقلوب) أو فعل (كلب وكباب) أو أفعال (ثوب وأثواب) ، ويكون وصفاً من الأفعال الدالة على الطبائع (ضخم) ، ويكون مصدراً لفعل المتعدي (ضرب) ويكون جمعاً لفعلة (تمرة) .

المادة اللغوية : رتبت المادة اللغوية على النحو الآتي :

١ - قسم الفاربي معجمه ستة أقسام أسماءها كتاباً وهي على الترتيب الآتي :

(أ) كتاب السالم ، وعرفه بقوله : ما سلم من حروف المد واللين
والتضعيف .

(ب) كتاب المضاعف ، وعرفه بقوله : ما كانت العين منه واللام
من جنس واحد .

(ج) كتاب المثال ، وعرفه بقوله : ما كانت في أوله واو أو ياء .

(د) كتاب ذوات الثلاثة ، وعرفه بقوله : ما كانت العين منه حرفاً
من حروف المد واللين (الأجوف) .

(ه) كتاب ذوات الأربع ، وعرفه بقوله : ما كانت اللام منه حرفاً
من حروف المد واللين (الناقص) .

(و) كتاب المهموز ، وهو ما كان أحد أصوله همزة ^(١) .

٢ - جعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين : أسماء وأفعالا ^(٢)
وقدم الأسماء في كل كتاب على الأفعال .

٣ - قسم كل شطر منهما إلى أبواب بحسب التجدد والزيادة . ففي
الأسماء بدأ بالثلاثي المجرد ثم مالحقته الزيادة في أوله (أصبح ومذهب)
ثم المثلث الحشو (المزيد بالتضعيف) وذلك مثل (حِمَّةٌ) ، ثم مالحقته
الزيادة بين الفاء والعين (طَابِعٌ) ، ثم مالحقته الزيادة بين العين واللام
(سَحَابٌ) ثم مالحقته الزيادة بعد اللام (خَدْبٌ) ، ثم الرباعي وما ألحق
به (شَعْلٌ) ، ثم الخماسي وما ألحق به (جَرْدٌ حَلْ) . وفي الأفعال
بدأ بالثلاثي المجرد (شَكَبٌ) ، ثم مالحقته الزيادة في أوله من غير ألف
وصل وهي الهمزة (أَتَرَبٌ) ، ثم المثلث الحشو (رَتَبٌ) ، ثم مالحقته
الزيادة بين الفاء والعين (جَاذِبٌ) ، ثم الأبواب الثلاثة التي في أولها
ألف وصل (اجتذب - انسحب - استصعب) ثم مالحقته الزيادة في أوله
وهي التاء مع تشغيل حشو (تَكَلَّمٌ) ، ثم مالحقته الزيادة في أوله
وهي التاء ، مع زيادة بين الفاء والعين (تَجَاذِبٌ) ، ثم بابا الألوان
وما أشبه ذلك (أحمر - أحمرار) ، ثم أبواب الرباعي وما ألحق به ^(٣)
أو زيد فيه .

(١) ذكر السر في افراد المهموز بكتاب بقوله : (والهمزة كالحرف السالم
في احتمال الحركات وإنما جعلت في حروف الاعتلال لأنها تلين فتحتف بها)
(٧٦/١) .

(٢) يشمل شطر الأفعال ومشتقاتها كالمصدر واسم الفاعل
واسم المفعول .

(٣) الالحاق هو جعل كلمة على وزن كلمة أزيد منها لتتحققها في التصريف
وهو نوعان : ملحق بالي رباعي وملحق بالخمسى . واشهر أوزان الملحيف
بالي رباعي : فعلن : خلبن ، وفجعل : جورب ، وفجعل : سيطر ، وفجعل :
سرول ، وفجعل : جلبي وغيرها .

٤ - ولما كان كل باب من هذه الأبواب قد يشترك في عدة أبنية ، كالثلاثي المجرد من الأسماء الذي له تسعه أبنية ، وضع قاعدة لتقدير بعض هذه الأبنية على بعض فقدم ساكن الحشو على المتحرك لأن السكون أخف ، وقدم المفتوح الأول لأن الفتحة أخف ثم أتبعه المضموم ثم المكسور . وقدم ياء التأنيث على همزة التأنيث وهمزة التأنيث على الأون .

٥ - ولما كانت هناك كلمات كثيرة تشتراك في الوزن الواحد رأى أن يرتب الأوزان بحسب حرفها الأخير مع أولها ووسطها . وهذا ما يُعرف الآن بنظام الباب والفصل ، وقد اشتهر بين الباحثين أن الجوهرى هو الذى اخترعه ، والذى تبين الآن أن الفارابى قد سبقه إليه .

ولتكن عدل في ترتيب ألفاظ المعتل اللام أو المهموزها عن اعتبار الحرف الأخير لأنه واحد في جميعها ، واعتبر الحرف الذى قبله مع الحرف الأول . وهذا وجه خلاف بينه وبين الجوهرى الذى لم يعدل عن اعتبار الحرف الأخير ، حتى في المهموز والناقص . فكلمة البدء تذكر في الصحاح قبل الخبر لأنها عنده من باب الهمز فصل البناء . ولكنها تذكر بعد الخبر في ديوان الأدب ، لأنها من باب الدال فصل البناء ، وكلمة الخبر من باب البناء فصل المخاء . ومثل هذا يقال عن كلمتين مثل « نحو » و « رخو » فال الأولى تذكر أولاً في ديوان الأدب ، ومتاخرة في الصحاح .

٦ - اعتبر أحرف الزيادة لمعرفة بناء الكلمة ، ولكنه لم يعتبر الزيادة حينما أراد توزيع الكلمات على الأبواب والفصول .

٧ - كان في كثير من الأبواب ولا سيما في شطر الأفعال يذيل الباب بتعقيب يتحدث فيه عن أحكام عامة تتعلق بالباب كما سُذكر فيما بعد .

٨ - في أبواب المعتل كان يفصل الواوى من اليائى ويقدم الأول منهما .

٩ — راعى الإيجاز في معجمه ولذلك حذف الأبنية القياسية سواء في الأسماء أو الصفات أو المصادر ، اكتفاء بذكر أحكامها في المقدمة والتدبيبات ٠

١٠ — كان يرد الجموع إلى مفرداتها ويضع الجمع تحت مفرده ٠

التدبيبات :

أتبع الفارابي كثيرا من أبواب الأفعال بفصول تدبييلية تناول فيها بالتفصيل أنواع المستقates ، وتعرض لكثير من الأحكام التصريفية العامة ٠ وكان غرضه من ذلك الجمع بين المادة اللغوية المسماة ، والأخرى المقيسة ٠ وبذلك يضم معجمه أكبر قدر ممكن من ألفاظ اللغة ، مالاضابط له بالنص عليه ، وما له ضابط بذكر قاعدته وكيفية اشتقاقه ٠

وكان تركيزه في هذه التدبيبات على أمور منها :

١ — بيان المصادر من كل باب ، كقوله في باب فَعَلْ يَفْعَلْ (بفتح فضم) : والمصدر القياسي في هذا ما كان على الفَعَلْ أو الفَعُولْ ٠ الفَعَلْ للمتعدى والفَعُولْ لللازم ، وقد يتبادلان ، وربما اجتمعا مثل سكت سكتا وسكتا ٠ وربما جاء المصدر من هذا الباب على فَعَلْ (بفتح فضم) وهو قليل ٠

٢ — بيان الصفات من كل باب كاسم الفاعل والصفة المشبهة ٠

٣ — كيفيةأخذ اسم الزمان والمكان والمصدر الميمى ٠

٤ — كيفيةأخذ فعل الأمر وضبط ألفه في كل باب ٠

٥ — معانى صيغ الزوائد ٠

٦ — أحكام تخص بعض الأبواب دون بعض ، ومن ذلك :

(١) ذكره سر المخالفة بين حركة الماضي الثلاثي ومضارعه ٠

- (ب) ذكره السر في اشتمال باب فَعَل يفعل على أحد حروف المحلق .
- (ج) حديثه عن لزوم باب فَعَل يفعل وسر التزام الفهم في الماضي والمضارع معاً .
- (د) ذكره كثيراً من أحكام الإعلال في أبواب المثال وذوات الثلاثة وذوات الأربع (١) .

أما فائدة هذا النوع من المعاجم فتختص فيما يأتي :

- ١ - اختار ترتيب الكلمات على الترتيب الهجائي المعروف ، ولم يذهب في ذلك مذهب الخليل بن أحمد ولم يرتب ترتيبه « ميلا إلى الأشهر ، لقرب متناوله ، وسهولة مأخذة على الخاصة وال العامة » .
- ٢ - ترتيب الكلمات على حسب حرفيها الأخير يسهل البحث عن الكلمات التي قد يغمض معرفة أولها ، أو سبق أولها بحروف مزيدة مثل : يع - ميزان - أوائل (٢) .

كما أن هذا الترتيب ييسر على الشعراء والكتاب النظم والنشر في عصر كانت قد شاعت فيه المحسنات البدوية والتزمت القوافي .

- ٣ - ويكشف لنا القاضي نشوان بن سعيد الحميري في مقدمة كتابه شمس العلوم ، وهو من تأثر بالفارابي في تنظيمه عن عامل آخر أملى هذا النظام ، وذلك في قوله : « وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى كثيراً من الكتب فمنهم من جعل تصنيفه حارساً للنقطة وضبطه بهذا الضبط ، ومنهم من حرس تصنيفه بالحركات بأمثلة قدروها ، وأوزان ذكروها ،

(١) انظر ديوان الادب ٢٥٦/٣ ، ٢٦١ ، ٤٠١ ، ٨١/٤ على سبيل المثال .

(٢) ثبت بالاحصاء أن لام الكلمة ثابتة لا تتغير مهما اختلفت صورة الكلمة - الا في حالات قليلة - ومتى لحقها التغيير او زيد بعدها حرف او حرفان فان الكلمة تنتقل الى اوزان أخرى ولا تعتبر من الثلاثي .

ولم يأت أحد منهم بتصنيف يحرس جميع النقط والحركات . فلما رأيت ذلك ورأيت تصحيف الكتاب والمقراء .. حملني ذلك على تصنify يؤمن كاتبه وقارئه من التصحيف ، يحرس كل كلمة ببنقطها ، وشكلها ، ويجعلها مع جنسها وشكلها ويردها إلى أصلها ، جعلت فيه لكل حرف في المعجم كتابا ، ثم جعلت له وكل حرف معه من حروف المعجم بابا ، ثم جعلت كل باب من تلك الأبواب شطرين : أسماء وأفعالا ، ثم جعلت لكل كلمة من تلك الأسماء والأفعال وزنا ومثلا . فحرس المعجم تحرس النقط وتحفظ الخط ، والأمثلة حارسة للحركات والشكل ، فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعا » (١) .

٤ - ترتيب المعجم على نظام الأبنية ، وجمع الكلمات التي على شكلة واحدة في صعيد واحد يفيد الصرفين كثيرا ، ويطلعنا على خصائص الأوزان ، وما يفيده كل بناء من الأبنية ، كوزن « فعال » بضم الفاء الذي يفيد الزيادة والكثرة ، وصيغة « فِعَيل » التي تدل على الملازمة والبالغة في الشيء . كما يقينا على معانى صيغ الزوائد كصيغة « أفعى » و « فاعل » و « فعل » و « استفعل » . الخ .

٥ - من عيوب المعاجم أنها كثيرا ما تهمل النص على باب الفعل الثالثي مما يوقع الباحث في الحيرة . وقد تغلب الفارابي على هذه المشكلة بتوزيعه الأفعال على أبوابها ، فليس في معجمه فعل واحد لم يرد إلى بابه . ومن أمثلة ذلك قول الجوهرى : « قلبته أى أصبت قلبه ، وقلبت النخلة أى نزعت قلبها » ولم يذكر الباب . وقد ذكرهما الفارابي في باب فعل يفعل . (فتح فكسر) .

تقدير القدماء لديوان الأدب :

استفادت كتب اللغة المتأخرة بمادة ديوان الأدب وأهمها فقه اللغة

للشعالي ، والتكميلة والعباب المصغاني ، والمزهر للسيوطى ، وإضافة
الراموس للفاسى والصبحانى للقىصر من ٠٠٠

كما أثنى عليه العلماء ووصفوه بأرفع الصفات فسموه « الجامع
لديوان الأدب » ، ووصفوه بأنه « ميزان اللغة ومعيار العربية » . وكان
أبو العلاء المعري يحفظه عن ظهر قلب ، وهو الذى أكمله لأديب يمنى
عثر على جزء منه وأعجبه جمه وترتيبه .

كما مدحه كثير من الشعراء ، فقال أحدهم :

كتاب ديوان الأدب أحلى جنى من الضرب
ما ضرّ من يحفظه خمول ذكر أو نسب
يرفعه كتابنا أعلى الأعلى والحسب

ومدحه القاضى نشوان بن سعيد بقوله :

نعم الكتاب كتاب ديوان الأدب نعم الذخيرة فهمه والمكتسب
في كل باب منه كنز اللجين دونه كنز الذهب

عيوبه :

١ - تعدد نظام الكتاب وصعوبة استخدامه حتى على المتخصصين ،
 فهو نظام لا يسعف الباحث المتعجل .

٢ - أرغمت هذه الخطة المؤلف على تمزيق الصيغ التى ترجع إلى
مادة واحدة وتوزيعها على أبواب مختلفة بحسب أوزانها .

٣ - لم يشمل النهج إفراد أبواب للفعل المبني المجهول ، أو
للحروف ، ونراه يدمج النوع الأول في أبواب المبنية للمعلوم ويدمج
الثانى في أبواب الأسماء .

٤ - أساس الاستقادة من المعجم معرفة ضبط الكلمة أولاً . ولهذا فهو يصلح لن يعرف ضبط الكلمة ويريد أن يقف على معناها ، أو يريد أن يقف على خصائص بناء من الأبنية ، ولكنه لا يصلح لن عرف مدلول الكلمة ، وأراد الوقوف على ضبطها .

٥ - وقوع المؤلف في بعض الأخطاء النهجية مثل تكرار اللفظ مرة في باب الأسماء ومرة في باب الأفعال ، ومثل الخلط بين الأسماء والصفات والأولى موضعها القسم الخاص بها والثانية موضعها قسم الأفعال ، ومثل ذكره بعض الصيغ التياسية مع نصه على عدم ذكرها في المقدمة .

٦ - كما أنه وقع في بعض الأخطاء في شرح المادة اللغوية كقوله : وهي الكنيسة للنصارى ، مع أن المعروف أنها لليهود . أما معبد النصارى فيسمى بيعة (١) .

٢ - شمس العلوم نشوان :

وهو من معاجم الأبنية التي اقتفت أثر الفارابي : واسمها بالكامل « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » . واسم مؤلفه نشوان ابن سعيد بن نشوان الحميري النحوى اللغوى الفقىئى من علماء القرن السادس الهجرى . وصفه السيوطي بقوله : « أوحد أهل عصره ، وأعلم دهره » . وقد كان هذا الكتاب أسعد حظاً من « ديوان الأدب » اذ طبع منه جزء في مجلدين وصل إلى آخر حرف الجيم بتحقيق ك . و . و سترستين كما أخذت مطبعة الحلبي في طبعة وأصدرت منه جزعين وصلا إلى آخر حرف الشين ، وذلك قبل أن يطبع ديوان الأدب . ثم أخذت مطبعة الحلبي في إعادة طبعة وأخرجت منه عام ١٩٨٣ خمسة أجزاء ثم توقفت .

(١) وانظر ما سبق من مأخذ لغوية في دراسة العلاقة بين الصحاح وديوان الأدب ، وماكتبته في مقدمة التحقيق عن عيوب المعجم (٤٣/١) وما بعدها .

والكتاب يبدأ بمقدمة يليها فصل في التصريف • وأهم ما تتناولته المقدمة فضل اللغة العربية على سائر اللغات ، والحديث عن نظام الكتاب • أما فصل التصريف فقد بين أهمية علم التصريف وافتقار علم اللغة إليه ثم تناول مشكلات الزيادة ، والإبدال ، والحذف ، ومخارج الحروف ، والإدغام وغير ذلك • وقد شغلت المقدمة وفصل التصريف ٢٩ صفحة من مطبوعة ليدن •

نظامة :

- ١ — قسم المؤلف معجمه إلى كتب على عدد حروف الماء ، مرتبة على حسب الترتيب الهجائي المعروف ، فبدأ بكتاب الهمزة ، وتلاه بكتاب الباء ، ثم التاء ، ثم الثاء •
- ٢ — قسم كل كتاب من هذه الكتب إلى جزئين ، جزء للمضاعف وجزء لغيره ، وكان يبدأ كل كتاب بباب المضاعف •
- ٣ — قسم كل جزء من هذين الجزئين إلى شطرين ، شطر للأسماء ، وشطر للأفعال وكان يبدأ بشطر الأسماء •
- ٤ — قسم كل شطر إلى أقسام بحسب التجرد والزيادة ، فكان يبدأ بالثلاثي المجرد ، ثم المزيد فيه ، ثم الرباعي ، ثم الخامسى •
- ٥ — ولما كان كل قسم من هذه الأقسام يشتترك في عدة أبنية راعى في المجرد الحركة حين ترتيب الأوزان ، فكان يقدم ساكن الحشو على المتحرك والمفتوح الأول على المضموم والمكسور • أما في المزيد فقد راعى مكان الزيادة فقدم من الأبنية ما كانت زиادته أسبق ، مع مراعاة نوع الحركة أيضا •
- ٦ — اعتبر أحرف الزيادة لعرفة بناء الكلمة ، ولكنه لم يعتبر الزيادة حينما وزع الكلمات على الأبواب والفصول •

بين ديوان الأدب وشمس العلوم :

هناك أوجه شبه وأوجه خلاف بين المعجمين . أما أوجه الشبه فواضحة فيما يأتي :

- ١ - فكرة التقسيم إذ اتبعها نظام الأبنية .
- ٢ - التقسيم إلى أسماء وأفعال ، وإفراد أبنية كل قسم ومفرداته .
- ٣ - التقسيم بحسب التجرد والزيادة ، ثم بحسب نوع الحركة .
- ٤ - اعتبار أحرف الزيادة لمعرفة بناء الكلمة ، وإهمالها عند توزيع الكلمات على الأبواب والفصول .

وأما أوجه الخلاف فتتلخص فيما يأتي :

١ - قسم الفارابي كلماته إلى ستة أقسام بحسب نوع حروفها ، في حين أن القاضى نشوان راعى فصل المضاعف فقط عن غيره .
ولا أفهم سر ذلك .

٢ - قدم الفارابي مرحلة التقسيم بحسب الأبنية على مرحلة التقسيم بحسب الحروف ، في حين أن القاضى نشوان قد شطر مرحلة التقسيم بحسب الحروف إلى شطرين ، قدم أولهما (وهو اعتبار الحرف الأول والثانى) على مرحلة الأبنية ، وأخر ثالثهما (وهو اعتبار الحرف الأخير) عن مرحلة الأبنية .

٣ - كذلك نجد الفارابي في اعتباره للحروف يرتب بحسب الحرف الأخير والأول (نظام الباب والمفصل) أما القاضى نشوان فيرتب بحسب الحرف الأول ، ثم الثانى ، ثم الأخير ^(١) .

(١) سواء كان الأخير ثالثاً أو رابعاً ، ولذلك ربّ كلمات البناء « فعل » في قسم الأسماء هكذا : جلّعْب ، جلّسْ ، جلّعْد — جلّمَد — جلّهم .. ولو كان ينظر إلى الحرف الثالث لغير الترتيب .

٤ — وهناك فرق هام بين المعجمين يتمثل في المسادة اللغوية الموجودة في كل ديوان الأدب معجم مختصر ، وقف عند حدود المعجم ، فأهمل المسائل الفقهية والكلامية ، ونفى الأشياء الغريبة عن علم اللغة ، وحد من الأبحاث النحوية والبلاغية : أما شمس العلوم فكان يحشى تدبر المسادة كل ما يمكن حشده من ألوان العلوم والمعارف ، ولذا جاء حجمه ضخماً بالنسبة لحجم ديوان الأدب ، مع نص القاضي نشوان في مقدمته على أنه بلغ في هذا التصنيف من الإيجاز والاختصار جهده ، وأتى بأقصى الغالية مما عنده . ولكن ماذا يعني الاختصار والكتاب مليء بأخبار الملوك ، ومعرفة منافع الأشجار ، وطبع الأحجار ، والحديث في علوم القرآن والقراءات والتفسير ، والأنساب والأخبار والحساب ، والفقه والنجوم وتأويل الرؤى ، والنحو والصرف والمعروض ، ومصطلح الحديث والمفرق الإسلامية (١) .

ويبدو أن القاضي نشوان قد تعمد إغفال اسم « ديوان الأدب » حتى يتقطع الصلة بين المعجمين أو يمحو معالجتها . ويبدو أن هذه الذلة هي التي جعلته يزعم في مقدمته أن أحداً من المؤلفين في المعاجم لم يأت قبله بتصنيف يحرس جميع النقط والحركات ، مع أن الفارابي قد سبقه إلى ذلك بقرنين من الزمن .

ولم يستطع القاضي نشوان برغم ذلك أن يمحو تأثير الفارابي عليه ، أو يقطع صلته به ، ولذلك نجد القسطنطيني يعتبر شمس العلوم شرحاً لـ ديوان الأدب . وهو ليس كذلك في الحقيقة ولكنه أثر من آثاره (٢) .

(١) المقدمة س ٣ ، ٦ وقد تكلم المؤلف في أكثر من صفحتين منها عن علم النجوم وأهميتها ومتزلجه .

(٢) لاحظ ما سبق أن اقتبسناه من قصيدة نشوان في مدح ديوان الأدب . وقد أورديت القصيدة بنصها في مقدمة تحقيقى (٣٩/١) .

٣ — مقدمة الأدب للزمخنري :

ومقدمة الزمخنري من الكتب التي سارت على نظام الأبنية ، ومؤلفها من علماء القرن السادس كذلك ، وقد قسمها إلى خمسة أقسام : الأسماء ، والأفعال ، والحرروف ، وتصرف الأسماء ، وتصرف الأفعال .

ولم يتبع المؤلف في قسم الأسماء نظام الأبنية ، وإنما سلك فيه سبيل المعاجم المرتبة بحسب الموضوعات ، فقسمها إلى أبواب ، جمع تحت كل باب منها الكلمات التي تدور حول موضوع واحد .

أما قسم الأفعال فقد اتبع فيه نظام الأبنية فقسمه أولاً إلى :

- (أ) الثلاثي المجرد .
- (ب) الثلاثي المزيد .
- (ج) الرباعي .

(د) وألحق بها قسماً رابعاً جمع فيه (من غير نظام) الأفعال غير المتصرفة ثم قسم كل قسم من الأقسام الثلاثة الأولى إلى أبواب . فقسم الثلاثي المجرد بحسب ماضيه ومضارعه إلى ستة أبواب ، وألحق بها باباً سابعاً للمبني للمجهول .

وفصل في كل باب الأنواع الآتية بعضها من بعض :

- (ب) المضاعف .
- (د) المعتل الفاء .
- (و) المعتل اللام .
- (ز) المعتل العين واللام .
- (أ) الصحيح .
- (ج) المعتل اللام .
- (ه) المعتل الفاء واللام .

ورتب الكلمات تحت كل نوع ترتيباً هجائياً كترتيب ديوان الأدب والصحاح .

وأما قسم الحروف فهو قسم قصير جداً لم يعالج فيه الزمخشري الحروف معالجة اللغوي ، وإنما عالجها معالجة النحوى الذى يبحث عن الأثر الإعرابى ولذلك كانت أقسامه : « فصل في الحروف التي تجر الأسماء » « فصل في الحروف التي تتصلب الأسماء » ، « فصل في الحروف التي تتصلب الاسم وترفع الخبر » ٠

وأما القسمان الرابع والخامس الخاصان بتصريف الأسماء والأفعال فيتناولان موضوعات تمس النحو والمصرف كالأعراب والبناء ، والتعريف والتنكير ، والإفراد والثنية والجمع ، والتصغير ، والنسب ٠

وتوجد من المعجم عدة نسخ ناقصة في دار الكتب المصرية يكمل بعضها بعضاً وهى :

نسخة رقم ١٠٠ لغة تشتمل على الأسماء وقسم الأفعال ٠

نسخة رقم ٦٣٦ لغة وتشتمل كذلك على قسمى الأسماء والأفعال ٠

نسخة رقم ٢٧٢ لغة تتضمن قسم الأسماء فقط وتشتمل على الأقسام الأربع الأخرى وكتب عليها خطأ « كتاب الأفعال » ٠

القسم الثاني

معاجم المعاني

يبدو أن فكرة هذا النوع من المعاجم الذي يرتب ألفاظه بحسب الموضوعات — كانت أسبق في الوجود ، أو معاصرة الأولى المعاجم العربية المرتبة على الألفاظ ، وإنأخذت البداية شكلا خاصا يتمثل في كتيبات صغيرة يتناول كل منها موضوعا واحدا من الموضوعات .

ومن أوائل من ألفوا الكتيبات ذات الموضوع الواحد : أبو مالك عمرو ابن كركة الذي ألف : خلق الإنسان ، والخيل . و منهم أبو خيرة الأعرابي الذي ألف : الحشرات وهو من علماء القرن الثاني الهجري .

وفي القرن الثالث استمر هذا العمل ، ووجدت بجانبه أعمال أخرى تتمثل في كتب تجمع أكثر من موضوع في مجلد واحد . فمن النوع الأول : السلاح للنضر بن شميل ، والنحل ، والإبل ، والخيل ، وخلق الإنسان لأبي عمرو الشيباني ، والإنسان ، والزرع لأبي عبيدة ، والمطر ، والمياه ، وخلق الإنسان ، والشجر لأبي زيد الأنصاري ، والإبل ، والنحل ، والإنسان ، والنبات ، والخيل للأصماعي ، وأسماء الخيل ، والبئر ، والدرع لابن الأعرابي ومن النوع الثاني تلك الكتب التي حملت اسم « الغريب المصنف » أو « الصفات » . و ومن ألف من أبناء هذا القرن : النضر بن شميل الذي ألف « الصفات » ، وأبو عبيد القاسم بن سلام الذي ألف « الغريب المصنف » ^(١) . ومن معاجم هذا القرن كذلك معجم لابن السكيت يحمل اسم « الألفاظ » وهو مطبوع ومتداول ^(٢) .

(١) ما يزال مخطوطا . وانظر عدنان الخطيب ص ٣٧ ، وحسين نصار ١٢٩/١ وما بعدها .

(٢) طبع بتهذيب التبريزى باسم « كنز الحفاظ فى كتاب تهذيب الألفاظ » .

ويستمر الاتجاهان في القرن الرابع ، فيؤلف الأخفش الأصغر « الأنواء » ، وابن دريد « السرج واللجام » و « المطر والسحب » ، وأبو على القالى « الإبل » . ويؤلف كراع النمل (أبو الحسن على بن الحسن الهنائى المتوفى بعد عام ٣٠٩ هـ) « المنجد » ^(١) ، وعبد الرحمن ابن عيسى الهمذانى ^(٢) (توفي ٣٣٠ هـ) « الألفاظ الكتابية » وقدامة بن جعفر (توفي ٣٣٧ هـ) « جواهر الألفاظ » . وآخر ماطبع من معاجم المعانى لهذا القرن « متخير الألفاظ » لابن فارس (توفي ٣٩٥ هـ) ^(٣) .

أما القرن الخامس فقد كاد يختفى ^(٤) منه الاتجاه الأول ، وبقى الاتجاه الثانى ممثلا في « مبادئ اللغة » للإسكافى (توفي ٤٢١ هـ) الذى ضم أبوابا تدور على الموضوعات ، مثل النجوم والدهر والمليل والنهر والثياب والآلات وأدوات الطعام والشراب ، وقد طبع بالقاهرة . كذلك ظهر فيه « فقه اللغة » للشعالبى (توفي ٤٢٩ هـ) وقد طبع كذلك . وتوج هذا القرن بعملين هامين ، أحدهما غالية في الطول ، والآخر غالية في الاختصار .

أما العمل الأول فهو :

المخصوص لابن سعيد :

وهذا المعجم يعد أوثق وأشمل معجم من معاجم المعانى في تاريخ اللغة العربية . وقد استعان ابن سعيد في تأليفه بكل ما كتب قبله تقريرا من مؤلفات الغريب المصنف ، والصفات والألفاظ والمعاجم اللغوية وكتب اللغة المختلفة ، ولذا جاء شاملا وافيا .

(١) طبع بتحقيق المؤلف بالاشتراك مع ضاحى عبد الباتى .

(٢) طبع كتابه بتحقيق لويس شيخو .

(٣) طبع بتحقيق هلال ناجي .

(٤) لم اعثر الا على « الأزمنة والأنواء » لابن الأجدابى وسيرد مزيد بيان عنهما .

ويضم الكتاب إلى جانب ذلك كثيراً من المباحث النحوية والصرفية،
كما أنه مزود بالشواهد المنظومة والمثورة ٠

والشخص مطبوع ومتداول ويقع في ١٧ جزءاً ٠ ويقول مؤلفه في
مقدمته : « وتأملت ما ألفه القدماء في اللسان ٠٠٠ فوجدتهم قد أورثونا
بذلك فيها علوماً نفيسة جمة ٠٠٠ إلا أنني وجدت ذلك نمراً غير ملائم ،
ونثراً ليس بمنتظم ٠٠٠ ثم إنني لم أر لهم فيها كتاباً مشتملاً على جلها
فضلاً عن كلها مع أنني رأيت جميع من مد إلى تأليفها يداً ٠٠٠ قد حرموا
الارتفاع بصناعة الإعراب ، ولم يرفع المزن عنهم ما أسدل عليهم من
كتيف ذلك الحجاب ، حتى كأنهم موات لم يمد بحيوانية أو حيوان لم
يحد ب الإنسانية » ٠

والمعجم مقسم إلى أبواب رئيسية بحسب الموضوعات وتحت كل باب
مجموعة من التقسيمات الفرعية كما يبين من المثال التالي : كتاب خلق
الإنسان - كتاب للباس - كتاب الطعام ٠٠٠ وتحت كتاب خلق الإنسان
نجد : باب الحمل والولادة - أسماء ما يخرج مع الولد - الرضاع
والمفطام والغذاء وسائر ضروب التربية - الغذاء السبيء للأ ولد ٠٠٠ -
الرأس - ومن صفات الرأس ٠٠٠ الحاجب - العين وما فيها ٠٠ -
الأنف ٠٠٠ - الشفة وما يليها من الذقن (١) ٠

وقد أعد الأستاذ محمد الطالبي دراسة ، كما قام بعمل فهارس
متنوعة للمشخص وطبعها تحت عنوان « المشخص لابن سيده - دراسة
ودليل » وهو عمل لا يأس به ويسير على الباحثين عناء التجوال في أجزاء
المشخص المتعددة للعثور على طلبتهم ٠

(١) انظر مقارنة بين معاجم المعانى (القديمة) ومعاجم الحقول الدلالية
(الحديثة) في بحثنا : نظرية الحقول الدلالية واستخداماتها المعجمية (مجلة
كلية الآداب ، جامعة الكويت ، العدد ١٣) ٠

ورب سائل يسأل : ولكن ما قيمة هذا النوع من المعاجم ؟ وكيف يمكن الاستفادة به ؟ والحقيقة أن هذا النوع من المعاجم لا يستفيد منه من عشر على كلمة وأراد ضبطها بالشكل ، أو تحديد معناها ، فمثل هذا الباحث لابد أن يرجع إلى معاجم الألفاظ . ولتكن يفيده من يدور مهني من المعانى في ذهنه ، أو يفكر في موضوع ما ، ويريد أن يجمع الألفاظ المتعلقة به أو التي تدور حوله فلن يفيده إلا هذا النوع من المعاجم . ولو أراد مثل هذا الباحث الاستعانة بلسان العرب مثلاً في العثور على طلبه لأفنى الشهور والسنين في لَمَ الكلمات التي يريدها وجمع شتاتها من أماكنها المتفرقة ، ولعدل عن المضى في بحثه حين يكتشف مدى الجهد الذي ينتظره .

وأما العمل الآخر فهو :

كفاية المتحفظ ونهاية المتألف لابن الأجدابى :

ولجهل الكثرين بالكتاب ومؤلفه رأينا أن نخصصه ببحث رافع يقصد إلى المعرفة بهما ووضعهما في مكانهما :

أما المؤلف فهو العالم اللغوى أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتى الأجدابى ^(١) الطرابلسى ، من علماء القرن الخامس الهجرى ، إذ كان معاصرًا لأبى محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن هانش قاضى طرابلس فى المدة من عام ٤٤٤ إلى ٤٧٧ هـ ، واه معه قصة ذكرها التجانى فى رحلته ^(٢) .

ومن مجموع ما ذكره المؤرخون وكتاب التراجم عن حياته نعرف أنه

(١) اللواتى نسبة إلى « لواتة » وهى قبيلة بربرية كانت تسكن أجدابية . والأجدابى نسبة إلى « أجدابية » وهى بلد من بلاد برقة (الزاوي : أعلام ليبيا ص ٤ ، معجم البلدان الليبية ص ٢٠) .

(٢) ص ٢٦٣ .

وإن كان ينتمي إلى أجدابية ، فقد ولد وعاش ومات في طرابلس . وقد وصفه القبطي بقوله : « من أهل اللغة ، ومن تصدر في بلده واشتهر بالعلم . وكانت له يد جيدة في اللغة وتحقيقها وإفادتها » ^(١) . وقد ألف كتاباً كثيرة هي بالإضافة إلى كتابنا هذا :

١ - الأزمة والأنواء وقد طبع طبعة محققة ونشر في دمشق بتحقيق الدكتورة عزة حسن سنة ١٩٦٤ م .

٢ - كتاب في العروض قال عنه التجانى « ناهيك به حسناً وترتيلاً وتهذيباً » .

٣ - كتاب في الرد على أبي حفص بن مكي في « تشريف اللسان » .

٤ - كتاب شرح ما آخره ياء مشددة من الأسماء .

٥ - كتاب مختصر في علم الأنساب .

٦ - رسالة في الحوكى ألأنها حين عيره « ابن هانش » بحوله ^(٢) :

وأما الكتاب فقد نال شهرة عظيمة برغم صغر حجمه ، وتوالت عليه المؤلفات شرحاً ونظمها ، وبقيت منه نسخ عدّة في كثير من مكتبات العالم . كما أنه طبع أكثر من مرة في أكثر من بلد عربي .

والكتاب صغير الحجم إذ يبلغ في بعض الطبعات ٥٥ صفحة ، وفي بعضها الآخر ٨٠ صفحة . أما موضوعه فنترك الحديث عنه لأن الأجدابي نفسه الذي يقول : « هذا كتاب مختصر في اللغة وما يحتاج إليه من غريب الكلام ، أو دعنه كثيراً من الأسماء والصفات ، وجنبناه حوشى الألفاظ .

(١) انباه الرواة ١٥٨/١ .

(٢) مزيد بيان عنه بمؤلفنا « النشاط الثقافي في ليبيا » ، ص ٢٥٧ وما بعدها .

واللغات ، وأغريناه عن الشواهد ليسهل حفظه ويقرب تناوله ، وجعلناه مغنياً لن اقتصر في هذا الفن ، ومعيناً لن أراد الاتساع فيه ، وصنفناه أبواباً » .

أما أبواب الكتاب فعنها :

باب في صفات الرجال المحمودة — ومن صفات الرجال المذمومة —
باب في صفات النساء المحمودة — ومن مذموم صفاتهن — معرفة طي النساء — باب ما يحتاج إلى معرفته من خلق الإنسان ٠٠

وليس أدل على قيمة هذا الكتاب من احتفال العلماء به ، واهتمامهم بكتابه الشروح والتعليقات عليه فمن ذلك :

١ — شرح محمد بن الطيب المغربي الفاسي (المتوفى سنة ١١٧٠ هـ) المسمى « تحرير الرواية في تحرير الكفاية » ، وتوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحمل رقم ١٤ لغة شن ^(١) ، وقد بدأ ابن الطيب الفاسي كتابه بقوله : « يامن المتحفظ بذكره كاف عن كفاية المتحفظ ، والتلظ بشكره إلى بدايته تنتهي نهاية الملتظ » وذكر أنه رمى من وراء تأليفه إلى ضبط كلمات الكفاية وشرح غريبها ، وأنه لم يؤلف كتابه إلا « بعد ما سألهني جماعة من الأصحاب الجهابذة الذين تكررت قرائتهم إياه كغيره على طائفة من الشيوخ والأساتذة الذين كانوا يستندون في أمثاله من العلوم اللسانية إلى » .

٢ — نظم ابن مالك صاحب الألفية له ٠ ويوجد من هذا النظم ميكروفilm محفوظ في معهد المخطوطات بالقاهرة برقمي ٢٨٦ ، ٢٨٧ لغة وعد ورقاته ٤٣ ٠ ومن أبياته :

(١) قام بتحقيقه مؤخراً على حسين البواب ضمن رسالة للحصول على الدكتوراه من كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة (١٩٧٨) .

وبعده فقد رأيت حتماً
إذ كنت أكملت الفصيح نظماً
أن أنتهي عزمه ذى عنية
فأنظم الوارد في الكفاية
إذ بها يتم نيل الأرب لمبتغى علم كلام العرب

٣ - ونظمه كذلك قاضي الحرث جمال الدين محمد بن محب الدين
الطبرى المתו فى سنة ٧٠٠ هـ تحت عنوان : « عمدة المتلطف فى نظم كفاية
المتحفظ » .

وغير ذلك :

ومما قيل تعليقاً على كفاية المتحفظ :

القطفى : « صنف فى اللغة مقدمة لطيفة سماها كفاية المتحفظ يشتمل
بها الناس فى المغرب ومصر » .

ابن الطيب الناسى : « واعتنى بهذا المختصر جمع من الأئمة المقتدى
بهم واعتمدوه . وأكثر من النقل عنه ٠٠ الفيومى فى كتابه المصباح
المنير ٠٠٠ والدميرى فى حياة الحيوان وغيرهما . وعدلوه بالمسنفات الكبار
الصالحة والتهدىء والجمل ونحوها . وربما اختار كلامه فى المصباح
عليهم أحياناً . وشهرته بين أهل الفن كافية » .

ومدحه الأديب الفقيه على بن صالح العدوى بقوله :

من كان يطلب فى الغريب وسيلة من شاعر أو كاتب متلطف
أو كان يبغى فى الكلام بлагة فليحفظن كفاية المتحفظ (١)

(١) راجع : النشاط الثقافى فى ليبيا للمؤلف ، ص ٢٦٢ وما بعدها .

٣ - المأخذ على المعاجم العربية

على الرغم من الجهد المضنية التي بذلها المعجميون العرب ، لم يسلم عملهم من النقد ، ولم يخل من المأخذ ولعل أهم هذه المأخذ ما يأتي :

١ - أكبر عقبة تصادف الباحث في معاجمنا اللغوية عدم ترتيب المواد ترتيباً داخلياً . ففيها خلط الأسماء بالأفعال ، والثلاثي بالرباعي ، والمفرد بالزديد وخلط المستعات بعضها ببعض « فربما رأيت الفعل الخامس والسداسي قبل الثلاثي والرباعي ، أو رأيت أحد معانى الفعل في أول المادة ، ويلاقى معانيه في آخرها . ففى مادة (عرض) ذكر الجر هرى المعارضة التي بمعنى المقابلة بعد المعارضة التي بمعنى المجانبة بثلاثة وثلاثين سطراً » (١) وكذلك فعل الفيروز ابادى في مادة حب ، فقد أورد في أولها : تحابوا أى أحب بعضهم بعضاً ، ثم قال بعد ستة وثلاثين سطراً : والتحاب التواد . ومن هذا القبيل ما ورد في لسان العرب في مادة ظفر إذ قال : ظفره وظفره وأظفره غرز في وجهه ظفره . ثم ذكر بعد خمسة وثلاثين سطراً ظفر به وعليه وظفره وأظفره الله به وعليه وظفره به (٢) .

لذلك كان على من يريد الكشف عن الكلمة أن يراجع المادة كلها من أولها إلى آخرها ، ولا يكتفى بمصادفتها في مكان واحد ، فربما تتكرر ذكرها . ولهذا يقول أحمد فارس الشدياق : « ولا جرم أن هذا التخليط والتشويش في ذكر الألفاظ ليذهب بصير المطلع ، ويحرمه من الفوز بالمطلوب فيعود حائراً بائراً » .

(١) الجلاسوں على القاموس ، ص ١٠ من مقدمته .

(٢) مقدمة « الستان » ، ص ٤٠ ، وانظر أمثلة أخرى من اللسان وأساس البلاغة في المعاجم اللغوية لأبي الفرج ، ص ٢٤ وما بعدها .

٢ - كذلك يواجه الباحث في المعاجم العربية بعدم الترامها بالمنهج الذي اختطه المؤلف لنفسه . ومن أمثلة ذلك :

(أ) ما جاء في « ديوان الأدب » للفارابي من أنه لن يذكر في المعجم المستقates القياسية ، ومع ذلك نجد في المعجم ذكرًا لِفعل جمع فعل ، ولِفعل جمع فاعل مثل نوم ونائم وغائب وغائب .

(ب) ما جاء في مقدمة لجنة « المعجم الوسيط » من أن المعجم قد أهمل « كثيراً من الألفاظ الحوشية الجافية ، أو التي هجرها الاستعمال لعدم الحاجة إليها ، أو قلة الفائدة منها ، كبعض أسماء الإبل وصفاتها ٠٠ ٠» ومع ذلك فقد ورد في المعجم كلمات مثل المهاهض بمعنى القوى من الناس أو الأسود ، ومثل المهاواع الناقة المسريعة الشديدة ، ومثل الناقة الدرصاء التي تكسرت أسنانها كبراً ، ومثل الدرفاس بمعنى الضخم العظيم من الإنسان والحيوان ^(١) .

٣ - ومن عيوبها كذلك وقوعها في بعض الأخطاء عند شرح المادة اللغوية . وقد ألفت الكتب قديماً وحديثاً في التنبيه على هذه الأخطاء . وقد سبقت الإشارة إلى « التنبيه والإيضاح » لابن بري ، و « نفوذ السهم » لخليل بن أبيك الصفدي ، و « التنبيه على حدوث التصحيف » لحمزة الأصفهاني . أما في الحديث فمما ألف فيها : « الجاسوس على القاموس » لأحمد فارس الشدياق ، « وتصحيحات لسان العرب » لأحمد تيمور . كما نشرت تصحيحات لسان العرب في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بقلم الأستاذ توفيق داود قربان ، وتصحيحات أخرى للأستاذ عبد السلام هارون في مجلة المجلة ، وأخرى للأستاذ عبد المستوار أحمد فراج في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة وغيرها ^(٢) . ونشرت

(١) عدنان الخطيب من ٦٣ ، ٦٧ - ٦٩ .

(٢) عدنان الخطيب نفس المرجع والصفحات . وانظر حسين نصار ٧٤٧/٢ وما بعدها .

تصحيحات للمعجم الوسيط للأستاذ عدنان الخطيب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق تحت عنوان « نظرات في المعجم الوسيط » ٠

ومن أمثلة هذه الأخطاء قول الجوهرى : وسلام من أسماء الرجل ، ويقال للجلدة التى بين العين والأنف سالم ٠ وقد عقب المصغاني بقوله : وهذا غلط ٠ وقد تبع خاله الفارابى فيأخذ اللغة من معنى الشعر ٠ والبيت الذى أخذ الفارابى هذا المعنى منه هو قول الشاعر :

يديروننى عن سالم وأريげه وجلدة بين العين والأنف سالم

وهذا البيت قد قاله ابن عمر في ابنه سالم ٠ وواضح أن « سالم » في الشطر الثاني – كما هو في الشطر الأول – هو سالم ابن ابن عمر ، وقد جعله لمحبته بمنزلة جلدة بين عينيه وأنفه ٠ ومعنى أريげه أطلبه وأريده وأميل إليه سرا (١) ٠

ومن أمثلتها كذلك قول الفارابى : « الصيعرية سمة في عنق البعير » ٠ قال الفيروزابادى : الصيعرية سمة في عنق الناقة لا البعير ٠ وقد حاول ابن الطيب الفاسى أن يعتذر عن الفارابى بأنه أراد بالبعير الأنثى ٠ ولا معنى لذلك في رأينا ، وقد يعيب على المسيب بن عيسى قوله :

وقد أتقنassi الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم

لأن الصيعرية صفة للنوق لا للفحول ٠ ولذلك حين سمع طرفة بن العبد هذا البيت قال : استنوق الجمل ، وضحك منه (٢) ٠

٤ – ومن عيوبها شرح الكلمات شرعاً معييناً مثل :

(١) التكلمة ٢٢/٦ ، لسان العرب ، مادة « سلم » . ويؤيد تفسيرنا للبيت ما جاء في وصية هشام بن عبد الملك المؤدب ولده : « ان ابني هذا هو جلدة ما بين عيني ، وقد وليتك تأدبيه » .

(٢) ديوان الأدب ٤٥/٢ ، والقاموس المحيط مادة « صعر » ، واضاءة الراموس ٣/١٠٩ ، والموازنة للأدمى ص ٣٢ ، والموسوعة المرزبانى ص ٧٦ .

(أ) غموض العبارة ، وتعريف اللفظ الغامض بلفظ غامض ، كقول الفارابي : « الصدع الوعل بين الوعلين » ، وهو يريد أنه وسط منها ليس بالعظيم ولا الصغير . ولكنه وعل بين وعلين ، كما شرحه الصحاح . وكقول الفارابي كذلك التثور : النيلج وقد شرحه الجوهرى بقوله : وهو دخان الشحم يعالج به الوشم حتى يخسر .

(ب) عدم الدقة في التعبير ، كقول الفارابي : الأكلف لون بين السواد والحمرة ، والحقيقة أن الكلفة هي ذلك اللون ، أما الأكلف فهو ما كان لونه بين السواد والحمرة . ومنه قوله أيضاً : « القنية آنية الشراب » والصواب إناء لأن القنية مفرد لا جمع .

(ج) التعريف الدورى مثل قول الفارابي : حسب الرجل صار حسبياً وقوله : الوارش في الطعام مثل الواغل في الشراب — الواغل في الشراب مثل الوارش في الطعام . وعبارة الجوهرى أوضح وهي : « الوارش الداخل على القوم وهم يأكلون ولم يذْعَ ، مثل الواغل في الشراب » . ومنه قول القاموس : تتجّح الحاجة واستتجّها تنجزها ، ثم قوله : تنجز الحاجة واستنجّها استتجّها (١) .

٥ — أنها أهملت في بعض الأحيان النص على ضبط الكلمة ، وبيان باب الفعل الثلاثي . ومن أمثلة ذلك قول الجوهرى : قلبته أى أصبت قلبه . وقلبت النخلة أى نزعت قلبها . ولم يذكر الباب ، وقد ذكر غيره أنه من باب فعل يفعل (فتح فكسر) .

٦ — كذلك من يتبع معاجم المتأخرین يجدها تعتمد إلى حد كبير على معاجم المقدمين ، سواء من ناحية المادة أو النظام . ومنها ما يتجاوز مرحلة الاعتماد إلى مرحلة التقليد الأعمى . ويحضرني من أمثلة التقليد الأعمى نموذجان :

(١) وانظر أمثلة أخرى في المعجم العربي لعدنان الخطيب ص ٧٦ وما بعدها .

(أ) اتباع ابن دريد نظام التقلييات تقليداً للخليل بن أحمد مع طرح ابن دريد للترتيب الصوتي . ونظام التقلييات لا يحقق هدفه إلا مقترباً بالترتيب الصوتي الذي يكشف عن خصائص « النسج الصوتي » للكلمات العربية ، ويميز التجمعات المسموحة والأخرى المنوعة .

(ب) استخدام ابن فارس نظام الدائرة في ترتيب ثوانى الكلمات وثوانها أي بدؤه الثنائي مما يلى الأول والثالث مما يلى الثنائي . وهذه نقطة حاكى فيها معاجم التقلييات دون أن يتتبه إلى الحكمة منها . فمعاجم التقلييات تبدأ الثنائي مما يلى الأول ، لأن ما قبل الأول قد سبق في مكانه . ولكن بعد أن طرح ابن فارس نظام التقلييات لم تعد هناك حكمة في بدء الثنائي مما يلى الأول لأن ما قبل الأول لم يسبق ذكره .

أما الاعتماد من ناحية المسادة فظاهرة متفشية في جميع المعاجم العربية . فكتاب الجمهرة يصفه « نفوظويه » قائلاً :
وهو كتاب العين إلا أنه قد غيره

ويصرح ابن فارس بالأخذ عن كتب السابقين والاعتماد عليها وعلى خمسة منها بالذات . « وهذه الخمسة معتمدنا فيما استبطناه من مقاييس اللغة » .

ويوضح ابن منظور في لسان العرب أنه نقل معجمه عن سابقيه نقاً تماماً . فيبعد أن يذكر التهذيب الأزهري والمحكم لابن سعيد ٤٠٠ يقول : « وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها ٤٠٠ سوى أنني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب » . ومثل هذا ينطبق على تهذيب اللغة والعباب والصحاح والقاموس ٤٠٠ وغيرها (١) .

(١) تفصيل ذلك في : المعاجم اللغوية للدكتور محمد أحمد أبو الفرج ص ٢٧ وما بعدها .

٧ - ويرتبط بهذا المأخذ آخر وهو وقوف المعاجم عند فترة زمنية لم تتجاوزها وهي القرن الثاني بالنسبة لعرب الحواضر والرابع بالنسبة لعرب البوادي ، مما أصاب اللغة بالجمود وعاقها عن التطور .

وخيراً فعل وأضعوا المعجم الوسيط حين لم يعتنوا بانقطاع سلامة اللغة العربية عند عصر معين ولا مكان معين ، وأثبتوا « في متن المعجم مادعت الفرورة إلى إدخاله من الألفاظ المولدة أو المحدثة أو المعرفة أو الدخيلة التي أقرها المجمع وارتضاهما الأدباء فتحركت بها السنناتهم وجرت بها أقلامهم » (١) . وقد استهدوا في ذلك بقرارات المجمع اللغوي التي من أهمها :

(أ) فتح باب الوضع للمحدثين بوسائله المعروفة من اشتقاد وتجوز وارتجال .

(ب) إطلاقه القياس ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس .

(ج) تحرير السماع من قيود الزمان والمكان ..

(د) الاعتداد بالألفاظ المولدة وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء (٢) .

٨ - خرجت معظم المعاجم العربية عن وظيفتها وبعدت عن حقل اختصاصها حين خلط أصحابها بين المعاجم والموسوعات ودوائر المعارف وحشوها معاجمهم بمواد غريبة عنها . وربما كان معجماً القاموس المحيط الفيروزابادي وشمس العلوم لنثشوان بن سعيد (٣) من خير الأمثلة على ذلك .

(١) مقدمة المعجم الوسيط (ط ثانية) ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢ . وانظر محمد أبو الفرج ص ٣٩ ، ٣٨ .

(٣) إذا كان هناك من عذر لنثشوان — كما يفهم من عنوان معجمه — فما عذر الفيروزابادي ؟

٩ — واذا كان المعجم العربي قد مر بعصره الذهبي خلال القرون الأربع الأولى من الهجرة فهو يمر الآن بحالة من الجمود جعلته يتخلّف عن حركة التأليف المعجمي العالمية ، ويعود ذلك إلى جملة أسباب منها :

(أ) أنه لا توجد هيئة دائمة أو مؤسسة متخصصة (حكومية أو غير حكومية) تتولى إصدار المعاجم العربية في أي بلد عربي ، والأمر متترك للناشر يقيسه بمقاييس الربح والخسارة وتحقيق النفع المادي .

والأمر يحتاج إلى مؤسسة على نمط « دار أكسفورد للنشر » التي أصدرت عشرات المعاجم الإنجليزية ، منها معجم أكسفورد الكبير الذي يعتبر المرجع الأعلى والأخير في اللغة الإنجليزية ، واستغرق إخراجه سبعين عاما . ومنذ صدوره عام ١٩٢٨ وتعديلاته المعجم مستمرة سواء بالحذف والتنقيح أو — وهو الأهم — بإضافة الألفاظ الجديدة التي استعمالها الكتاب والشعراء المحدثون أو عشر عليها في الصحف والمجلات المعاصرة ، ولذا فالمعجم في نمو مستمر ، وهو يزوّد دائماً باللاحق والمستدركات . ومن أهم المعاجم الأخرى التي صدرت عن دار أكسفورد : المعجم اللاتيني الانجليزي الذي يعد أعظم معجم من نوعه صدر حتى الآن واستغرق اعداده وإخراجه نحو من نصف قرن ، ويضم مفردات اللاتينية منذ ظهورها — رغم أن اللغة اللاتينية — كما نعلم جميعاً — لغة ميتة (١) .

(ب) أنه لا يوجد سجل شامل لمفردات أي عصر من عصور اللغة العربية حتى الآن . وما يتم إنجازه من دراسات معجمية لدواوين بعض الشعراء في أقسام اللغة العربية بجامعتنا ، لا يمثل إلا قطرة في بحر من ناحية ، وهو جهد مبعثر لا يتم ضمن إطار عام أو خطة شاملة من ناحية ثانية . كما لا يمكن الوثوق به أو الأطمئنان إليه من حيث الدقة والصحة اللغوية من ناحية ثالثة .

(١) انظر : خلوصي ص ١٠٢ وما بعدها والسيد في موقع متفرقة .

وقد كان — وما يزال — المعجم التاريخي حلمًا راود خيال الكثيرين .
ولكن تكلفة المشروع ، وضخامة الجهد البشري المطلوب لتنفيذها ، وغياب
الوعي بأهمية هذا المعجم . حال بينه وبين الظهور .

فليت أي جهة مسؤولة أو دار نشر غنية تتتبه إلى قيمة هذا العمل
الضخم وتتبناه . ولعل جمعية المعجمية العربية بتونس التي أعلنت عن
بدئها العمل في هذا المشروع تكون جادة في التنفيذ ، ولكن من أين لها
التمويل الضخم المطلوب والكافيات البشرية اللازمة ؟

ولو تم هذا يكون لدينا أساس قوى لرصيدنا اللغوي يتم ترويجه
كل لحظة بما يجد من ألفاظ على السنة الشعراء وبأقلام الكتاب ، وما يرد
في الصحف والمجلات ووسائل الإعلام المختلفة من كلمات وتعبيرات
وتراكيب .

(ج) أذنا مازلنا نعيش في عصر المعاجم الفردية ، وهو عصر قد
انتهى بالنسبة للمعاجم ، وحل محله عصر « المعاجم الجماعية » بعد
اتساع مجالات اللغة وتعدد استخداماتها العلمية والفنية . إن إخراج
معجم في القديم كان يعتمد على لغة الشعر والأدب وهي لغة يمكن
للمعجمي أن يدعى معرفته بها ، ولكن إخراج معجم في الحديث يعتمد
على لغة العلوم والأداب والمعارف المختلفة لا يمكن لباحث واحد أو
مجموعة صغيرة من الباحثين الإمام بها فضلاً عن الإفتاء فيها ، ولم
يعد المعجم الحديث في حاجة إلى لغوين فقط ولكن يجب أن ينضم
إليهم متخصصون ومستشارون في شتى فروع المعرفة وأمامنا معجم
« ويستر » الأمريكي كنموذج لهذا التحول الكبير . فقد ضم الفريق الذي
قام بالإشراف على طبعته الثالثة : رئيس تحرير ، وثلاثة عشر محررا
مشاركاً ، وستة وستين محررا مساعدا وكلهم من أساتذة الجامعات ،
وحملة الدكتوراه في التخصصات المختلفة كالرياضيات والفيزياء والكيمياء
والنبات والحيوان والديانات والأداب والتاريخ والمكتبات والفلسفة

والنظريات السياسية . . . الخ . كما خدم مائتى مستشار خارجى وعددا غير محدود من الخبراء يعملون في تخصصات مختلفة قد لا تخطر لنا على بال مثل معسكرات السمر ، والتسويق ، وصناعة الساعات ورصف الشوارع ، وإنتاج الزجاج ، والطيور المائية ، والحشرات والميدان . . . الخ ، مما جعل هذه اللجنة التي أخرجت المعجم أشبه بجامعة حديثة مصغرة .

(د) أن صناعة المعجم دخلت عالميا عصر الحاسوب الآلية ، ونحن مازلنا نستعمل الجمع والتقطيف اليدويين . لقد استخدمت الآلة في اختزان المادة اللغوية حين يكون حجمها كبيرا ، وما أظن أن لغة أخرى - على وجه الأرض - تنافس لغتنا العربية في خمامنة مادتها ، وامتداد تاريخها لبضعة عشر قرنا . وقد أمكن عن طريق الآلة حصر المادة بكل دقة ، والتصريف في ترتيبها بطرق مختلفة ، وضبط الإحالات ، والقيام بالتصنيفات النحوية والمصرفية المختلفة وغيرها .

(ه) والى جانب هذه المشكلات فقد تطورت صناعة المعجم عالميا من حيث الترتيب واختيار المداخل ، وكيفية عرض المادة ، وصارت له تقنيات وأسس محددة من حيث الشكل والموضوع . ومع ذلك فما زال معجمنا العربي مشدودا الى الماضي وما زال معجمينا حين يريدون وضع معجم حديث شدهم تجربة العرب الموجلة في القدم ، مما يبعدهم عن الاتجاهات الحديثة في صناعة المعاجم .

٤ - أهم المحاولات لوضع معجم حديث

بذل محاولات متعددة للتغلب على مشاكل المعجم العربي ، كما قدم كثيرون صورة للمعجم الحديث في نظرهم . وهناك محاولات نظرية أو تطبيقية قدمها بعض الأفراد ، كما أن هناك محاولات قامت بها بعض الماجماع اللغوية . وسنبدأ بمحاولات الأفراد ثم ننتهي بمحاولات الماجماع اللغوية .

أولاً : محاولات الأفراد

أخذت هذه المحاولات أشكالاً متعددة ربما كان أهمها :

- ١ - وضع منهجية جديدة للمعجم العربي .
- ٢ - تأليف الماجماع الميسرة .
- ٣ - إعادة ترتيب الماجماع القديمة ترتيباً سهلاً .
- ٤ - معاجم المستشرقين .

وستتناول كل محاولة من هذه المحاولات بالعرض السريع :

١ - أما وضع المنهجية الجديدة للمعجم العربي فقد قام ببعضه أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٧) الذي شغل نفسه بالعمل المعجمي منذ نعومة أظفاره . ومعظم آرائه عن المنهجية المعجمية « جداً في مقدمة كتابه « الجاسوس على القاموس » وفي ثانياً نقداته للقاموس المحيط . كما أنه أشار إلى بعضها في كتابه « سر الليل في القلب والإبدال » . ومن هذا وذلك يمكن أن نستخلص الأسس الآتية :

(١) ترتيب المادة اللغوية :

يختار الشدياق ترتيب المادة اللغوية على الترتيب الهجائي العادي ، ثم يوازن بين طريقي الصاحح وأساس البلاغة ويختار الثانية « فال الأولى عندى ترتيب الأساس للزمخشري والمصاح المثير للفيومى ، أعني مراعاة

أوائل الألفاظ دون أواخرها » ٠ ويرد على من يفضل طريقة الصاحب قائلًا : « فإن قيل إن الترتيب على الأوائل لا يعين الشاعر على جمع الألفاظ التي تأتى على روى واحد ، فالأولى ترتيب الصاحب – قلت : الخطب هين ٠ فعلى اللغويين أن يبينوا سر الوضع وعلى الشعراء أن يلتفوا كتابا في القوافي » (١) ٠

(ب) الترتيب الداخلى للمادة :

أكثر ما ضيق الشدياق في المعاجم العربية غياب النسق في عرض مفردات اللغة تحت المادة الواحدة ٠ فما دامت المعاجم العربية قد اختارت طريقة الجذور في ترتيب الكلمات ، وكانت هذه الطريقة تقتضى سرق العديد من الفروع والاشتقاقات تحت الدخل الواحد فقد كان من المنطقي أن تتقطن هذه المعاجم إلى طريقة لترتيب هذه الفروع وهو ما لم تفعله ٠ وقد سبق أن عرضنا أمثلة لغياب الترتيب الداخلى من مادتى « عرض » و « ظفر » ٠ واقتصر الشدياق للخروج من هذه الفرضى منهجا يقوم على أساسين هما :

- ١ – مراعاة جانب اللفظ بتقديم الثلاثي على الرباعى والرباعى على الخماسى ٠ وفي كل حالة يقدم المجرد على المزيد ، ويبدأ بال فعل ، تليه مشتقاته ٠
- ٢ – مراعاة جانب المعنى عن طريق البدء بالمعنى قبل المعنى ، والحقيقة قبل المجازى ، واستيفاء معانى المكلمة قبل الانتقال إلى كلمة أخرى (٢) ٠

(ج) صحة التعاريف :

يشترط الشدياق لصحة التعاريف شروطاً ثلاثة هي :

(١) الجاسوس على القاموس ص ٢٦ ، ٢٧ ٠

(٢) الجاسوس ص ١٠ ، ١١ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١ ٠ ، وسير الليل ص ١١ ٠

١ - وضوحاً و عدم إيقاعها في لبس . وقد عد من عدم الوضوح غموض عبارة الشرح ، ولذات قسا على الفيروزابادي في مقدمة جاسوسه لأنّه يبدل عبارة المعاجم الواضحة إلى عبارة غامضة مبهمة . كما عد منه إيراد ألفاظ في التعريف لا ترد في مظانها مع توقف المعنى عليها ، دقول الجوهري في « ربح » : « ربح في تجارتة أى استشف » ولم يذكر استشف في بابها . وعده منه كذلك ذكر اللفظ دون تفسيره ، دقول الفيروزابادي في « صيف » : « صيفت الأرض كعنى فهى مصيفنة ومصيوفة » . قال الشدياق : ولم يفسّره . وعبارة الصحاح : « صيفت الأرض فهى مصيفنة ومصيوفة اذا أصابها مطر الصيف ^(١) .

٢ - تعدد طرقها عن طريق ذكر المرادف والمضاد ، ووضع الكلمة في سياقاتها المختلفة ، ومن أمثلة ذلك ذكره كلمات الألوان التي تأتي وصفاً للفظ الموت مثل :

الموت الأحمر : وهو أن يتغير بصر الرجل من المهول فيرى الدنيا في عينيه حمراء وسوداء .

الموت الأغبر : وهو الموت جوعاً ، لأنه يغتر في عينيه كل شيء .

الموت الأسود : وهو الموت في غمة الماء .

الموت الأبيض : وهو موت العافية أو موت الفجأة لأنه يأخذ الإنسان ببياض لونه ^(٢) .

٣ - خلوها من الدور والتسلاسل . وقد سبق أن ضررنا أمثلة على ذلك من ديوان الأدب والقاموس المحيط .

(١) الجاسوس ص ٣ ، ١٤ ، ٥٧ ، ٥٩ ، وسر الليل ص ٥٥ ، ٢٦٠ .

(٢) سر الليل ص ٣٣٧ .

(د) الوقوف عند اختصاص المعجم :

يرى الشدياق أن على المعجمي أن يقتصر مادته على ألفاظ اللغة غير التخصصية ولذلك يعتبر من قبيل التجاوز لوظيفة المعجم ما يأتي :

١ - ذكر المعلومات الموسوعية كخواص الأشياء ومنافعها مما حرص عليه صاحب القاموس كل الحرص مع أن موضعها كتب الطب لا كتب اللغة . وكذلك المعلومات الجغرافية والأعلام .^{٠٠}

٢ - ذكر المشتقات التخصصية كإيراد المبني للمجهول بعد المبني للمعلوم مع أنه من المعروف أنه حيثما وجد المعلوم المتعدد وجد المجهول . وكذلك ذكر مصدر غير الثلاثي ، والنص على اسم المرة أو الهيئة أو الزمان أو المكان .^{٠٠}

٣ - ذكر ما هو من باب الفضول أو الاستطراد الذي لا فائدة فيه . وقد أخذ الشدياق معظم أمثلته من القاموس المحيط الذي بلغ النهاية في ذلك حتى تجاوز كل حد . ومن ذلك ذكره ما كان من قبيل الخرافات مثل خرافة الرخ والجزائر الخالدات وذكره أسماء أصحاب الكهف وحديثه عن النسطورية والبطريق والإسكندر وغيرهم^(١) .

(ه) وضع اللفظ المشتبه أصله في مظانه المختلفة :

هناك كلمات كثيرة في اللغة العربية يشتبه أصلها ومعرفة جذرها على اللغو المتخمس فضلاً عن ابن اللغة العادي . وقد كان هذا النوع من الكلمات محل خلاف بين المعجميين ، ولذا اختلفت مواضعه في المعاجم . وكان رأي الشدياق وضع أمثال هذه الكلمات حسب احتمالاتها

(١) الجاسوس ٣٢ ، ٨١ ، ٢٤١ ، ٣١٧ و ٣٩٦ - ٤٠٣ و سر

الليال ص ٤٦ ، ٥٧ ، ٦٠٧ .

المكنته في مظانها المختلفة مع الربط بين هذه المظان . ومن أمثلة ما رأى وضعه في أكثر من موضع الكلمات الآتية :

- * كلمة « أثنية » التي توضع في « أثف » و « ثنى » .
- * كلمة « مكان » التي توضع في « مكن » و « كون » .
- * كلمة « ترجمان » التي توضع في « ترجم » و « رجم » .
- * كلمة « كبريت » التي توضع في « كبرت » و « كبر » .
- * كلمة « عفريت » التي توضع في « عفترت » و « عفر » (١) .

(وانظر كذلك كلمات : أول - است - آنق - ذرية - بذىء -
دكان - بستان - ربّان - الملاط - هات - ليدة - حاش (الله)
وغيرها) (٢) .

ويحدد الشدياق أصولاً معينة يكثر الخلط فيها ، وهي المشتملة على
علة يصعب ردها إلى الواو أو الياء (انظر أبي ، وذرى ، وروح ، ورنا ،
وشكا) أو المشتملة على همزة أو نون « فمزقة الهمزة أن بعضهم يراها
أصلية وبعضهم يراها منقلبة عن حرف علة . وهزلقة النون أطم وأعم
فإنها تلتبس في أوائل الألفاظ وأواسطها وأواخرها مثل الأول لفظ
نرجس ، ومثال الثاني العنصر ومثال الثالث الربان والدكان والبرهان .
وما لا يحصى من نظائرها) (٣) .

(و) وضع المعرّب تحت لفظه :

يرى الشدياق ضرورة وضع الكلمات المعرّبة تحت لفظها على اعتبار
أن حروفها كلها أصلية . ولذا فهو ينتقد الفيروزابadi في وضعه كامنة
« استبرق » في « برق » ، و « أرجوان » في « رجو » . ويذكر الشدياق

(١) الجاسوس ص ٢٩ ، ٢٢ ، ٣٣ .

(٢) الجاسوس ص ٣٧٢ وما بعدها .

(٣) الجاسوس ٣٣ ، ٣٨٦ ، ٢٨٦ .

أن حكم « سأتمونيها » لا يجري على الألفاظ الأعممية لأن حروفها كلها
أصلية ^(١) .

(ز) بيان درجة اللفظ في الاستعمال :

يرى الشدياق أن من وظيفة المعجم النص على درجة اللفظ في الاستعمال فيقول : « من عادة المحققين من اللغويين أن ينبعوا على الفصيح من الكلام ، وعلى غير الفصيح ، وعلى الغريب ، والحوشى ، والمتزوك ، والمهمل ، والمذموم واللثغة ۰۰ ونحو ذلك » ۰ لذا عاب على صاحب القاموس إيراده الألفاظ إيرادا مطلقا من دون أن ينبه على درجتها ^(٢) .

٢ - وأما محاولة تأليف المعاجم الميسرة فقد قام ببعضها أول الأمر اللبنانيون ۰ وقد كان للنهضة المباركة التي هزت العالم العربي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وأدت إلى انتشار المعاجم المطبوعة بين الناس ^(٣) ، وقيام بعض العلماء بنقتدها ^(٤) ، أو الموازنة بينها ، والدعوة إلى تأليف معجم حديث – كان لكل أولئك أثر حميد في إيقاظ حميمية بعض العلماء فتصدى نفر منهم لتحمل عباء وضع معجم حديث سهل ^(٥) .

(١) الجاسوس ص ٢٧ - ٢٠ .

(٢) الجاسوس ١٣٥ - ١٣٥ .

(٣) انظر عدنان الخطيب ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٥ و قد ذكر في ص ٤٥ ، ٤٦
ان أول طبعة لصحاب الجوهرى ظهرت عام ١٨٦٥ م ، ولكتاب الرازى مختار
الصحاب عام ١٨٧٠ م ، ولكتاب الفيروزابادى القاموس المحيط عام ١٨٧٢
، ولكتاب الفيومى المصباح عام ١٨٧٦ م ولكتاب ابن منظور لسان العرب ،
ولكتاب الزمخترى أسلانس البلاغة عام ١٨٨٢ م ، ولكتاب الزبيدي تاج العروس
عام ١٨٨٩ م ، وبعد محاولة استمرت ما يقرب من عشرين سنة .

(٤) قبل مرور عشر سنوات على طبع القاموس المحيط مثلاً أخرج أحمد
فارس الشدياق كتابه الجاسوس على القاموس وذلك عام ١٨٨١ م .

ويلاحظ أن جميع الذين تصدوا لإخراج هذه المعاجم قد اختاروا الترتيب الهجائي العادى بحسب أوائل الكلمات ، ولكن رأى بعضهم – وهم قلة – أن يبقوا على الكلمات بدون تجريداً . ويلاحظ كذلك أن ذل هؤلاء جميعاً قد اتجهوا نحو الاختصار والتركيز ، وحاولوا ترتيب المادة ترتيباً داخلياً وتجنبوا عيوب المعاجم القديمة . ومنهم من زود معجمه بصور ورسوم زيادة في الإيضاح . ومن أشهر هذه المعاجم :

(أ) « محيط المحيط » للعالم اللغوى بطرس البستانى ، وهو يعتمد أساساً على القاموس المحيط ، ولكن مع حذف وإضافة ، ومع تغيير نظامه إلى الترتيب الهجائى العادى . وقد ظهر في جزعين كبيرين وطبع عام ١٨٦٩ م .

(ب) « قطر المحيط » للمؤلف السابق . وقد ذكر أن هدفه من تأليفه « أن نضع فيها هذا المؤلف على وجه هين المراهن سهل المأخذ ليكون للطلبة مصباحاً يكشف لهم عما أشكل عليهم من مفردات اللغة وقد سميته قطر المحيط ، لأن نسبته إلى كتابنا المطول في هذه الصناعة المسمى بمحيط المحيط توشك أن تكون كثيبة قطر الدائرة إلى محيطها ... » .

(ج) « أقرب الوارد في فصح العربية والشوارد » لسعيد الخورى الشرقى وقد أخرجه أول الأمر في جزعين عام ١٨٩٠ م ، ثم أضاف إليه فيما بعد جزءاً ثالثاً بمتابة الذيل . وبرغم الجهد الذى بذلها الشرقى ليكون معجمه سليماً من الأخطاء خالياً من العيوب لم يتحقق الكمال له . وقد أحصى الشيخ أحمد رضا هناته التي عثر عليها ونشرها في ثلاثة صفحات في مجلة الجمع العلمى العربى بدمشق .

(د) وفي عام ١٩٠٨ أخرج الأب لويس معلوف اليسوعى (توفى ١٩٤٦ م) كتابه « المنجد » بقصد خدمة الناشئين . ولذا جاءت مادة الكتاب قرية المأخذ ، سهلة التناول ، مع إيجاز غير مخل . وأعيد طبع المعجم عدة مرات مع زيادات واستدراكات في كل مرة .

ومع ذلك لم يسلم المعجم من المأخذ فتصدى بعض الغيورين على العربية الى بيان أوهامه وأخطائه اللغوية والتاريخية ٠ وما نشر في ذلك مقالات لنير العماراتى فى مجلة المعرفة الدمشقية ، وبحث بعنوان نظرة فى المنجد للأمير مصطفى الشهابى ٠

وفي طبعة عام ١٩٥٦ ألحق به الأب فردينان توتل اليسوعى قسماً بعنوان « المنجد فى الأدب والعلوم » عنى فيه بالترجمة لأعلام الشرق والغرب وزينه بكثير من الصور والرسوم والخرائط^(١) ٠

(ه) « البستان » ، « وفاكهة البستان » وكلاهما لعبد الله البستانى ، وثانيهما اختصار الأولهما ٠ وقد ظهر الأول فى مجلدين وطبع فى بيروت عام ١٩٣٠ م ٠

(و) وفي سنة ١٩٥٨ طبع « متن اللغة » للشيخ أحمد رضا فى خمسة أجزاء كبيرة ومقدمة طويلة بحث فيها عن مولد اللغة وتطور اللغات إجمالاً ، وعن نشأة اللغة العربية وتطورها واختلاف لهجاتها ، وعن أوهام الأعلام وأغلاله أئمة اللغة ٠ وألحق بمقدمة معجمه جداول متعددة للموازين والمقاييس والمكاييل وللكلمات المعربة حديثاً^(٢) ٠

(ز) الرائد لجبران مسعود ، وقد صدرت أول طبعة منه عام ١٩٦٥ م ٠ وأهم ما يتميز به ترتيب الكلمات تحت حروفها المنطقية بدون تفريق بين أصلى وزائد ٠ وقد وضعه المؤلف وفي ذهنه خدمة الطلاب ، فهو أشبه بمعجم مدرسى منه بمراجع لغوی يمكن الاعتماد عليه والإشارة إليه فى المصادر ٠

(ح) « المساعد » للأب انسناس مارى الكرماني ، وقد ظهر الجزء

(١) عدنان الخطيب ، ص ٥٢ ، عبد السميع محمد : المعاجم العربية ص ١٧٩ - ١٨٥ بالإضافة إلى معجم المنجد نفسه .

(٢) عدنان الخطيب ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

الأول منه بعد وفاة مؤلفه بربع قرن بتحقيق كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجى (١٩٧٢) ٠

ويعد الكرملى أحد اللغويين المعاصرين التلائل الذين نافحوا عن اللغة العربية وبذلوا قصارى جهدهم في إظهار فضلها ، وله في ذلك ما يزيد على ألف مقالة ٠ وقد بدأ عمله في معجمه عام ١٨٨٣ وظل يواصل العمل فيه حتى عام ١٩٤٦ ٠ وقد سماه أولاً « ذيل لسان العرب » ثم عدل عن هذه التسمية وسماه « المساعد » ٠

ومما ذكره الكرملى في مقدمة المعجم نعماً أن الذى دفعه إلى تأليفه ما لاحظه من خلو معاجم الأقدمين والمؤلفين المعاصرين من كثير من الألفاظ الواردة في دواوين الشعراء وكتب الأدب « فأخذنا منذ ذلك الحين بسد تلك الثغرة مدونين ما لا نجده في كتب لساننا » ٠

وقد بنى معجمه على جملة أساس منها :

١ - ذكر مصدر الكلمة إن كانت دخيلة ، وأصلها الثنائي إن كانت عربية ٠

٢ - اذا أثبتت لفظة لم ترد في المعاجم أرفقتها بمحل ورودها ٠

٣ - التبيه إلى الأغلاط التي انسلت إلى لغتنا ٠

وقد توفي المؤلف بعد أن ترك المعجم مسودة مخطوطة بخطه في خمسة مجلدات ضخام ٠

ومن الجديد في هذا المعجم :

١ - تفسيره « الآباء » في اصطلاح عهد العباسيين بالذاهية التي تفسد الدين أو المعتقد ٠ واستشهاده على هذا بما جاء في « نهاية الأربع » للنويرى و « صبح الأعشى » للقلقشندى ٠

٢ - تصحيح استعمال « أبداً » مع الفعل المألف بدلاً من « قط » استشهاداً بقول أبي الهندى :

أبا الوليد أما والله لو عملت فيك أثمه ميل لما حرمتها أبداً
وليس أدل على ضخامة هذا المعجم من أن الجزء الأول منه قد
انتهى بجزء من حرف الهمزة فقط ٠

٣ - وأما إعادة ترتيب المعاجم القديمة أو اختصارها فيدخل تحتها :

(أ) « ترتيب القاموس المحيط » للشيخ الطاهر أحمد الزاوي ، وقد رتبه على ترتيب المصباح المنير وأسماء البلاغة ، وأخرجه في أجزاء ٠ وقد التزم فيه ترتيب الكلمات تحت أوائلها بدون تجريد لها من الزوائد ٠ يقلل المؤلف في مقدمة : « وقد ظهر لى أن القاموس يكرر أكثر فائدة طلاب المعلم ، ويكون إقبالاً لهم عليه أشد إذا أزيلت عنه هذه الصعوبة ، وقدم إليهم في ثوب جديد بحيث يكتب على حروف أوائل الكلمات ٠٠٠ واعتبار حروف الكلمة المنطق بها ، لا فرق بين زائد وأصل ٠ وبذلك يسهل عليهم الوصول إلى ما قصدوا » (١) ٠

(ب) « مختار القاموس » للشيخ الزاوي كذلك ٠ وقد رتبه على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير ، وقال عن هدفه فيه : « وقد جعلت نصب عيني أن أختصر من أجزاء القاموس الأربع جزءاً واحداً يسهل على الطالب استصحابه إلى المدرسة أو الجامعة أو حيث يريد » ٠ وقال عن منهجه : « وقد الجأتني خرورة الاختصار إلى الاستغناء عن ذكر كثير من الأواد التي لم يألفها المجتمع العام ولا تدعو الحاجة إلى استعمالها ٠ كما حذفت أسماء الأشخاص والبلدان والأماكن والخيرات وصفاتها ٠٠ وحذفت أسماء النباتات - إلا في القليل النادر - وخصائصها ٠٠ » (٢) ٠

(١) مقدمة ترتيب القاموس صفحة « د » ٠ وقد سبق الحديث عن إعادة ترتيب لسان العرب ٠

(٢) مقدمة مختار القاموس ، من ٦ ٠

(ج) «المختار من صحاح اللغة» تأليف الأستاذين محمد محيى الدين عبد الحميد، ومحمد عبد اللطيف السبكي. وندع المؤلفين يشرحان مهمتهما، وما يتميز به معجمهما :

١ - «يشتمل كتابنا هذا إذن على جميع المواد التي يشتمل عليها كتاب مختار الصحاح الذي ألفه الإمام الرازى ولم نحذف منه شيئاً كما فعل الذين قاموا على ترتيبه من رجال وزارة المعارف المصرية» .

٢ - «ضبطنا مفرداته ضبطاً لا يبقى معه تردد لقارئه ولا مجال للبس على مبتدئه» .

٣ - «يشتمل على زيادة كثيرة هامة تبلغ مقدار نصف المختار» .

٤ - «رأينا أن نرتبه ترتيب الزمخشري في الأساس والفيومي في المصاح ، لأنه أقرب إلى الناشرة وأسهل عليهم» (١) .

(د) «الإفحاح في فقه اللغة» للأستاذين حسن يوسف موسى وبعد الفتاح الصعيدي . وهو المعجم الوحيد من بين المعاجم الحديثة الذي اتبع نظام الموضوعات في ترتيبه . ولا غرابة في هذا فهو مبني على كتاب «المخصص» لابن سعيد ، ويعود في جملته اختصاراً له . وقد ذكر الأستاذ العقاد في تقديم هذا الكتاب أن «الإفحاح سيرحب به المحافظون لأنه تراث قديم يضمن عليه بأن يهجر في زوايا النسيان ، وسيرحب به المجددون لأنه يختصر لهم طريق التتقيق عن المفردات ، وسيرحب به كل مشتغل بالترجمة في علم أو أدب أو صناعة» .

أما المؤلفان فقد ذكرا السبب في تأليف هذا المعجم ، كما بينا جهدهما في تأليفه ، ويختصر هذا وذاك فيما يأتي :

(١) مقدمة الطبعة الثانية صفحات و ، ز ، ح .

١ — من عيوب المخصوص طوله واتساعه وكثرة شواهد المظومة والمنثورة واستطراداته النحوية والصرفية ، مما جعله وقنا على الخواص ، ولذلك قاما باختصاره ٠

٢ — المعجم مبوب بحسب ما في الكون كله من آثار في الأرض ، وآيات في السماء وبكل ما تحمل الدنيا ويدب فيها من إنسان أو حيوان أو طير أو نبات ، وما تحفل به بطنه من معدن ، أو يفتأ فوقها من صخر وكل ما يعمله الناس من صناعة أو زراعة أو تجارة أو فنون (١) ٠

٣ — قرأ المؤلفان القاموس المحيط وفقه اللغة للتعالبي واللسان والأساس وغيرها واستخلصا منها ما ند عن المخصوص مما تمس الحاجة إليه ٠

٤ — التحلية بالصور الحيوان والنبات والشجر والطيور والسمك والمحشرات والأدوات ٠

٥ — الحق المؤلفان بالكتاب معجما للألفاظ مرتبًا ترتيبا هجائيا على الحروف ليسهل الرجوع إلى مادته (٢) ٠
ونلاحظ على عمل المؤلفين ما يأتي :

١ — أنهم لم يفصلوا بين ما هو من كلام ابن سيده وما هو من إضافاتهم ، ولم يذكروا المرجع مع كل إضافة ٠ ولو فعلوا لأمكن توثيق المادة المضافة ، ولتبين مقدار ما أخذوا من كتب اللغة الأخرى ٠

٢ — برغم أن الكتاب يقع في جزعين ضخمين مجموع صفحاتها

(١) وقد قسم المؤلفان مادته إلى ثلاثة وعشرين بابا بدأ بباب خلق الإنسان وانتهت بباب في الخلق والعالم وأصناف الأشياء وأحوالها ٠

(٢) وانظر مقدمة العقاد ، ومقدمة الطبعة الأولى والطبعة الثانية للمؤلفين ٠

١٣٩٦ صفحة فلم أجد في الجزء الأول كله ويقع في ٦٤ صفحة إلا بضعة وعشرين صورة . ومعنى هذا أن ما ذكره المؤلفان عن التخلية بالعصور المبالغ فيه جداً بل يكاد يكون عديم القيمة .

٤ - أما معاجم المستشرقين فمن أشهرها :

(١) محاولة فيشر المعجمية : وقد كان فيشر أحد كبار المستشرقين الألمان ، وحجة في اللغات الشرقية من عربية وعبرية وسريانية وحبشية وفارسية وغيرها . وقد شغل كرسى الدراسات العربية بليزج منذ عام ١٨٩٩ (١) .

وقد عنى فيشر بالمعجم العربي منذ أربعينيات القرن الماضي وعاش معه نحو خمسين سنة . ويظهر أن محاولته عمل معجم تاريخي للغة العربية قد تأثر فيها بمعجم أكسفورد التاريخي الذي نشر قبل مولده بقليل . ولقد قضى نحو أربعين سنة في جمع مادته وتنسيقها ، وحين عرضها على مجمع اللغة العربية في مصر رحب بالفكرة ، وقد قررت الحكومة المصرية عام ١٩٣٦ السماح بإتمام عمله المعجمي في القاهرة ، ووعده بأن تتحمل نفقات طبعه ، وأمدته بمساعدتين شبيان لتعاونته في القراءة والنسخ . ولكن الحرب العالمية الثانية قد اندلعت واضطر فيشر إلى العودة إلى وطنه . وتوزعت مواد معجمه بين مصر وألمانيا . وكان الأمل أن يعود فيشر بعد الحرب إلى مصر ليتم ما بدأ إلا أن المرض أقعده ثم عاجله المنية ، وتوفي عام ١٩٤٩ (٢) .

وقد حدثنا فيشر أنه عرض فكرة تأليف هذا المعجم أولاً في مؤتمر المستشرقين الألمان في باسل Basel عام ١٩٠٧ ، ثم في مؤتمرين آخرين

(١) المجمعيون ، ص ١٤٥ .

(٢) مقدمة مذكور لمعجم فيشر صفحة « ه » ، ومقدمة فيشر ص ٢١ والمجمعيون ، ص ١٤٥ .

عاليين أحدهما عقد في كوبنهاجن سنة ١٩٠٨ والآخر في أثينا عام ١٩١٢ كما حدثنا عن الصعوبات المادية الكثيرة التي كانت تواجهه فتوقفه عن العمل أو تصييده بالفتور ، وعن عدم وجود ناشر ينفق على طبعه (١) .

وحاول المجمع أن يلم ما تفرق من جذادات فيشر فلم يستطع الحصول على ما نقل منها إلى ألمانيا ، ولاحظ أن ما بقى منها غير مكتمل ، ولم يجد ما يصلح للنشر منها سوى مقدمة أعدها المؤلف ، ونموذج من حرف المهمزة فطبعهما المجمع .

وقد شرح فيشر في مقدمته النص الظاهر في المعجمات العربية السابقة الذي يرجى لأجله تأليف معجم جديد كبير ، ورأه يتذكر في أن « المعجمات التي صنفها العرب لم تجمع كل كلمات اللغة العربية بل جمعت الفصيح منها فقط » ثم ذكر أن « منتهى الكمال لمعجم عصرى أن يكون معجماً تاريخياً ، ويجب أن يحتوى المعجم التاريخي على كل كلمة تداولت في اللغة » فإن جميع الكلمات المتداولة في لغة ما لها حقوق متساوية فيها ٠ ولكن المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وجهة النظر هذه ، إذ إنها لا تعالج الناحية التاريخية لفردات اللغة » ٠ واعتبر كذلك من عيوب المعاجم القديمة إغفالها كثيراً من الأداب النثرية مثل « قصص البطولة لأيام العرب وكتاب السيرة لابن هشام ، وكتاب المعازى للواقدى ، وكتاب تاريخ الرسل والملوك لمطبرى وغيرها من كتب الأدب القديمة ٠ وقد حوى هذا الأدب المنثور كلمات وتراتيب كثيرة لا أثر لها في القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الشعر القديم ، وهو من بعض التوازن يقدم لنا صورة من اللغة العربية القديمة أحسن مما يقدمه الشعر » ٠

أما النهج الذي رسمه فيشر لمعجمه فيتلخص فيما يأتي :

١ - الرجوع إلى الواقع اللغوي المسجل ، والمحدد بعصور معينة

مع البدء بالكتابة المقوشة المعروفة بنقوش النمارة من القرن الرابع الميلادي والانتهاء بنهاية القرن الثالث المجرى ، وهو القرن الذي اعتبره المجمع اللغوى منتهى ما وصلت إليه اللغة العربية . لفصحى من كمال ٠

٢ — اشتغال المعجم على كل كلمة — بلا استثناء — وجدت في اللغة ٠

٣ — ضرورة معالجة الكلمات من النواحي السبع التالية : التاريخية ، والاشتقاقية ^(١) ، والتصريفية ^(٢) ، والتعبيرية ^(٣) ، وال نحوية ، والبيانية ، والأسلوبية ^(٤) ٠

وأهمية التناول التاريخي تبدو من أن اللغة دائمة التطور ، ولكن الكلمة تطورها التاريخي الخاص ٠ ولهذا يجب أن يوضح هذا التطور التاريخي بمقتضى ملدينا من وسائل وإن كانت وسائل قاصرة ٠

والأهمية العظمى يجب أن تعطى للموضوع الذى وردت فيه الكلمة لأول مرة في آداب اللغة ٠ وكما يجب أن يعني بعده تطور الكلمة يجب أن يعني با آخر تطورها ، وهل لاقت موتا في الزمن القديم أو الحديث ، أو اندرت معنى من معانيها ٠٠٠

٤ — مراعاة ترتيب المعانى المتعددة للكلمة بتقديم المعنى العام على الخاص والحسى على العقلى والحقيقة على المجازى ونحو ذلك ٠

٥ — تحديد المحيط اللغوى الذى تستعمل فيه الكلمة أو التعبير أو

(١) وتناول توليد الكلمات وبحث أصول الكلمات وأنسابها ٠

(٢) وتناول تصريف الأفعال والاسماء ٠

(٣) وتناول تحقيق معنى الكلمة او معاناتها مع ترتيب المعانى والتفرقة بين الحقيقى والمجازى منها ٠

(٤) وتحديد المحيط اللغوى الذى تستعمل فيه الكلمة أو التعبير أو التركيب ٠

التركيب ، كلغة القرآن ولغة الحديث وأسلوب الشعر والخثر ، والأسلوب التارىخي وأسلوب الفنون وغيرها .

٦ - محاولة إتباع الشرح باللغة العربية بالترجمة المختصرة الإنجليزية أو الفرنسية زيادة في الإيضاح ، وحتى تعين المستشرقين الذين لم يتمكروا من اللغة العربية غاية التمكّن .

ولكن اذا رجعنا الى النموذج الذى طبعه مجمع اللغة العربية نلاحظ أن المؤلف لم يلتزم أن يطبق في هذا النموذج النهج التارىخي الذى ادعاه ولا التسلسل الزمنى لتطور الكلمة ، سواء من ناحية النطق أو الدلالة ، وإنما كل ما يزيده على المعاجم الأخرى (المديمة منها لا الحديثة) ترتيب مادة الكلمة ترتيبا داخليا ، وذكر المصادر التى تعرضت لعلاج هذه الكلمة . نعم ذكر فيشر عند علاجه لكلمة الأوابد أنها وردت بمعنى المضحكات في كشاف الزمخشري من علماء القرن السادس الهجرى (١) . ولكن هل الزمخشري حقا أول من استعملها ؟ وإذا كان كذلك ، أفلأ يتناقض هذا مع ما سبق ذكره من الوقوف عند القرن الثالث ؟ كذلك يرد في أول المادة مقارنة الكلمة بنظائرها الساميات كالأشورية والأكادية والعبرية والأرامية ، وهو جهد قيم يسجل للمؤلف بالتقدير .

(ب) معجم لين : أما اسم المؤلف فهو إدوارد وليم لين ، وقد ولد عام ١٨٠١ وتوفي عام ١٨٧٦ م . وأما الاسم الذى اختاره لمعجمه فهو « مد القاموس » وهو معجم عربى إنجليزى ضخم فى ثمانية أجزاء ، نشر خمسة منها فى حياة المؤلف وثلاثة بعد مماته . وهو ليس كسائر المعاجم المزدوجة اللغة تعطى الكلمة ومعناها ، وإنما هو أشبه بمعجم عربى مرفقة به ترجمة لسادته باللغة الإنجليزية .

ويقول الأستاذ نجيب العقيقى عن هذا المعجم : « ومد القاموس

(١) وانظر : درويش : المعاجم العربية ، ص ١٤٦ .

جمع لأول مرة في تاريخ اللغة العربية المفردات من أمهات كتب الأدب ، مما لم يرد في المعاجم القديمة أو معجمي جوليوس وفرايتاج ، ومنتخبات من القرآن الكريم ، بحيث أصبح قاعدة بنيت عليها معظم المعاجم العربية الأحدث عهداً باللغات الأوروبية ، وذاك من أجدود المعاجم المتداولة »^(١)

ويقول الأستاذ آربى (الرئيس السابق لقسم الدراسات الشرقية بجامعة كمبردج) : « إن هذا المعجم يعد أدق خدمة قدمها أوربى لغة العربية »^(٢) . ووصف فيشر المؤلف بقوله : « لين أعلم المستشرقين بالمعجمات العربية »^(٣) .

أما عن مصادر لين فكانت المعجمات العربية التي أنها العرب سواء المطبوعة منها والمخطوطة مما اتفق له الحصول عليها ، واعتمد أكثر ما اعتمد منها على تاج العروس للزبيدي^(٤) .

وأهم نقص في هذا المعجم أن مؤلفه مات قبل أن يتمه ، إذ لم يصل فيه إلا إلى حرف القاف . وقد طرح في اجتماع دولي للمستشرقين أمر إكماله واعتبر ذلك أمراً ذا أهمية خاصة ، حتى إن كريمر (توفي عام ١٩٦١) بدأ معجمه العربي - الألماني - الإنجليزي من حرف القاف من أجل ذلك ، وظير في أربعة أجزاء^(٥) .

ولكن يكفى لتصوير جهد المؤلف في هذا المعجم أن نعلم أنه قد صدر خصيصاً من أجله ، وكان يعمل فيه بين الثنتي عشرة ساعة وأربع عشرة ساعة يومياً ، وأفرغ الخمس والعشرين سنة الأخيرة من حياته في

(١) ٤٨١/٢ .

(٢) الأعلام مادة أدوارد وليم لين .

(٣) المعجم التاريخي ص ١٨ .

(٤) المرجع ص ١٩ ودائرة المعارف البريطانية مادة « Lane » .

(٥) دائرة المعارف البريطانية ، مادة « Lane » . والمستشرقون

إنجازه . وقد كان لين إلى جانب ذلك من يتقنون اللغة العربية كتابة وخطابة ، وقصد مصر أكثر من مرة ، وأعلن إسلامه ، وتنسى باسم منصور أفندي ، وتردد على الأزهر وسائر المساجد للصلوة وطلاب العلم ^(١) .

(ج) معجم دوزى أو تكميلة المعاجم العربية : وهذا المعجم في الحقيقة يعد ذيلا على المعاجم العربية ، ذكر فيه مالم يجد له ذكرا فيها . وقد طبع المعجم في مجلدين ضخمين بالعربية والفرنسية (ليدن ١٨٧٧ - ١٨٨١ م) وليدن - باريس ١٩٢٧ ، ثم أعادت مكتبة لبنان طبعه مصورة بالألوان في بيروت (١٩٦٨) . وأخيرا قام بترجمة قسم كبير منه الدكتور النعيمي .

ودوزى هو اسم الأسرة أما الاسم الشخصى فهو رينهارت ، وقد تعلم مبادىء العربية في منزله ، فقد كان من أسرة تحب الاستشراق ثم واصل دراستها بعد بجامعة ليدن ، وتعمق في فهمها ، ودرس الشعر الجاهلى . وبرغم أن دوزى عاش في هولندا فأصله فرنسي هاجر أسلافه من فرنسا إلى هولندا في منتصف القرن السابع عشر . وقد كان مولده عام ١٨٢٠ م ووفاته عام ١٨٨٣ م . وقد تولى إدارة مخطوطات مكتبة ليدن الشرقية ووضع فهرسين لها ، كما عين أستاذًا للغة العربية بجامعة ليدن (١٨٥٠ - ١٨٧٨) وكان عضوا في عديد من المجامع العلمية ^(٢) .

(١) العقيقى ٤٨٠/٢

(٢) المرجع السابق ٦٥٨/٢ - ٦٦٠ ، الأعلام ، مادة رينهارت دوزى ، وفيشر ص ٦ . وانظر ترجمة وافية له في مقدمة الترجمة للدكتور محمد سليم النعيمي .

(م) ٢١ - البحث اللغوى)

قبلة قبورها عملاً ثانياً لغتها المجامع اللغوية نلاحظه .

حسب نصته : هناك سبعة مجمعات لغوية من حيث عدد الكلمات .

(١) انتوبيت تثير من المهام اللغوية إخراج أنواع مختلفة من المعاجم تخدم أغراض خاصة ، وقد تحقق بعضها وظفر فعلاً ، ولكن ببعض آخر وهو ما يميز الفكرة : أودي بشمول عالم يخرج إلى حيث الوجهة (وطبع هذه للمجاميع أن تجمع طباعة المعجم في هضبة علو المكتبة الدائمة للتعميق المتعمق بالطبع للباحثين في الدليل بالغليونية والذى يقتضى ريلفيمه مقراً جلساً ، وطالع جميع العلماء العرب بدمشق لاكتشافه وأخيراً دمجها في اللغة العربية بالأردن ١٨٨٠م)

ـ هـ هي حصة قسمت بصلة ليضاءه . (٢) تعيينه على تسيير مجلسه

ـ أما مجمع اللغة العربية بالقاهرة فقد نص في مرسومه على أنه من أهم أغراضه « أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية » وقد أخذ نفسه بذلك منذ البداية وكانت في دوراته الأولى (« لجنة المعجم ») من كبار اللغويين العرب والمستعربين وكذلك جاء في قانون إنشائه مجمع اللغة العربية (افتتح عام ١٩٣٤م) وأنه من أهدافه وضع معجمات ثلاثة :

ـ ١ - معجم وسيط يقتصر على الألفاظ الكثيرة الدوران بمقدار ما يناسب الدراسات الأولى .

ـ ٢ - معجم وسيط يتسع فيه ، مع الاقتصار على الألفاظ المستعملة في فصيح الكلام تأليفاً وإنشاء بمقدار ما يناسب الدراسات الوسطى .

ـ ٣ - معجم بسيط يكون ديواناً عاماً للغة ، جامعاً شواردها وغريبيها ، مبيناً أطوار كلماتها وما طرأ على بعضها من توسيع في الاستعمال ، أو تغير في المعنى في عصور اللغة المختلفة .

ـ كذلك جاء في هذا القانون أن من أهدافه وضع معجمات صغيرة لمصطلحات العلوم والفنون وغيرها .

(١) تغير اسمه الآن إلى مجمع اللغة العربية بدمشق .

في ذلك لم ينفرد الجامع بعد كل مثير علته وإنما ينفذ منها ما يأتي في مطلع

١ - المعجم الوسيط : وقد طبع ثلاث طبعات حتى الآن ظهرت الأولى

عام ١٩٦١ في جزءين كبارين يحتويان على نحو ١٠٠ صفحة من ثلاثة
أعمدة ومن القطع الكبير ، ويستتم على نحو ٣٠ ألف مادة ، و مليون
كلمة وستمائة جمودة . وظهرت طبعته الأخيرة عام ١٩٨٥ .
وهي وفقاً لغرضها من تلخيص المدارك الخطاء للسابقين في خاليفهم ،
وتقديراتهم في التاريخ والتراث . وقد كان مما يحيط المعاجم القديمة
على قدرها ملائكة وشدة اساليبها حتى انها لم تصل بخطها المصوّر
ولا مقتضياتها ، لأن في شروحها غموضاً ، وفي بعضها تعارض خطأ ، وفي
بعضها ليس بشيء . وقد وقف أصحاب المعاجم إلى جانب ذلك عند حدود زمنية
ضيقة فقدت معاجمهم كثيراً من معالم الحياة والتطور . كذلك من
شروط المعجم الحديث أن يكون سهل المأخذ واضحاً دقيقاً مصرياً
ما أمكن ، محكم التقويب . وهذا ما حاول المجمع تطبيقه بالفعل . ويمتاز
هذا المعجم بترتيبه الهجائي ، العادي على حسب الأصول . كما يمتاز
باستعماله على مصطلحات العلوم والفنون ، وضمه كثيراً من ألفاظ الحياة
العامة ، واحتواه على عديد من الألفاظ المولدة والمعربة حديثاً . كما
راعى المعجم قرارات المجمع المختلفة في دوراته مثل قياسية صوغ المصدر
الصناعي ، وقياسية تعدية الفعل الثلاثي بالهمزة ، وقياسية صوغ مطابع
فعل على تفعيل وهكذا (١) . وفي سبيل الترتيب الداخلي روعى في ترتيب
الكلمات تقديم الأفعال على الأسماء . والمجرد على المزيد ، والمعنى
الحسنى على العقلى ، والحقيقة على المجازى ، والفعل اللازم على
المتعدد . وهكذا .

(١) من الكلمات التي أقرها المجمع اللغوى ووردت في الوسيط : كلمة
قيم ومصدرها التقييم ، وكلمة فنان للشاعر والأديب والرسام . وكلمة
قاموس بمعنى معجم . وهناك كلمات كثيرة ورد بعدها الرمز (مج) وهو
يعنى أنها كلمات مجتمعية أقرها مجمع اللغة العربية .

وقد اكتشف المجمع بعض هنات في معجمه تداركها في طبعتيه الثانية والثالثة ٠

٢ - المعجم الكبير : ظهر منه جزءان فقط ، يشمل الأول منها قسماً من حرف الهمزة ٠ وقد ظهر لأول مرة عام ١٩٥٦ ٠ وهو يسمى على الترتيب الهجائي العادى بعد تجريد الكلمة من الزوائد ٠ ويدل على الحجم الذى يتنتظر أن يظهر فيه المعجم ذلك الجزء الذى يقع فى نحو ٤٢٨ صفحة (عدا الفهارس التى تقع فى ٩٠ صفحة والمقدمة التى تقع فى ٨ صفحات) ، ولم يصل إلا إلى مادة « أخرى » من حرف الهمزة ٠

وقد التزم المعجم ما يأتى :

١ - تصدير كل مادة بمعانيها الرئيسية إجمالاً ثم يتناول كلاً منها تفصيلاً ٠

٢ - ذكر أصل المادة أو أصولها في الساميات إن وجد ذلك ٠

٣ - رد الكلمات المأخوذة من لغات أجنبية إلى أصولها ٠

٤ - ترتيب المادة بحسب المعانى الكبرى ، مع التدرج من المدخلات المادية إلى المعنوية ٠

٥ - الاستشهاد بالشعر والنشر مع اختلاف العصور ، ومع الترتيب الزمني بقدر الإمكان ٠

٦ - ذكر ما لا بد من ذكره من الأعلام والتعريف بها في إيجاز ، وكذلك أسماء الأمكنة ٠

٧ - الإشارة إلى المرجع حين يكون ذلك مفيداً ٠

٨ - العناية بالضبط بالشكل (١) ٠

(١) راجع : مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً ص ١٥٦ ، وبعد السميع ، ص ١٨٧ وما بعدها ، ودرويش ص ١٤٧ وما بعدها ، والجزء الأول من المعجم ٠

وقد أعيد طبع الجزء الأول مؤخراً ونشرته دار المعارف بالقاهرة مع بعض تعديلات ، ومحاولة لتدراك أخطاء الطبعة الأولى ٠

٣ - معجم ألفاظ القرآن الكريم : وقد بدأ المجمع في إخراجه تباعاً منذ عام ١٩٥٣ حيث أصدر الجزء الأول منه ثم في سنة ١٩٥٩ ظهر الجزء الثاني ، وفي سنة ١٩٦١ ظهر الجزء الثالث ووصل إلى آخر حرف السين وقد انتهى طبع المجمع عام ١٩٧٠ ، وأعادت دار الشروق طبعه في مجلد واحد ٠ ويعيد المجمع الآن لطبعة جديدة ، وألف لجنة لتعيد النظر في تنسيق المجمع واستدرك ما فات في الطبعات الأولى ٠

وهو مرتب على الترتيب الهجائي العادي ويشرح ألفاظ القرآن شرعاً لغوياً مع بيان المزيد والمفرد والمصدر والمشتقـات ٠ وإذا كان للفظ معان مختلفة قدمت الحسية على المعنوية ، ورتبـت الأخيرة بحسب أهميتها وكثرة ورودها في القرآن^(١) ٠

٤ - مصطلحات العلوم والفنون : يقف المجمع نحو ٧٠٪ من نشاطه في جمع المصطلحات ومناقشتها وإقرارها ٠ وقد أخرج قدیماً كراسات في مصطلحات بعض العلوم ومنذ سنة ١٩٤٢ وهو يحوالى إخراج مجموعات كبيرة كل عام تضم مصطلحاته التي يقرها المؤتمر السنوي وهي في حدود الألفين تقريباً^(٢) ، وقد ظهرت مجموعات كبيرة من هذه المصطلحات تضم كل مجموعة مصطلحات علم أو فن معين ، كما يحرص المجمع على نشرها في مجلته الدورية ٠

٥ - المعجم الوجيز : وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٨٠ ، وهو معجم مدرسي كتب بروح العصر ولغته ويتلاءم مع مرافق التعليم العام ٠ وأضيف فيه إلى المادـة اللغـوية التقليـدية ما دعـت إلـيـه الـضرورـة من

(١) مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً ص ١٤٨ وما بعدها من المعجم نفسه .

(٢) المرجع ، ص ١٢٢ وما بعدها .

الأفلاط المولدة أو المسخحة أو المغربة أو الدخيلة، وكما أورد خلافة من المصطلحات الشائعة التي يحيط بها الشامين تعلم الصناع، فكل واحدة من هذه

المصطلحات لها مدلها أربع معانٍ: ^(١) مدلها حسب الأصل على حسب أو إلهام واختارت لجنة التحرير من مادة الوحيض ما رأت فيه الملوء بحاجة الطالب. وجاء مجموع ما حواه زهاء خمسة آلاف مادة، وصور منها ما يحتاج توضيجه إلى تصوير من نحو نبات أو حيوان أو آلة، فاشتمل على أكثر من ^{٣٠٠} صورة له ^٢ وذلك كلها في مجموعها

وراعت اللجنة جملة من القواعد تحقق الاختصار والترتيب الداخلي للمواد، وظهر في ^{٨٧} صفحة تحوى كل صفحة ثلاثة أعمدة ^(٢). الأولى تضم المحتوى الدائم لتنسيق التعرير، ^(٣) فلم يوجبه اقتضاؤه للمفاجم الشاملة، وإنما لمعاجم المصطلحات، وقام بمهمة التنسيق بين جهود

العلماء في التعرير ^(٤). من هنا جاءت ملخصة المحتوى الدائم، وهي تضم تأسيس المكتب عام ^{١٩٦٩} والحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ^{١٩٧٣}، ومنذ ذلك الحين وهو يصدر دورياً بخطبة باسم «اللسان العربي» يخصص من بين أجزائه جزءاً لبيان المعاجم المنشورة إلى جانب ما يطبعه طبعات مستقلة، وقد نشر المكتب من هذه القبيل عشرات من المعاجم المتخصصة معظمها ثلاثي اللغة (عربي - إنجليزي - فرنسي) تسهيلاً لعمل الباحثين وتنشيراً لنشر المصطلحات التقنية والعلمية في الوطن العربي ^(٥).

ولعله يليق هنا ذكر بعض ملامح المكتب المنجز حتى الآن: يحيط به مجموع المصطلحات الشائعة التي يحيط بها الشامين تعلم الصناع، فكل واحدة من هذه

(١) انظر تصديرين الدكتور مذكور ومقدمته الاستاذ مصطفى حجازى

للجمع ^(٦) ومعه ^(٧) لمحة تاريخية عن تحريرها ^(٨).

(٢) انظر مجلة اللسان العربي (العدد ^{١٧} ، الجزء الأول) الصفحات ^{٣٢٤} وما بعدها فيها تعريف واف ويكتبه تنسيق التعرير (نصها ^(٩))

رَبِّيْا جَوْلَدِيْ (الْمُكْتَب) هَشْر وَعِيلَاتٌ كَثِيرَةً اهْنَمَانْغَيْ - رَبِّيْلَجْهَا - رَسْنَفَهْ

١ - إعداد معجم للألفاظ المندرة لغةً حتى أصل فحصيّم إلى المُؤمّنات

العافية في البلاد العربية : رسمياً وبياناً وملهاً ومحلاً لها

١١) قيم عدداً اعداً مجمعاً واحداً للغة للتغيير أصلها والاحتلالية يفتحه
جاءة باسمه وقيمه في المقام باسمه يفتحه في المقامات لصالحها وفرض
على ٣- بن شعاع بن هركي عربى المصطلحات العلمية والمقنة
الجمع فى إعدادها معجم الابناظ الفصيح المقى ادق خطى الفريعة بالطبعى للحديث
وهي عامة الأصل .^(٢) تصالحها

٥ - إعداد معجم للمعاني يجمع الحصيلة اللغوية في كل علم وفن ،
مما يمده به الكتاب والهيئات بقصد نشرها في كتاب مستقل على الترتيب
الموضوعي ، وقد أوصى مؤتمر التعرير المتعدد بالرباط من ٣ - ٧ أبريل
سنة ١٩٦١ بوضع هذا المعجم ليكون عوناً لأبناء العربية على العثور على
الألفاظ الدقيقة لما يحول في أذهانهم من المعاني والصور . وقد عرضت
على مؤتمر التعرير الرابع (١٩٨٠) مجموعات من مصطلحات التعليم
المهني والتكنولوجيا فأقرها .

٦ - عمل معجمٍ يجمع في صورة مبسطة ومحددة المفردات العربية الجارية في الاستعمال العربي السليم اليوم ومعانيها المراهنة تختار من الكتب الدراسية والجامعية والمؤلفات العلمية الحديثة وقوائم المصطلحات التي تنشرها الجامعات اللغوية ومن الصحف والمجلات المسائية والقصص الجارية .

٧ - عمل معاجم ثنائية اللغة للمصطلحات العلمية والفنية والحضارية
 وتألّفت هذه المجموعات من ملخصات ملخصات لغاتيّة (١) تلخص ملخصات
 لغاتيّة (٢) املأها نصوصاً من ملخصات لغاتيّة عامة بين فنون بعينها (٣) مستندة
 وقد أُنجزت المكتبة الدائم كثيرة من هذه المنشروات وبشكله تلخص
 المصطلحات التي بدأ في إنجازها وبشكلها ملخصات ملخصات فنون (٤)
 المصطلحات التي بدأ في إنجازها وبشكلها ملخصات ملخصات فنون (٥)

(فرنسي - إنجليزي - عربي) والمجم المعيادي ، (فرنسي - إنجليزي - عربي) ^(١) ، وعشرات غيرها .

أما المجمع العلمي العربي بدمشق : فقد اتسعت أهدافه لتشمل مختلف العلوم الحديثة والقديمة ، واتجهت معظم جهوده المعجمية إلى وضع المصطلحات العربية لكي تحل محل الألhanاظ الأعجمية ، وإصدار قوائم لغة الصحافة والكتابة والمحادثة وتتنقّيّتها من الشوائب . ولله اتصال بالجامع اللغوي الآخر لترحيد الجمود ولاسيما في مجال المصطلحات ^(٢) .

(١) انظر مجلة «اللسان العربي» وهي مجلة يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعریب بالمغرب وقد ظهر منها أكثر من عشرين مجلداً، بحتوى على جزءين أو ثلاثة أجزاء.

(٢) راجع مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٣٢ ، ج ١ ،
سنة ١٩٥٧ م . صفحات ٧٢ - ٧٧ .

٥ - قائمة

كلمات يصعب معرفة أصلها (*)

ادخر = ذخر	ائتلی = آلو - آلى
ادکر = ذكر	آدم = أدم
أرائك = أرك	آل = أول
أرجاء = رجو	آلاء = آلى
أرجوان = رجو	آية = آيا
ازدهر = زهر	إيليس = بلس
اضطرب = ضرب	ابن = بنو
اطئرد = طرد	اتتبع = تبع
اطئير = طير	اتخذ = أخذ
افتئت = وقت	اتزر = أزر
أكمة = أكم	اتسم = وسم
أكْمه = كمه	اتقى = وقى
الله = آله	اتشاقل = ثقل
أممَة = أمم	اثنان = ثنى
أممَة = أمو	أجمَ = ججم
أممات = أمم	اخت = أخو
أنبوب = نبيب	أخ = أخو
أودية = ودى	ادرك = درك

(*) الكلمات مرتبة بحسب نطقها لا أصلها . والهزة مقدمة فيها على

أَوْلَى = ولی	فِسْمَةٌ حادِقٌ (عدد) = وحد
أُولَى = وول - وال	حَادِي (الإبل) = حدو
أُولَى = وول - (قَلْمَلْ) لِيَلْسَأْ قَلْعَه جَلْجَوْهِي تَلْلَفَهِي	بَال (اسم) = بول
حسَّان = حسن - حسن	بِرَّيَه = برا
حصَّاء = (يائِيَه)	بَلْبَل = بَلْ
حِمَاء = (واوِيَه)	بَنْتُو = بنى - بخونا
حُواءَ = حوا	بِهِيق = بهق
خَنْزِير = خرزا - خنزيم	تَارَة = تور - تير
دَاء = دوا	تَتَرَى = وتر
دَم = دمي	تَجَاه = وجه
دَوَاء = دوا	تَخْمَة = وخم
دَوَى = دوا	تَرَاث = ورث
دِيمُومَة = ديم - دوم = مبضا	تَرْقُوَة = رقو - رقيه - ترق
دِيَة = ودي	تَعَالَى (الله) = علو
ذَرَّ (أمر) = ذرر	تَقْوَى = وقى
ذَرَّ : ذرر	تَكَلَّة = وكل
رَبَّان = ربب	ثَبَات = ثبو
رَحْمَوت = رحم	ثَبَات = ثبت
رَحِى = (يائِيَه)	ثَرَى = (يائِيَه)
رَمَّان = رمم - رمن	ثَقَات = وثق
رِيَاح = روح	جَبْرُوت = جبر
زَكَاة = (واوِيَه)	جَدَّة = جدد
زِين (أمر من زان) = زين	جَدِّة = وجدة
زِين (أمر من وزن) = وزن	حَمَّمَة = حجم
سَامَ = سوم	جَهَر = جهر
سَامَ = سوم	سَنَا = (واوِيَه)

لِفَ لَوْيَه مَعْقَمَه كَمَنَاع . لِيَلْسَأْ لِيَلْسَأْ قَلْعَه تَلْلَفَهِي

جَهَر = جهر

سَنَا = (واوِيَه)

سَفَاجَه

سواء = سوى (فَيْعَلْ) = ثَانِيَه فِرَاء (جُمِعْ فَيْعَلْ نَحْمَانِيْلِلْوَهْمَشْ كَيْصَرَا	
سواسية = سويتَه = تَالِيَه فِرَاء (جُمِعْ فَيْفَوْهْ) (فَقْرَنْه) حِيسَه	
سيّة (القوس) = قَيْمَاه = ثَانِيَه فِلَاه = (واوية) ثَانِيَه = ثَانِيَه	
سيّان = سوي دَعَه = لَعِيَه قائل (من القرفص) (فَقِيلَه) قَيْنَيَه	
شَتَّان = شَتَّت رَنَج = دَلِيَه قائل (من القبلولة) (خَلْقَلِيه) قَيْنَيَه	
شَتَّتى (متفرقة) = شَتَّتَه = لَكْه قَذَاه = (يائية) = (لَعِفَه) حِيسَه	
شَتَّتى (من الشتاء) = شَتَّتَه قَرْنَفَلْ = قَرْفَلَه = (فَرِيقَلَه) حِيسَه	
شجى = (يائية) (فَيْعَامْ) = قَلْبَه قَضَاه = قَضَى بَهْ = قَلْبَه شَهْ	
شذا = (يواوية) بَهْ = نَبِيجَه قَفَاه = (فَوْلَوْيَه) أَحَمَه بَهْ (فَهْ) حِيسَه	
شفا = ((فَلِيَطَه) = (فَقَه) لَسَه قَلَا (إضاج الطعام على المقالة) = شَفَاه	
شفة = شفه - شفويَه = نَابِيَه قَلُوه - زَعَمَه = دَلَه (دَلَه) نَبِيعَه	
شكافع (سواوية) نَهْ بَهْ = قَلَى (أ - إضاج الطعام على المقالة)	
شيّطان بَهْ شَيْطَه بَهْ بَهْ شَيْطَه بَهْ (ب - البعض والجهلة) = قَلْقَلَه	
صلوة (يَطَه) بَهْ صَوْبَه بَهْ قَنَاه = (فَوْلَوْيَه) - ثَلَه = قَلْثَلَه	
صار (يصير) = صَيَرَه = كَرَه بَهْ كَرَه كَرَه = تَهْلَه	
كَلَّتَا = كَلَّه - كَلَّت	صبا = (واوية)
كُوكَب = كَبَه - كَوكَب	صدى = (يائبة)
لا سِيما = سوى	صفا = (واوية)
لَثَه = لَثَه - لَثَى - لَوَث	طلا = (واوية)
لِدَّه = ولَد	طَوبَى = طَيْب
لَظَى = (يائبة)	عصا = (واوية)
لغَة = لَغَو - لَغَى	عَفَّان = عَفَن - عَفَف
لَهَاهَه = (واوية)	عِيدَه = عَود
مَآب = أَبَه	غَدَاه = (واوية)
مَئَات = مَأْوَه - مَأْيَه	غَصَاه = (واوية)
ماء = مَوَه	فَدَه (أمر من فَاد) = فَيَدَه
	فَدِه (أمر من وَفَد) = وَفَدَه

مهاة = (واوية)	محيس (فعيل) = محص
موَات = موت	محيس (مفعل) - حيص
متوَاتٍ = وتنى	مَدَّاك = دوك
مِيعاد = وعد	مَدِينَة (فعالية) مدن
ميناء = وننى	مَدِينَة (مفعلة) = دين
نار = نور	مسِيح (مفعل) = سِيح
نبىٰ = نبو	مسِيح (فعيل) = مسح
نجاة = (واوية)	مشكاة = شکو
نرجس = رجس - نرجس	صَبَر (فرد مصران) = مصر - صير
نسَا (عرق) = (واوية)	معين (ماء) = معن - عين
نيران = نور	مقلات = قلت
هَبْ (أمر من وهب) = وهب	مقلاة = قلى
هَبْ (أمر من هيب) = هيب	ملائكة = ملك - أَلَك - لاك
هَبْ (أمر بمعنى احسب) = وهب	ملکوت = ملك
يَحْمُوم = حمم	

الفصل الخامس

الدراسة المقارنة

من المشهور بين الباحثين أن الدراسة اللغوية المقارنة لم توجد إلا في العصر الحديث ، وبعد اكتشاف اللغة المنسكرينية ٠ يقول محمد الأنطاكي : « لم يفطن أحد إلى وجود القرابة بين كل هذه الألسن ، ولم يظهر المنهج المقارن إلا بعد العثور على اللسان المنسكريني » ٠

وهذه المقوله برغم شيوعها ليست صحيحة ، على الأقل بالنسبة للدراسات العربية ٠ فقد وجدت منذ القرن العاشر الميلادي (الرابع المجرى) دراسات مقارنة قام بها لغويون متخصصون ، ومعظمها تم في المغرب والأندلس على يد لغويين يهود سجلوها باللغة العربية ٠

وأشهر عملين تما في هذاخصوص عملاً ابن بارون وجودة بن قريش ٠ وإن وجدت أعمال أخرى أقل قيمة كتلك التي قام بها أبو يوسف القرقسانى ودلاود بن إبراهيم ^(١) ، ودوناش بن تميم ^(٢) ٠

أما ابن بارون فقد كان من يهود إسبانيا ، واسمها بالكامل أبو إبراهيم إسحاق بن بارون ، وقد كتب في أواخر القرن الحادى عشر كتابه العظيم « كتاب الموازنة بين اللغة العبرية والערבية » ^(٣) . وقد خصص الكتاب للدراسة المقارنة بين اللغتين من جانبي اللغة والشحو ، واهتم ببيان أوجه الشبه والخلاف ٠

(١) انظر : Literary History of Hebrew ص ١٦ ، ٢٣ ٠

(٢) انظر : Ibn Barun's Arabic Works ص ٣ ٠

(٣) المرجع السابق ، مقدمة ٠

والكتاب مقسم الى قسمين ° فالقسم الأول مخصص للنحو المقارن ،
واما القسم الثاني فيضم معهها **منها** **الغيرها** اجذور الكلمات الواردة في
الكتاب المقدس والتي لها مقابل عربي °

وَتَبَعًا لِعَدْهُ رَتَبَ ابْنَ بَارُونَ الْقَسْمَ الْمَعْجَمِيَّ (الثَالِثُ لِقَسْمِ النَّدْوِ) أَلْفَيَانِيَا .

كما أعتبره مما قيل في ملائكة سماء عالى نبي ورسلا نه
محمد بن عبد الله يقول فيه إن سلطاناً ينادي بالليل بمنزلة هذا المكتاب أذن يكابر قد خصل منه
له نفسه لسرقة الملك (الملك) بغير حق الملكين ومن ذوا الحجارة (الفحري) « وتطوّق
الأفعال »، « وملتئ كل نبأ ملائكة السماء العالى معروفاً يحيى معجمنا ليجمع
كل الجذور التي، نطقها ومعناها بتفاقر، في كلتا المفتتن^(١) ».

١ - التشابه في الخط واللفظ والمعنى

٢ - التشابه نتيجة لتعاون الحروف المتشابهة الخارج

٤ - الشابه نتيجة التصحيف » (٢) .

٣ - الشابه نتيجة لتعاون الحروف المجاورة .

وقد أشار ابن بارون الى بعض المعجميين العرب ومؤلفاتهم مثل العين للخليل بن أحمد ، والجمهرة لابن دريد ، والمفرد لكراء . كما أشار الى بعض النحاة العرب مثل المبرد ، والزجاج ، وابن الأثباري .

ومن أمثلة المقارنة في القسم النحوي ذكره :

19. *Leucosia* *leucostoma* *leucostoma* *leucostoma* *leucostoma*

(٢) المرجع السابق، ص ٥٤ - ٥٦.

ومن عناوين هذا القسم :

د و لستقا هشتك ر همسة قیم عالی بیعته کلمه نیشیه نبا ثلثه عق

فَهَذِهُ الْمُتَقْوِلُونَ عَلَيْهِمْ مُرْتَقِيَّةُ الْأَسْيَمِ لِحَمَّةِ الْمُقْوِلِيِّ عَلَى الْمُبَشِّرِيِّ وَالْجَمِيعِ وَمَا تَقْرَبُ إِلَيْهِ
الْمُغَانِيَيْنِ فِيمَا ذَكَرَ حَمَّةُ الْمُقْوِلِيِّ فِيهِ التَّذَكِيرُ وَالتَّأْثِيرُ - الْمُقْوِلُ عَلَى الْخَيْرِ أَصْنَافِ
الَّتِي تَلْحِقُ بِالْفَعْلِ وَرِتْبَتُهِ تَصْرُوفُ أَبْنَيْتِهِ الْمَذْكُورَةِ - الْمُقْوِلُ عَلَى الْأَفْعَالِ
الْمُعْتَلَةِ وَرِتْبَتِهِ تَجَانِسُ الْلُّغَتَيْنِ فِيهَا - الْمُقْوِلُ عَلَى أَقْسَامِ الْأَفْعَالِ حِسْبًا
عَصَمَ لِلْمُؤْمِنِ بِهِ لِعَمَّةِ الْمُبَشِّرِيِّ الْمُبَشِّرِيِّ الْمُؤْمِنِ بِهِ لِعَنِ الْمُؤْمِنِ بِهِ لِعَنِ
الْمُتَعَدِّيِّ لِلْمُؤْمِنِ بِهِ لِعَنِ الْمُؤْمِنِ بِهِ لِعَنِ الْمُؤْمِنِ بِهِ لِعَنِ الْمُؤْمِنِ بِهِ لِعَنِ
وَقَدْ أَعْطَى ابْنُ بَلَارُونَ حُكْمًا عَالَمًا عَلَى الْلُّغَتَيْنِ - رَوَضَ إِلَيْهِمَا
السَّرِيَانِيَّةَ - فَقَالَ: «فِي يَوْمِ الْلُّغَةِ الْعِبرَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالسَّرِيَانِيَّةِ
مُتَقَرِّباتٌ الْأَشْتَقَاقُ وَالْتَّصْرِيفُ وَالْمَفْظُوتُ لِقَرْبِ مَرَاجِ أَهْلِهَا، لِقَرْبِهِمْ فِي
الْأَقْلَيْمِ»، فَيَأْتِي أَذْكُرُ مِنْهَا مَا وَقَعَ التَّوَافُقُ فِيهِ خَاصَّةً (٢).

وقد نشر المستشرق الروسي P. K. Kokovtsov (١٨٦١ - ١٩٤٢) في سنة ١٨٩٣ القطع التي عثر عليها من هذا الكتاب في مكتبة لينجراد الوطنية . وقدم للطبعa بمقدمة وملحوظات باللغة الروسية ، كما الحق بها ترجمة روسية . وفي عام ١٩١٦ أعاد المستشرق السابق طبع كتاب .

Ibn Barun's Arabic Works 11

٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ وغیرها .
٢(٢) كتاب الموازنة لابن بارون - تحقيق وتقديم
«P. K. Kokovtsov»
ص ٢٢ ، ٢٣ .

ابن بارون مع إضافة بعض القطع الجديدة التي عشر عليها ، ومع ترجمة كاملة باللغة الإنجليزية ٠

وأما جودة بن قريش التاهري فقد كان أسبق من ابن بارون بنحو قرن من الزمن ، وكان أول أمره طبيباً ازدهر في منتصف القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ٠

وقد ترك ابن قريش عملاً مكتوباً بالعربية قسمه إلى ثلاثة أقسام ، وغالب في قسم منه العلاقة بين العربية والأرامية ، وفي قسم آخر العلاقة بين العربية والعربية ٠ وشبه العلاقة بين العربية والأرامية « بفروع الشجرة الواحدة أو بعروق الجسد الواحد » ٠ كما صرخ بأن العربية والأرامية ليسا أجنبيين ٠ وذكر أن العربية والعبرية نتاجاً عن أصل واحد وتفرعاً نتيجة الخروج إلى أماكن مختلفة وإللاختلاط بلغات أخرى ، والاقتران منهما ٠ وأصدر حكمه على اللغات الثلاثة بقوله : « العربية والأرامية والعربية قد صيغت — بالطبيعة — بطريقة واحدة » ٠

ومن أهم التصايا التي تناولها ابن قريش إلى جانب ذلك :

١ — شرحه لتناسبات الأصوات الساكنة في كل من العربية والأرامية والعربية ، سواء وقفت في أوائل الكلمات ، أو في أوواخرها . وقد وضع كل ذلك في ترتيب الفيائى حتى يمكن أن أراد حرفاً معيناً أن يجده في مكانه ٠

٢ — تناوله للأصوات الصفيرية ، وذكر السبب في تعرضها الواسع للتبدل ٠

٣ — تخصيصه ببابا لعلاج الجذور العربية والعبرية التي تتتطابق أو تتشارك في أصل أو أصلين ساكنيين ٠

٤ - إظهاره الملائم المشتركة بين العربية والعبرية والآرامية في تصريف الأفعال

ولهذا يقول بعض الباحثين : « لا يعد مبالغة أن نزعم أن ابن قريش يعد بحق أبا للدراسات اللغوية السامية المقارنة على الرغم من أن ملاحظاته كانت عرضية ، أكثر منها مؤسسة على دراسة مستقيمة لتركيب كل من اللغات الثلاث » (١) .

(١) انظر : Literary History of Hebrew الصفحات ١٧ - ١٩ .

(٢) ٢٢ - البحث اللغوي)



الباب الثالث

قضية التأثير والتاثير

1. *Phragmites* *australis* (L.) Trin.

2. *Phragmites* *australis* (L.) Trin.

تمهيد

ليس من السهل ونحن نبحث قضية التأثير والتأثير أن نصل إلى نتائج قطعية حاسمة ، لأن مشكلة التأثير والتأثير من المشكلات الشائكة التي يصعب علاجها ، وخصوصاً إذا كانت تتناول موضوعاً مفرياً عليه مئات السنين . وربما كانت قضية التأثير الأجنبي بالدرس اللغوي عند العرب أسهل تناولاً من قضية التأثير الأجنبي وأقوى أدلة ، لأن التأثير قد تم في فترة متأخرة نسبياً ، ولأن الأمثلة والشواهد على وجود هذا التأثير كثيرة وشبه قطعية .

ويجب أولاً وقبل أن نبدأ دراستنا لهذه القضية أن ننبه إلى أمرين :

١ - أنه لا يصح - حين يجد الباحث تشابهاً بين عمليين - أن يعزى على مجرد السبق الزمني ويتخذه دليلاً على تأثير السابق في اللاحق . فالعقل البشري هو العقل البشري في أي بقعة من أنحاء العالم . وما يهتم به الرء في بلد قد يهتم به آخر في بلد آخر دون أن يطلع على ما انتهى إليه غيره . وقد يتتشابه العملان أو يتتطابقان ويظل كل منهما أصلاً في ذاته^(١) .

٢ - أن كثيراً من الأحكام التي أطلقت حول قضية التأثير والتأثير قد أثبتت الأيام خطأها - أو على الأقل قدمت ما يشكك فيها . ومن ذلك ما كان يظن من أسبقية الهندود في علم الفلك ، وقد قال غرستاف

(١) من ذلك ما لا حظه العلماء في مجال الفلك من وجود تطابق بين الهندود والعرب في تقسيم منازل القمر . وقد نفى وليم جونز أي صلة بين العلمين ورأى اتفاقهما بمحض الصدفة .

لأنظر : On the Indian and Arabian Division of the zodiac

لوبون في ذلك : « ما كان يقال حول قدم علم الفلك الهندي ودقته من الأفكار ، قد أهمل تجاه الدراسات التامة ، فأصبحت هذه الأفكار غير جديرة بعنایة أحد » ^(١) بل أكثر من هذا يرى غوستاف لوبون أن القضية بالعكس وأن هناك قسماً كبيراً من المعرف العلمية قد نقله المسلمين إلى الهند أو الصين ثم عده الأوروبيون فيما بعد من أصل هندي أو صيني ^(٢) .

(١) حضارة الهند ، ص ٥٤٧ .

(٢) حضارة العرب ، ص ٥٦٤ .

الفصل الأول

احتمالات التأثير الأجنبي

الهنود :

ليس هناك احتمال لوجود تأثير هندي على فن المعاجم العربية ، بل العكس هو الاحتمال القائم . يقول Haywood : « ومن العدل أن نقول إن فترة النشاط المعجمي الكبير في الهند كانت في القرن الثاني عشر ، وهو وقت كان العرب فيه قد أنتجوا بعضاً من معاجمهم العظيمة ، والنظام المثالى لم يوجد مطلقاً في معاجم الهنود . ربما بسبب الصياغة الشعرية ، أو ربما لأن المعاجم كانت تهدف عندهم إلى تيسير حفظها عن ظهر قلب »^(١) . ولا ندرى كيف يكون الهنود – كما يزعم الدكتور محمد إسماعيل الندوى – قد أثروا « في وضع المناهج للقواميين العربية »^(٢) ، ولم يكن لديهم هم أنفسهم مناهج للقواميين الهندية ؟ بل لم يكن أى من معاجمهم قد حقق النموذج الذى يجدر احتذاؤه . يقول Haywood : « هل الأعمال المعجمية عند الهنود تسمى معاجم ؟ هذه نقطة محل مناقشة »^(٣) . ويقول Weber : « إن المعاجم السنسكريتية بالمعنى العلمي لم تظهر إلا في وقت متاخر »^(٤) .

وليس أسبقية العرب في مجال المعاجم مقررة بالنسبة للهنود وحدهم بل بالنسبة للعالم أجمعه ، يقول Haywood ونحن نصر على أن نستشهد

Arabic lexicography من ٧ وانظر Winternitz في تاريخ الأدب (١)

الهندي من ٤٥٥ (٢)

تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية – من ١١٤ .

Arabic lexicography من ٤ . (٣)

انظر The History of Indian literature من ٢٢٧ . (٤)

برأى غير العرب حتى لا يتهم العالم بالتعصب إن كان عربياً — يقرُّ : « الحقيقة أنَّ العرب في مجال المعاجم يحتلُّون مكان المركز سواء في الزمان أو المكان بالنسبة للعالم القديم والحديث وبالنسبة للشرق والمغرب »^(١) . ويذكر المؤلف نفسه فرقاً أساسياً بين المعجم العربي وما سبقه من معاجم بقوله : « المعجم العربي منذ نشأته كان يهدف إلى تسجيل المادة اللغوية بطريقة منظمة ، وهو بهذا يختلف عن كل المعاجم الأولى للأمم الأخرى ، التي كان هدفها شرح الكلمات النادرة أو الصعبة »^(٢) .

ولكن هناك احتمال — مجرد احتمال — بوجود تأثير هندي صرتي على الخليل لا يتجاوز الترتيب الصوتى للحروف الهجائية مع البدء بأعمقها مخرجًا ، ولا يصح أن يبالغ في مدى هذا التأثير على نحو ما ، فيقال مثلًا إن هناك تأثيراً صوتياً بوجه عام على اللغويين العرب للأسباب الآتية :

(١) أن الترتيب الصوتى عند الخليل — وغيره من اللغويين العرب — يختلف اختلافاً كبيراً عن ترتيب الهندود . فقد ضمت الألفباء الهندية ٥١ حرفاً وبدأت بالعلل (بدأ الخليل بالسواكن) ، واشتملت على رموز للعلل القصيرة (لا توجد في الألفباء العربية) ، وعلى رموز للعلل البسيطة والمركبة (لا رموز للمركبة في العربية) ، ووضعت أصوات الصفير في آخر الحروف المساكنة (ما يقابلها في العربية وهو ص — س — ز قد وضع في مكان وسط) ، واعتبرت الأصوات ي — ر — ل من أشباه أصوات العلة ووضعتها متتالية بالتترتيب السابق (في حين أن الياء وضعت مع آخر العلة في ترتيب الخليل وفصلت الياء عن اللام والراء بالضاد في ترتيب ابن جنى)^(٣) .

(١) صفحة ٢ .

(٢) ص ٢ .

. On the origin of the Indian Brahman Alphabet (٣) ص ٢٨ .

ومعنى هذا أن الخليل وإن كان من المحتمل أن يكون قد سمع بالترتيب الصوتى الهندى فقد خالقه حين التطبيق . ويبدو أنه اهتدى بذوقه وحسه الفطري إلى الترتيب الذى توصل إليه . ويؤيد ذلك ما جاء في مقدمة العين عن كيفية اهتماء الخليل إلى هذا النظام ، ونصه : « فدبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها فصير أولها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلقة . وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو أب - أت - أح - أغ - فوجد العين الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم » ^(١) . كما يشرح الليث كيف وردت الفكرة إلى ذهن الخليل ، وكيف قلب النظر فيها حتى انتهى إليها وأخرجها إلى حيز الرجود فيقول إن الخليل حين ورد عليه خراسان فاتحه في تلك الفكرة التي كان من الصعب على العقل العادى إدراكتها « فجعلت أستفهمه وبيصف لى ولا أقف على ما يصف ، فاختلت إليه في هذا المعنى أياما ، ثم اعتلى وحجت ، فرجعت من الحج فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما في صدر هذا الكتاب » ^(٢) . وما يدل على أن العرب لم يكونوا ناقلين بل مجتهدين ما نراه من خلافات بينهم في ترتيب الأحرف العربية ، فترتيب الخليل غير ترتيب سيبويه ، وترتيب ابن جنى يختلف قليلا عن ترتيب سيبويه ^(٣) .

(ب) أن دراسة المفهود للأصوات قد تميزت بوضع مقاييس محددة لأصوات اللين ، وتحديد وظيفة التجويف الحنجرى ، ودور الأرتاب الصوتية في إحداث الجهر والهمس . كما تميزت بدراسة المقطع ومراضع النبر . ولا نجد لهذا نظيرا عند اللغويين العرب .

(١) العين ٥٢/١ .

(٢) المعاجم العربية لترويش ص ٧٤ .

(٣) العين ٥٣/١ ، سر صناعة الاعراب لابن جنى ٥٠/١ ، ٥١ .

(ج) أن المنهود كانوا ينظرون إلى الدراسة الصوتية على أنها فرع مستقل من فروع علم اللغة في حين أن اللغويين العرب اعتبروها دراسة تابعة . وأول مؤلف مستقل في الأصوات عند العرب لم يظهر إلا على يد ابن جنی في القرن الرابع الهجري .

كما لا يصح أن يقلل من جهد الخليل في معجمه العين . فعلى فرض أخذه الأساس الصوتى عن المنهود فله فضل تطبيقه في لغة أخرى ، كما أن أصلته تظهر فيما يأتي :

(أ) جمعه المادة اللغوية بالطريقة الإحصائية التي سبق ذكرها ،
مع حرصه على الشمول .

(ب) التقسيم الكمي الذي اتبعه وتفريقه بين الصحاح والعلل .
(ج) شرحه الكلمات شرحا دقيقا والاستشهاد عليها بالقرآن والحديث
والشعر .

ثم إن عملية الترتيب المجائى في حد ذاتها لم تكن شيئاً جديداً على العقلية العربية ، فقد كان العرب يستخدمون الترتيب الأبجدى : أبجد هوز إلى أن استخدموا الترتيب الألفبائى الذى وضعه نصر بن عاصم ورقب الحروف فيه ترتيباً جديداً اقتضاه وضع الحروف المشابهة في الصورة متجاورة ، والبدء بالثلاثيات ثم الثنائيات ثم المفردات التي لا أشباه لها ، وتركت الهمزة أولاً كما كانت في النظام القديم .

أما في مجال النحو فهناك تشابه في بعض الجزئيات بين المنهود والعرب مثل :

(أ) تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف .
(ب) التمييز بين الحروف الأصلية (الجذر أو الأصل) والحراف
المزيد .

(ج) الاهداء الى نوع من الأسماء يجمع خصائص الاسم وال فعل
وتسميتها « اسم الفعل » .

(د) الاختلاف حول الحروف وهل لها معنى في ذاتها أو في غيرها (١) .
ولكن أمثل هذه الجزئيات موجودة في لغات كثيرة ، وبعضها تفرضه
طبيعة اللغة موضوع الدراسة .

أما ما يحاول الدكتور أيوب إثباته من وجود تأثير هندي في النهج
والتبني على كتاب سيبويه ، وأن ذلك يتمثل في العناية بدراسة الأصوات
ومخارجها ، وعدم الاهتمام بالنظريات والتقسيمات العقلية (٢) — فمن
الممكن مناقشته بما يأتي :

(أ) أن هذه الدعوى مبنية على أساس وجود مدرسة نحوية هندية
واحدة ، أو اتجاه نحوى هندي واحد ، وهذا خلاف الواقع . فالمدارس
النحوية الهندية متعددة ، ومناهجها مختلفة . وقد أحصينا نحو عشر
مدارس هندية في الفترة التي سبقت أو عاصرت نشأة الدراسة اللغوية عند
العرب في مؤلفنا « البحث اللغوي عند الهنود » فارجع إليها .

(ب) وحتى اذا كان الدكتور أيوب حين تحدث عن مميزات الدراسة
النحوية الهندية يعني خصائص المدرسة البنينية التي كتبت لها الشهادة على
سائر المدارس الهندية ، فليس هناك وجه شبه بين منهج هذه المدرسة
ومنهج سيبويه في الكتاب ، أو منهج أي نحوى عربي جاء بعد سيبويه
حتى يومنا الحاضر . وأمامنا كتاب بانينى المشهور المسماى Ashtadhyayi
ينطق بذلك :

(١) تفصيل ذلك عند الهنود في بحثنا بعنوان « البحث اللغوي عند
الهنود » فصلى علم النحو وعلم الاشتتقاق .

(٢) راجع محاضراته على طلبة الليسانس بكلية دار العلوم ، عام
١٩٦٨/٦٧ .

١ - فالكتاب مقسم الى ثمانية أقسام ، وكل قسم الى أربعة فصول ، وقدم الكتاب في شكل قواعد مختصرة ، أو قوانين موجزة يبلغ مجموعها أربعة آلاف قاعدة .

٢ - يقدم القسم الأول من الكتاب تعريفات عامة وقواعد للشرح كما يعالج مشكلات صوتية متعددة . أما القسم الثاني فيعالج موضوع الإبدال وهدف التصريف ، وقواعد الجنس gender والعدد . ويتناول القسم الثالث موضوع اللواحق الأساسية . أما القسمان الرابع والخامس فيتعرضان للواحق التي يمكن إضافتها للأصل غير الفعلى مكونة جذرا غير أساسى ولواحق تصريفية . ويتناول القسمان السادس والسابع بحوثا صرفية صوتية morphophonemic . أما القسم الثامن فيتناول موضوعات متعددة .

٣ - لاقى الجانب الصوتى اهتماما من بانينى حتى صدر به كتابه . ففى الفصل الأول من القسم الأول (ص ٦٨ - ٣) يعالج أطوال الأصوات - الأصوات الأنفية - أنفية أصوات العلة اذا تسرب الهواء من الأنف - مخارج الأصوات فى الفم - كيفية إحداث الصوت عن طريق الاتصال الكامل لأعضاء النطق او الاتصال البسيط ، او لفتح الكامل او الفتح البسيط - تقسيم الأصوات باعتبارات مختلفة - أشكال العلة وحصرها في ١٨ صوتا - العلة المركبة - المقارنة بين العلة والسوakan - الإبدال وشروطه .

وهذا ما نفتقده في كتاب سيبويه .

(ج) أن النحو الهندى لم يتخلص من سلطان الفلسفه كما صرخ الدكتور أيوب ، واعتبر ذلك فرقا أساسيا بين الهندو واليونانيين . يقول الدكتور Chakravarti : « إن النحو السنسكريتى يعتبر نظاما قائما يعتمد الى حد كبير على المبادئ الفلسفية » . ويقول عن Bhartrhari إنه كان لديه « المقدرة على شرح النحو من نقطة فلسفية محضة . وعلى يديه أصبح النحو يعالج على أنه نظام مطرد من الفلسفه » . ويقول : « يعد بانتاجالي

وبهارت هارى من أعظم النحاة الهندو · ويستحقان احترامنا باعتبارهما مؤسسي فرع (فلسفة النحو) إن ما فعلاه يعد أهم مما قام به أفلاطون وأرسطو لعلم الفلسفة الخاص »^(١) ·

ولا أفهم كيف يظن ظان " خلو النحو الهندى من تأثير المنطق ، ويفترض أن الصبغة المنطقية في نحو المتأخرین جاءت عن طريق الإغريق ؟ إن المنطق — كما يقال — علم كل العلوم Science of all Sciences وللمنطق قضيایا المسلمۃ التي لا تخصل علم المنطق وحده ، وإنما تصلح للتطبيق كذلك في فروع أخرى من العلم ، لما لها من قيمة لا تقبل الجدل ·

ومن يرجع إلى بعض المناقشات النحوية عند الهندو يجدها فلسفة صرفا ، كخلافهم حول ما إذا كان هناك ما يمكن أن يسمى بالزمن الحاضر · كما أن من يرجع إلى آرائهم حول أنواع الدلالات الكلمة يرى بوضوح سلطان الفلسفة والمنطق عليهم ·

(د) ولست أخيرا مع الدكتور أيرب في قوله إن كتاب سيبويه يخالف المتأخرین من ناحية عدم تأثره بالمنطق ، وعدم اهتمامه بالنظريات والتقييمات العقلية ؟ ماذَا يبقى في أي كتاب للنحو إذن لو جردناه من النظريات ، ونحينا جانبا ما فيه من تقسيمات عقلية ؟ أليس المنطق هو المسؤول عن إعراب الخليل وسبويه الفعل المضارع بعد فاء السببية وواو المعيبة منصوبا بأن مضمرا ؟ ألم يكن الخليل يشير كثيرا من المناقشات логической ويطبق قواعده على أمثلة لم ترد عن العرب ؟ أليس منع سيبويه العطف على مفعولى عاملين مختلفين من آثار الفلسفة ، ونتيجة لتحرجه من القول بقتسلط عاملين مختلفين على معمول واحد ، لئلا يلزم أن يكون المعمول منصوبا مرفوعا مثلا ، مع أنه لا يجتمع الصدان في محل ؟ أو

ليس رفض سبيوبيه العبارة « قام ومضى المحمودون » مع ورودها عن العرب — حتى لا يكون الفاعل الواحد فاعلاً لفعلين — تغليباً للقاعدة الفلسفية التي تمنع اجتماع مؤثرين على أثر واحد ؟

اليونان :

ليس هناك مجال للقول بتأثير يوناني على العرب في مجال الأصوات والمعجم . وما يقال عن تأثير يوناني مقصور على مجال النحو فقط .

وتتلخص الآراء حول هذه القضية فيما يأتى :

- ١ - وجود تأثير يوناني مباشر على النحو العربي منذ نشأته .
- ٢ - وجود تأثير يوناني غير مباشر — عن طريق السريان — على النحو العربي منذ نشأته .
- ٣ - وجود تأثير يوناني — سواء كان مباشرةً أو غير مباشرةً — على النحو العربي في مرحلة متأخرة لا تشمل مرحلة النشأة .
- ٤ - نفي التأثير اليوناني كلية .

وقد لخص ليتمان معظم هذه الآراء في قوله : « اختلف العلماء الأوروبيون في أصل هذا العلم ، فمنهم من قال إنه نقل من اليونان إلى بلاد العرب ، وقال آخرون نبت في أرض العرب . . . ورأينا مذهب وسط ، وهو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء ، وأنه لا يوجد في كتاب سبيوبي إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه ، ولكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان . . . تعلموا استنباط النحو » (١) .

(١) ضحي الاسلام ٢٩٣/٢ .

ولم يتحدث أحد من الباحثين قبل Versteegh بصورة علمية عن التأثير اليوناني في مرحلة النشأة . ويختلص رأيه في وجود تأثير يوناني مباشر على العرب في الفترة المبكرة يتمثل في النحو اليوناني السائد والمفكرة الرواقى نتيجة الاتصال المباشر بالثقافة الهيلينية . كما قال بوجود ارتباط بين أصول النحو العربي وأصول الطيب اليوناني العلاجى ^(١) .

وأغلب الباحثين يذهبون إلى القول بتأثير يوناني في فترة متأخرة من فترات النحو العربي سواء كان التأثير مباشرةً أو غير مباشرةً ، وسواء كان التأثير عن طريق النحو اليوناني أو المنطق اليوناني ^(٢) .

ويعد من أشد المتحمسين لاثبات التأثير اليوناني يشقىي النحوى والفلسفى الدكتور ابراهيم بيومى مذكور الذى نشر بحثاً بمجلة الأزهر بعنوان « منطق أرسطو والنحو العربى » ^(٣) ، ذهب فيه إلى تأثر النحو « بالمنطق الأرسطى من جانبين أحدهما موضوعى والآخر منهجى » ويتمثل للموضوعى بتقسيم أرسطو الكلمة في مقدمة كتاب « العبارة » إلى اسم وفعل ، وأشارته في كتاب آخر له إلى قسم ثالث هو الأداة . وإذا انتقلنا إلى كتاب سيبويه نجده يبدأ بتقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف ، ويعرفها تعريفاً يحاكي من بعض النواحي التعريف الأرسطى .

أما التأثير المنهجى فقد رأه في اهتمام العرب بالقياس النحوى ، ومحاولته فلسفته والبحث عن أركانه وتحديد شرائطه . كما رأه في مبدأ العلة الذى كان له شأن في النحو العربى ، وفي المنطق الأرسطى ، وفي نظرية العامل النحوية التى هي وليدة مبدأ العلية الفلسفى .

(١) انظر : Greek Elements وبخاصة الفصول الأولى الرابع .
وانظر عرضاً لهذا الكتاب في مجلة الحصاد ، كلية الآداب ، جامعة الكويت ، العدد الأول .

(٢) المجلد ٢٢ ، الجزء التاسع والعشر ، رمضان وشوال ١٣٧١ هـ .

ونحن وإن كنا نسلم بتأثير المنطق والفلسفة (بوجه عام ولا ننكرهما على اليونانيين ، فقد كان للهندوذ ذلك منطق وفلسفة وكان لغير الهندوذ منطق وفلسفة) على النحو العربي ، فإننا نتردد كثيراً في قبول الرأي القائل بوقوع النحو العربي تحت سيطرة الفلسفة اليونانية . ومجرد التشابه في تقسيم أو أكثر ، أو في بعض المصطلحات لا ينهض دليلاً لاثبات مثل هذه الدعوى العريضة . وقد سبق أن رأينا مثلاً أن أقسام الكلام موجودة كذلك عند الهندوذ ، ولاشك أنها موجودة أيضاً عند شعوب أخرى . والأمر قد لا يخرج عن مجرد التشابه بطريق المصادفة ، أو عن التأثير الجزئي ابتداء من أواخر القرن الثالث حيث ظهرت الترجمات الأولى للأعمال الفلسفية اليونانية . ولا يصح أن نغفل في هذا المقام التأثير المعتزلي على المذاهب النحوية العربية وبخاصة على نظرية العامل^(١) .

وتبقى قضية التأثير اليوناني عن طريق السريان ، وهي ما سنبحثها في الفقرة التالية :

السريان :

يثبت الكثيرون وجود تأثير سرياني على النحو العربي ، سواء بطريق غير مباشر عن طريق الترجمات اليونانية التي تمت باللغة السريانية ، أو عن طريق الكتب النحوية التي وضعها السريان للغتهم .

(١) لمزيد بيان عن قضية التأثير اليوناني راجع : إلى جانب ما سبق ذكره — الدكتور مهدى المخزومى في كتابه « الخليل بن احمد الفراهيدى » ، والدكتور مازن المبارك في كتابه « النحو العربي » ، ودائرة المعارف الإسلامية — مادة نحو ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، الجزء الثاني ، وتاريخ الفلسفة في الإسلام تأليف دى بور وترجمة ابو ريدة ، ومدرسة البصرة النحوية للدكتور عبد الرحمن السيد . وانظر كذلك كتاب Versteegh المسابق ذكره وبخاصة في الفصل السادس (نسخة المتنق اليوناني) والسابع (استخدام المنطق في النحو) والثامن الذي خصصه للمعتزلة وأثرهم على الفكر النحوي .

وقد سبق في الفصل الثاني من الباب الأول أن عرضنا أهم جهود السوريان اللغوية، فليرجع القارئ إليها ليكون على ذكر بها.

ومن يثبت التأثير السورياني الدكتور إبراهيم مذكور في مقاله السابق الاشارة إليه وفيه يقول : « من الثابت أن كتب أرسطو المنطقية .. كانت معروفة لدى السوريان ، وقد ترجمت إلى لغتهم قبل الإسلام .. والمهم أنها ترجمت إلى اللغة العربية منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري .. فهى إذن ثروة جديدة نقلت إلى العالم العربي .. ولا بد أنها قوبلت بما تستحق من تقدير إن من سيبويه أو من سبقه من اشتغلوا بالمسائل النحوية .. على أن هناك عملاً مشابهاً تم على مقربة من نحاة العرب الأول وهو وضع النحو السورياني .. في القرن السادس الميلادي ولاشك في أن هذا النحو قد تأثر بالنحو اليوناني ومنطق الخليل .. ومن بين وأعضيه والمستغلين به مترجمون اتصلوا بالعرب ونحاتهم وعاشوا معهم .. فيعقوب الرهاوى له شأنه في وضع النحو السورياني ، وهو معروف في الأوساط العربية ، وحنين بن إسحاق مترجم آخر معاصر للخليل وسبويه .. ومن الميسير أن نتصور أنه قد تبادل .. مع الخليل بعض القواعد النحوية »^(١) .

ويرى جورجى زيدان نفس الرأى إذ يقول : « العرب يغلب على ظننا أنهم نسجوا في تبويب النحو على منوال السوريان لأن السوريان دونوا نحوهم ، وألقوا فيه الكتب في أواسط القرن الخامس الميلادي على يد يعقوب الرهاوى .. ويفيد ذلك أن العرب بدءوا في وضع النحو وهم بالعراق بين السوريان والكلدان .. وأنقسام الكلام في العربية هي نفس أقسامه في السوريانية »^(٢) .

(١) المجلد ٢٣ من مجلة الازهر ، ص ٤٢ .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ٢٥١/١ .

وعلى الرغم من وجود هذا الاحتمال بتأثير سريانى على النحو العربى ، فلا يكفى — في نظرنا — أن يتخذ مجرد السبق الزمنى ، أو التجاور المكانى ، أو التشابه الجزئى دليلاً على وجود تأثير وتأثر . ويبدو أن أولئك المولعين برد كل ما هو عربى إلى أصل أجنبى هم من تلك الفئة من الباحثين التى تستثنى على العقلية العربية الاستقلال الفكرى ، وتتنفى عنها الأصلة العلمية ، ويبدو أيضاً أن أولئك الباحثين قد ظنوا أن النحو العربى قد ولد ناضجاً . لأنه جاءنا ناضجاً ، فاتخذوا من ذلك دليلاً على نقله من نحو أمة أخرى .

وقد سبق أن رأينا أن النحو العربى قد مر بمراحل تطويرية كثيرة قبل أن يصل إلى مرحلة النضج ، وأن الفترة الزمنية بين نشأة النحو وكتاب سيبويه تزيد على المائة عام . وهى كافية جداً لخلق نحو عربى ناضج متطور بدون النقل الحرفي من نحو آخر .

وإذا كانا قد ترددنا في إثبات الأثر السريانى على النحو العربى فيبدو أن هناك نقطتين لا مجال لإنكار أثر السريان فيما على العرب وهو ما :

١ - أقدم مثل لتأثير السريانى على العربية هو الأبجدية النبطية التي استعارها العرب لكتابتهم . والخط النبطي مشتق من الآرامى . والإملاء العربى القديم قريب من الإملاء الآرامى ، ويظهر ذلك في الخط الكوفى .

٢ - نشأة الحركات الأعرابية في فجر الإسلام ، التي ينسب وضعها إلى أبي الأسود الدؤلى ، وهي في الحقيقة مأخوذة عن السريان . فقد استخدم أبو الأسود طريقة الشكل بال نقط وكانت إحدى طرق الشكل عند السريان ، وهي الطريقة التي اتبعها النساطرة ^(١) .

(١) تاريخ اللغة السريانية لزاكية رشدى ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

العبرانيون :

المجال الوحيد لاحتمال التأثير العبرى على العرب فى مجال الدراسات اللغوية هو الترتيب المعجمى بحسب القافية أو الباب والفصل . وقد سبق أن ذكرنا أن سعيدا الفيومى (ولد عام ٨٩٢ م = ٢٧٩ هـ وتوفى عام ٩٤٢ م = ٣٣١ هـ) قد وضع عملا معجمناً اسمه Agron رتبه أو رتبة قسما منه - إذا أردنا الدقة - على الأواخر . وأول من عرفناه من المعجمين العرب يرتب على الأواخر هو أبو بشر اليمان بن أبي اليمان (٢٠٠ - ٢٨٤ هـ) ثم أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى (المتوفى ٣٥٠ أو ٣٧٠ هـ) فهل استفاد الفارابى من سعيد الفيومى ؟ أو هل ألف كل منهما معجمه بدون اتصال بالأخر ، وخصوصا أنها قد تعاصرت لفترة طويلة ؟ أو هل هما متأثران بمعجم اليمان أو بمعجم أقدم منهما لم يصلنا أو تصلنا معلومات عنه ؟ احتمالات ليس في إمكاننا ترجيح أحدها على الآخر (١) .

(١) يبقى الصينيون وقد قال فى ذلك Haywood : « لا نظن أن الصينيين كان لهم تأثير على العرب » (ص ٦ - ٧) .



الفصل الثاني

احتمالات التأثير العربي

كما أن العرب قد تأثروا بغيرهم من سباقهم ، فقد أثروا في غيرهم بعد أن تمثلوا الثقافات الأجنبية المتعددة . وقد امتد تأثيرهم — أو احتمالات تأثيرهم على الأقل — إلى شعوب كانت أسبق منهم في الدرس اللغوي مثل الهنود ، والسريان ، والمصريين .

وهناك جانبان بارزان أثر فيهما العرب على غيرهم وهما : النحو والمعجم .

أولاً — النحو

يبدو أثر العرب واضحًا في الدراسات النحوية الآتية :

١ — النحو السرياني :

بعد أن اتصل السريان بالعرب عندما دخل العرب بلادهم فاتحين ، وعذت اللغة العربية على لغتهم أثر ذلك على السريان فوضعوا نحوهم على نمط النحو العربي ، لأنه أقرب إلى لغتهم من النحو اليوناني . وكان النحاة السريان في القرن الثاني عشر وما بعده يعكسون مناهج المدارس العربية الشهيرة في البصرة والковفة . وقد وضع ابن العبرى (ولد ١٢٢٦ م وتوفي ١٢٨٦ م) كتاباً كبيراً في النحو سماه « كتاب الأشعة » على غرار كتاب المفصل للزمخشري (توفي عام ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م) . ويلاحظ أن ابن العبرى في كتابه كان يتبع تقسيمات النحاة العرب ^(١) .

(١) تاريخ اللغة السريانية لراكيه رشدي ، ص ٢٦٨ ، ٢٧٠ .

٢ - النحو القبطي :

تأثير النحاة الأقباط في كتبهم النحوية بجهودات العرب في ذلك وأنت تخرج بهذه النتيجة بعد تصفحك لكتب النحو القبطية المقدمة ، حيث تجد تشابها عجيا بين المنهجين ٠ فالكلمة عند « ابن كاتب قيصر » تنقسم إلى اسم و فعل و حرف ٠ والاسم هو الذي يخبر به أو يخبر عنه ، وهو ما دخله أحد ^(١) أدوات التعريف أو التذكير أو التأنيث أو الجمع أو ما أشبه ذلك ٠ والحرف ما دل على معنى في غيره ولم يستقل بنفسه ولا يخبر به ولا يخبر عنه ٠٠٠ ومنها الحروف التي تدخل على المبدأ والخبر وهي إن وأخواتها ٠٠٠ إلخ ٠ فهل تصدق أنك تقرأ في كتاب يعالج نحر اللغة القبطية ؟

ولم يكن هذا سبيل ابن كاتب قيصر وحده بل كان سبيل النحاة جميعا حتى ضاق بهم مؤلف قبطي آخر اسمه الشيخ الوجيه القليوبى فقال في مقدمة كتابه المسمى « الكفاية » : « وقد وضع في ذلك (النحو القبطي) مقدمات ، إلا أن المفسرين لغة أحكام تصريف اللغة العربية عليهم قاسوا أكثر أحكام القبطي عليها ٠ وليس الأمر كذلك ، بل من شرط المخرج من لغة إلى أخرى أن يجرد ذهنه عن اللغة الغاببة ، ويذهل عنها ثم يذوق اللغة المخربة ويستحضر جميع أجزائها ، ويستقرى مواضع استعمال أدواتها » ^(٢) .

٣ - النحو العبرى :

نشير في هذا المقام إلى ما سبق أن ذكرناه في الفصل الثاني من الباب الأول وملخصه :

(أ) ازدهار الدراسات اللغوية العبرية بعد ظهور الإسلام ، وكان النموذج العربي هو الذي احتذاه العبرانيون ثم طوروه ٠

(١) (كذا) وصحتها أحدي .

(٢) تاريخ اللغة العربية في مصر للمؤلف ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(ب) وجود شواهد مؤكدة أن النفوذ العربي كان موجودا حتى من ذلـى اللحظة الأولى للنشاط اللغوي العـبرـي ، ويبدو ذلك في أسماء الحركات الثلاث .

(ج) ظهور الثقافة العربية في مؤلفات أبو يوسف القرقيـانـي النحوية الذي تتلمـذـ على مدارس بغداد .

(د) تأثير الثقافة العربية على مؤلفات يهودـا بن حـيـوـجـ النـحـوـيـةـ .

(ه) تأليف أبو الوليد بن جـنـاحـ لكتاب نـحـوـيـ عـبـرـيـ أـسـمـاهـ «الـلـمـعـ» يـسـيرـ علىـ النـمـطـ العـرـبـيـ .

ثانياً - المـعـجمـ

١ - الـهـنـودـ :

بالنسبة للهنود نشير إلى ما سبق أن ذكرناه ^(١) من أن العرب يحتلون مكان المركز سواء في الزمان أو المكان ، بالنسبة للعلمـينـ القديـمـ والـحـدـيـثـ ، وبالنسبة للشرق والغرب . وما ذكرناه من أن فترة النشاط المعجمـيـ الكبيرـ فيـ الـهـنـدـ لمـ تـوـجـدـ إـلـاـ فـالـقـرـنـ الثـانـيـ عـشـرـ بـعـدـ إـنـتـاجـ بعضـ المعـاجـمـ العـرـبـيـةـ العـظـيـمةـ .

٢ - الـتـرـكـ :

هـنـاكـ نـوـعـانـ مـنـ التـأـثـيرـ يـدـخـلـانـ تـحـتـ هـذـاـ العنـوانـ هـمـاـ :

١ - تـرـجمـةـ بـعـضـ المـعـاجـمـ العـرـبـيـةـ إـلـىـ الـتـرـكـيـةـ مـثـلـ تـرـجمـةـ «الـصـاحـاحـ» الـتـىـ قـامـ بـهاـ قـرـةـ بـيـرـىـ الـتـوـفـىـ عـامـ ٨٨٦ـ هـ أـوـ ٨٦٦ـ هـ وـالـتـىـ سـمـاـهـ «الـتـرـجـمـانـ» وـمـثـلـ تـرـجمـةـ الـمـوـلـىـ مـحـمـدـ بـنـ مـصـطـفـىـ الـكـوـرـانـىـ الـتـوـفـىـ سـنـةـ ١٠٠٠ـ هـ ^(٢) .

(١) صـفـحةـ ٣٤٤ـ .

(٢) مـقـدـمةـ الصـاحـاحـ صـ ٢٠٨ـ .

٢ — تأليف بعض المعاجم التركية على نمط المعاجم العربية ،
وأكتفى بأن أمثل بما يائني :

(١) ديوان لغات الترك : للكاشغرى الذى سار على نمط ديوان الأدب للفارابى . ومؤلفه هو محمود بن الحسين بن محمد الكاشغرى من أهل كاشغر على حدود الصين ، وقد توفي عام ٤٦٦ هـ^(١) . والكتاب معجم يشرح الألفاظ التركية بعبارات عربية . ووجه التشبه واضح كل الوضوح بينه وبين ديوان الأدب سواء في المقدمة أو ترتيب المادة ، وإن لم يشير الكاشغرى إلى ذلك ، ولم يذكر اسم الفارابى . والموازنة التالية تكشف عن مدى التشابه بين الكتابين :

(١) الأعلام للزركلى .

المقدمة

ديوان لغات الترك

قال الكاشغرى : أنخت كل كلمة في محلها ، وأنهضتها من عدوائها ليصادفها في مبركتها طالبها ، ويرصدتها في مسلكها راغبها .

وقال الكاشغرى : جعلت كل كتاب من هذه الكتب شريحتين أسماء وأفعالا ، وقدمت الأسماء على الأفعال ، ثم قفوتها بالأفعال مبوية على مراتبها الأولى فالأولى .

وضعته مرتبًا على ولاء حروف المعجم .

ولقد تخلج في صدرى أن أبني الكتاب كما بني الخليل بن أحمد كتاب العين وأذكر المستعمل والمهمل . إلا أن هذا البناء أصوب لأن مأخذة أقرب .

قال الكاشغرى : برزت بتصنيف لم أسبق إليه وتأليف لم يوقف عليه .

ديوان الأدب

قال الفارابى : رتبت كل كلمة فجعلتها أولى بموضعها مما يقتضيها أو يعقبها ليجدها المرتاد لها في بقعة بعينها رابضة من غير نص مطيبة أو إدآب نفس .

قال الفارابى : جعلت كل كتاب من هذه الكتب شطرين أسماء وأفعالا وقدمت الأسماء في أمثلتها وأدواتها على الأفعال ثم تلوتها بالأفعال مبوبة على مراتبها ومدارجها مقدما الأحق فالأخق منها .

نبتدئ بالأسماء التي في أواخرها الباء ثم نتجاوزها إلى ما بعدها حتى نأتى على حروف المعجم .

لم نذهب في ذلك مذهب الخليل ابن أحمد ولم نرتب ترتيبه ميلا إلى الأشهر لقرب متناوله وسهولة مأخذة على الخاصة وال العامة .

قال الفارابى : مشتملا على تأليف لم أسبق إليه وسابقا بتصنيف لم أزاحم عليه .

ديوان لغات الترك

وقال الكاشغرى : القول في تقديم الحروف بعضها على بعض :
نبتدىء بالأسماء التي في أعيازها
الباء ثم نمر إلى ما بعدها حتى
نستوفى حروف المعجم كلها اقتداء
بائمة الأدب ، وتشبيها في البناء
بلغات العرب .

قال الكاشغرى ، قول آخر فيما
ذكر في الكتاب أو لم يذكر : ما كان
من أسماء الجبال والمهامه والأودية
والمياه ٠٠٠ ذكرت التي في بلاد
الإسلام .

ديوان الأدب

قال الفارابي : القول في تقسيم
الحروف بعضها على بعض : نبتدىء
بالأسماء التي في آخرها الباء ثم
نتجاوزها إلى ما بعدها حتى نأتي
على حروف المعجم .

قال الفارابي : قول آخر فيما
ذكر في الكتاب وفيما لم يذكر غير
ذلك مما لا غنى عنه : كل ما كان من
أسماء البلدان والأودية والجبال ٠٠٠

وكما نلاحظ هذا التشابه — الذي يدل على التأثر — في مقدمتي
المعجمين نلاحظه في نظامهما . وجزء من هذا النظام قد شرحته المقدمة
ونضيف إلى ذلك :

(أ) تقسيم الفارابي معجمه إلى ستة كتب هي السالم والمضاعف
والمثال ، وذوات الثلاثة وذوات الأربعه والمهوز . وقد تبع الكاشغرى
الفارابي في التقسيم ، وفي استخدام المصطلحات حتى ذوات الثلاثة
وذوات الأربعه ، وإن زاد عليه كتاب الغنة وكتاب الجمع بين الساكنين
وهي زيادة اقتضتها طبيعة اللغة التركية .

(ب) التقسيم لكل كتاب إلى شطرين ، شطر للأسماء وشطر للأفعال
مرجود في كلا المعجمين .

(ج) تقسيم كل شطر بحسب التجدد والزيادة موجود في كلا
المعجمين .

(د) تذيل بعض الأبواب بأحكام تصريفية نجده عند الفارابي
و عند الكاشغرى كذلك ٠

وعلى الرغم من أن الكاشغرى أهمل ذكر الفارابي فقد تنبه بروكلمان
إلى التشابه بين العاملين وكانت إشارة هى السبب فى عقدها هذه
المقارنة (١) ٠

(ب) قاموا الأروام فى نظام الكلام : مؤلفه شيخ الإسلام
ملا صالح أفندي من علماء القرن الحادى عشر ٠ وقد سار فيه على نظام
الصحاح وجمع فيه الألفاظ التركية وفسرها بالعربية (٢) ٠

٣ - الفرس :

قام الفرس بترجمة بعض المعاجم العربية ووضع معاجم فارسية
عربية على نمط بعض آخر ٠

١ - فمن المعاجم العربية المترجمة : « المصاح من الصحاح » وهو
ترجمة لصحاب الجوهري مع إبقاء الآيات والأحاديث والشعر والأمثال
باللغة العربية ، وقام بهذه الترجمة أبو الفضل محمد بن خالد القرشي
عام ٦٨١ ٥ ٠

٢ - أما المعاجم العربية التى نسج على منوالها فأشهرها معجما
الصحاب وديوان الأدب ٠

(ا) فقد ألف هندوشاه بن سنجر الكيزانى (كان حيا سنة ٧٣٠ هـ)

(١) يقول بروكلمان : « كان ديوان الأدب مثلاً لكتاب الذى ألفه
ال Kashghari وسماه ديوان لغات الترك ». (s, 1, 195)

(٢) مقدمة الصحاح ، ص ٢١٠ ، ٢١١ ٠

« صحاح العجم » على ترتيب صحاح الجوهرى وقال : « سميته بهذا الاسم لكونه على أسلوب صحاح العربية »^(١) .

(ب) مصادر الزوزنى وهو معجم للمصادر مرتبة بحسب أبواب أعمالها ألفه القاضى أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزنى المتوفى سنة ٤٨٦ هـ وهو معجم عربى فارسى بدأ بمقدمة موجزة تحدث فيها المؤلف عن منهجه وذكر أنه تأثر « بديوان الأدب » .

(ج) تاج المصادر لبو جعفر الم توفى عام ٥٤٤ هـ وهو معجم عربى فارسى يبدأ بذكر المصدر العربى ثم يذكر معناه باللغة الفارسية . والمصادر فيه مرتبة على أبواب أعمالها على النحو الذى فعله ديوان الأدب^(٢) .

* * *

وأخيراً يجب ألا ننسى جانبين آخرين يظهر فيهما التأثير العربى بوضوح وهما :

١ - جانب الكتابة أو الحروف المجائحة العربية التى استعارتها كثير من الشعوب التى دخلت فى حكم الإسلام مثل الفرس والأتراك . وما يزال الفرس يكتبون بها لغتهم ، أما الأتراك فقد تركوها على يد مصطفى كمال أتاتورك واستبدلوا بها الحروف اللاتинية .

٢ - جانب العروض أو موسيقى الشعر وقوالبه . وقد ظهر التأثير العربى بوضوح فى الشعر الفارسى والسريانى يقول الدكتور على الشابى :

(١) المرجع ص ٢٠٧ ، ٢١٠ .

(٢) راجع « الفارابى اللغوى » ، رسالة ماجستير للمؤلف ص ٣٤٥ وما بعدها .

« نشأ الشعر الفارسي متأثراً بالشعر العربي شكلاً وموضوعاً » ويقول عن « منو جهري » الشاعر الفارسي الغنائي « كان للقصيدة العربية بمفهومها الفني أثر واضح في نشأة القصيدة الفارسية ٠٠٠ » ، ويقول بعد أن عرض نماذج لشعره : « إنها تعتبر أنموذجاً حياً للقصيدة الفارسية من حيث تأثيرها بالقصيدة العربية شكلاً وموضوعاً »^(١) ٠

أما تأثر السريان فقد تمثل في شكل محاكاتهم للعرب في القوافي ٠ وأول من أدخلها في شعرهم يوحنا بن خلون في القرن الحادى عشر الميلادى^(٢) ٠

(١) الأدب الفارسي في العصر الغزنوي ص ٢٢٠، ٢٢١ ٠

(٢) تاريخ اللغة السريانية لزاكية رشدى ص ٢٦٨ - ٢٧٠ ٠

المراجع

أولاً : المراجع العربية

- ١ - الآداب السامية لحمد عطيه الإبراشي - ط أولى ١٩٤٦ .
- ٢ - ابن الطيب الفاسى وأثره في المعجم العربى - رسالة دكتوراه اعداد على حسين البابا (مخطوطة) ١٩٧٨ .
- ٣ - أبنية الأسماء والمصادر لابن القطاع - مصورة دار الكتب المصرية ٦١١١ هـ .
- ٤ - أبو بكر الزبيدي وآثاره في النحو واللغة - نصمة رحيم العزاوى - بغداد ١٩٧٥ .
- ٥ - أبو علي الفارسي للدكتور عبد الفتاح شلبي - رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم .
- ٦ - الاتقان في علوم القرآن للسيوطى - مصر ١٣٠٦ .
- ٧ - احصاءات جذور معجم لسان العرب - د . على حلمى موسى - جامعة الكويت .
- ٨ - احياء النحو لابراهيم مصطفى - مصر ١٩٥١ .
- ٩ - أخبار النحويين البصريين للسيرافى - نشر كرينشكوف .
- ١٠ - الأدب الفارسي في العصر الغزنوي للدكتور علي الشابى - تونس ١٩٦٥ .
- ١١ - أساس البلاغة للزمخشري .
- ١٢ - أسباب حدوث الحروف لابن سينا تحقيق محمد حسان الطيان ويعتلى مسيير علم - دمشق ١٩٨٣ .
- ١٣ - الاستدراك على سيبويه للزبيدي - روما ١٨٩٠ .
- ١٤ - أسطورة الأبيات الخمسين في كتاب سيبويه - للدكتور رمضان عبد التواب - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٢ م ٤٩ .
- ١٥ - الأصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس - ط ثلاثة .
(م ٢٤ - البحث اللغوى)

- ١٦ - أصوات اللغة عند ابن سينا للدكتور ابراهيم انيس - مؤتمر مجمع اللغة العربية ١٧ يناير ١٩٦٣ .
- ١٧ - اضاءة الراموس للفاسى - مخطوطة دار الكتب المصرية ٥٠٠ لغة .
- ١٨ - الأضداد للأصمى - بيروت ١٩١٣ .
- ١٩ - الأضداد لابن السكيت ولأبى حاتم - مخطوطة دار الكتب المصرية ٣٣٢ لغة تيمور .
- ٢٠ - اعجاز القرآن الباقلانى - تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف .
- ٢١ - اعراب القرآن للخاس - مخطوطة دار الكتب المصرية ٤٨ تفسير ، وتحقيق الدكتور زهير غازى .
- ٢٢ - الاصحاح في فقه اللغة لعبد الفتاح الصعيدي وحسن يوسف موسى - ط ثانية .
- ٢٣ - الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطى - حيدر آباد ١٣١٠ ، ومخطوطة دار الكتب المصرية .
- ٢٤ - أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد للشرتونى .
- ٢٥ - انباه الرواة للقطنی - تحقيق أبو الفضل .
- ٢٦ - الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانتبارى .
- ٢٧ - الانتصار لسيبويه من البرد - مخطوط ٦٠٥ نحو تيمور بدار الكتب المصرية .
- ٢٨ - الانتصار لسيبويه من البرد - مقال للدكتور احمد مختار عمر بمجلة كلية المعلمين - الجامعة الليبية - العدد الأول .
- ٢٩ - البارع في اللغة لأبى على القالى - تحقيق هاشم الطعان - بيروت ١٩٧٥ .
- ٣٠ - البحث اللغوى عند الهنود - للدكتور احمد مختار عمر - دار الثقافة بيروت .

- ٢١ — البحر المحيط لأبي حيان — القاهرة ١٣٢٨ .
- ٢٢ — البديع في الشوادل لأبن خالويه — القاهرة ١٩٣٤ .
- ٢٣ — البرهان في علوم القرآن للزركشى — تحقيق أبو الفضل ابراهيم .
- ٢٤ — البستان لعبد الله البستانى .
- ٢٥ — بعض البحوث اللغوية عند الجاحظ — مازن الوعر — مجلة المعرفة الدمشقية العدد ٢٣٤ — أغسطس ١٩٨١ .
- ٢٦ — بغية الوعاء للسيوطى .
- ٢٧ — بقايا اللهجات العربية — أنولتمان — مجلة كلية الآداب — مايو ١٩٤٨ .
- ٢٨ — البيان والتبيين للجاحظ — تحقيق عبد السلام هارون .
- ٢٩ — تاج المصادر لبو جعفرك — الهند ١٣٢٠ .
- ٣٠ — تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان — الهلال ١٩٥٧ .
- ٤١ — تاريخ الأدب العربي لبروكليمان — ترجمة عبد الحليم النجار ، إلى جانب الأصل الألماني .
- ٤٢ — تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية لمحمد اسماعيل التدوى — بيروت — ط أولى .
- ٤٣ — تاريخ اللغة السريانية — د . زاكية رشدى — مقال بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة .
- ٤٤ — تاريخ اللغة العربية في مصر — د . أحمد خثار عمر — القاهرة ١٩٧٠ .
- ٤٥ — تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان — تحقيق د . أحمد مطلاوب وخديجة الحديشى — العراق ١٩٧٧ .
- ٤٦ — التذليل والتمكيل في شرح التسهيل لأبي حيان — مخطوطه دار الكتب المصرية ٦٠١٧ هـ .
- ٤٧ — ترتيب القاموس المحيط لشيخ الطاهر احمد الزاوي .
- ٤٨ — التطور النحوى للغة العربية لبرجشتراسر — القاهرة ١٩٨١ .

- ٤٩ — تعلیق الفرائد لابن الدمامینی — مخطوطه دار الكتب المصرية ١٠٠٩
نحو .
- ٥٠ — التلاحة في النحو لابن جعفر النحاس — مخطوطه دار الكتب المصرية
٦٨٠ هـ .
- ٥١ — التکیر الصوتی عند العرب لهنری فلیش — ترجمة د . عبد الصبور
شاهین — مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٦٨ .
- ٥٢ — التقییة في اللغة لابن بشر الیمان بن ابی الیمان — تحقيق د . خلیل
العطیة — العراق ١٩٧٦ .
- ٥٣ — التکملة والذیل والصلة للزبیدی تحقيق صطفی حجازی —
القاهرة ١٩٨٦ .
- ٥٤ — التکملة والنیل والصلة للصفانی تحقيق مجموعة من الأساتذة —
مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- ٥٥ — تکملة المعاجم العربية — رینهارت دوزی — ترجمة محمد سلیم النعیمی —
العراق ١٩٧٨ .
- ٥٦ — تنقیح الألباب في شرح غواضن الكتاب لابن خروف — مخطوطه
دار الكتب المصرية ٥٣٠ نحو تیمور .
- ٥٧ — تهذیب الصحاح للزنگانی — تحقيق عبد السلام هارون وأحمد
عبد الغفور العطار .
- ٥٨ — تهذیب اللغة للأزهری — تحقيق مجموعة من العلماء — ط القاهرة .
- ٥٩ — ثلاث رسائل في اعجاز القرآن للرماتی والخطابی والجرجانی —
دار المعارف .
- ٦٠ — الجاسوس على القاموس لاحمد فارس الشدیاق — القسطنطینیة
١٢٩٩ .
- ٦١ — الجمهرة بن درید ، نشر کرنکو وآخر — حیدر آباد .

- ٦٢ — جهود ابن سينا في اللغة والاصوات — د . احمد مختار عمر — مجلة البحث العلمي والتراث — مكة ١٤٠٢ هـ .
- ٦٣ — حاشية ابن الدمامين على المفنى — مخطوطة دار الكتب المصرية ١٧٥٧ نحو .
- ٦٤ — الحجة لأبي على الفارسي — مصورة دار الكتب المصرية ٤٦٢ قراءات .
- ٦٥ — الحجة لأبن خالويه — مخطوطة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ ب .
- ٦٦ — حضارة العرب لفونستاف اوبون — ترجمة عادل زعبيتر — ١٩٦٤ .
- ٦٧ — حضارة الهند لفونستاف اوبون — ترجمة عادل زعبيتر ١٩٤٨ .
- ٦٨ — الحيوان للجاحظ — تحقيق عبد السلام هارون .
- ٦٩ — خزانة الادب للبغدادي — ط بولاق .
- ٧٠ — الخط العربي وتطوره لسهيلة الجبورى — بغداد ١٩٦٢ .
- ٧١ — الخليل بن أحمد للكتور مهدي المخزومى — بغداد ١٩٦٠ .
- ٧٢ — دائرة المعارف الاسلامية — الاصل الانجليزى والترجمة العربية .
- ٧٣ — دار الماجم بักسفورد — د . صفاء خلوصى — مجلة العربي — مايو ١٩٧٩ .
- ٧٤ — الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري — د . فاضل السامرائي — العراق ١٩٧١ .
- ٧٥ — دراسات في القاموس المحيط — د . محمد مصطفى رضوان — ليبيا ١٩٧٣ .
- ٧٦ — دراسة السمع والكلام — د . سعد مصطفى — عالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٠ .
- ٧٧ — دروس في علم أصوات العربية — جان كاتينيو — ترجمة صالح الترمادى — تونس ١٩٦٦ .
- ٧٨ — دعوات الاصلاح للنحو العربي قبل ابن مضاء للكتور احمد مختار عمر — مجلة الازهر ، شعبان ١٣٨٧ .
- ٧٩ — دلالة الالفاظ للكتور ابراهيم انيس .
- ٨٠ — ديوان الادب لفارابي (الجزء ١ - ٤) — تحقيق د . احمد مختار عمر — مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

- ٨١ — ديوان لغات الترك للكاشغرى — دار الخلافة العلية ١٣٣٣ .
- ٨٢ — ديوان النابغة الذبياني — تحقيق د . شكرى فيصل — دار الفكر .
- ٨٣ — رأى في بعض الأصول اللغوية وال نحوية للأستاذ عباس حسن .
- ٨٤ — الرد على النحاة لابن مضاء ، تحقيق د . شوقي ضيف ١٩٤٧ .
- ٨٥ — رسالة الغفران للمعري ، تحقيق د . بنت الشاطئ ١٩٥٠ .
- ٨٦ — رسالة الملائكة للمعري ، تحقيق سليم الجندي ، دمشق ١٩٤٤ .
- ٨٧ — سر صناعة الاعراب لابن جنى — تحقيق مصطفى السقا وآخرين ١٩٥٤ .
- ٨٨ — سر الليل في القلب والابدال لأحمد فارس الشدياق .
- ٨٩ — سيبويه امام النحاة — على النجدى ناصف ١٩٥٣ .
- ٩٠ — الشافية لابن الحاجب .
- ٩١ — شذا العرف في فن الصرف للحملوى .
- ٩٢ — شرح الاقتراح لابن علان ، مخطوطه دار الكتب المصرية ٦٦٦ نحو تيمور .
- ٩٣ — شرح الآلفية لابن عقيل .
- ٩٤ — شرح الآلفية للأشمونى .
- ٩٥ — شرح الفنية ابن معطى لابن الخباز ، مصورة دار الكتب المصرية ١٨٢٣ نحو .
- ٩٦ — شرح الجمل لابن عصفور ، مخطوط دار الكتب المصرية ٣٣٢ نحو تيمور .
- ٩٧ — شرح الجمل لابن الصبان ، مخطوط دار الكتب المصرية ١٩ نحو .
- ٩٨ — شرح ديوان الحماسة للمعري ، مخطوط دار الكتب المصرية ٣٠٨ أدب .
- ٩٩ — شرح شذور الذهب لابن هشام ، بحاشية الأمير .
- ١٠٠ — شرح كفاية المتحفظ لابن الطيب الفاسى ، مخطوط دار الكتب المصرية ١٤ لغة ش .
- ١٠١ — شرح المعلقات لابن جعفر النحاس مخطوطه المصحف البريطانى .
- ١٠٢ — شرح مفصل الزمخشري لابن يعيش .

- ١٠٣ — الشفاء — في النفس لابن سينا — لندن ١٩٥٩ .
- ١٠٤ — شمس العلوم لنشوان بن سعيد ، طبعتاً ليدين والخطبي .
- ١٠٥ — الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس ، القاهرة ١٩١٠ .
- ١٠٦ — صبح الأعشى للقلقشندى .
- ١٠٧ — الصاحح للجوهرى بطبعته .
- ١٠٨ — صحيح مسلم بشرح النووي — القاهرة ١٣٤٧ .
- ١٠٩ — ضحي الإسلام لأحمد أمين ، ط سابعة .
- ١١٠ — الضرائين وما يجوز للشاعر دون الناشر الملاوى ، السلفية ١٣٤١ .
- ١١١ — طبقات النحوين واللغويين للزيدي ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم .
- ١١٢ — العباب الزاخر واللباب الفاخر للصفانى (حرف الغين) تحقيق محمد حسن آل ياسين — العراق ١٩٨٠ .
- ١١٣ — عبىث الوليد للمعري ، دمشق ١٩٣٦ .
- ١١٤ — العربية ليوهان ذك ، ترجمة د . عبد الطليم النجبار ، دار الكتاب العربي ١٩٥١ .
- ١١٥ — علم اللغة للدكتور بهمود السعراي ، دار المعارف ١٩٦٢ .
- ١١٦ — علم اللغة العام ، القسم الثاني : الأصوات للدكتور كمال بشر — دار المعارف ١٩٧٠ .
- ١١٧ — العمدة لابن رشيق ، القاهرة ١٣٤٤ .
- ١١٨ — العمدة في الجراحة — يعقوب بن اسحاق المعروف بابن القت — حيدر آباد — الجزء الأول — ط أولى .
- ١١٩ — العين للخليل بن أحمد ، تحقيق د . عبد الله درويش ط بغداد . وتحقيق د . مهدى المخزومى و د . ابراهيم السامرائي ط ثانية .
- ١٢٠ — الغريب المصنف لابن عبيد ، مخطوطه دار الكتب المصرية ١٢١ لغة .
- ١٢١ — الفارابى اللغوى وتحقيق مقدمة معجمه ديوان الأدب للدكتور أحمد مختار عمر ، مجلة معهد المخطوطات نوفمبر ١٩٦١ .
- ١٢٢ — الفهرست لابن النديم .

- ١٢٣ — في أصول النحو لسعيد الألغانى ، بيروت ١٩٦٣ .
- ١٢٤ — في اللهجات العربية للدكتور ابراهيم انيس ، ط ثانية .
- ١٢٥ — القانون في الطب لابن سينا — ط روما .
- ١٢٦ — القراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة ، ط أولى ١٩٤٨ .
- ١٢٧ — تصة الكتابة العربية لابراهيم جمعه — سلسلة اقرأ .
- ١٢٨ — القلب والابداى لابن السكيت ، بيروت ١٩٠٣ .
- ١٢٩ — القواعد النحوية مادتها وطريقتها لعبد الحميد حسن ، القاهرة ١٩٤٦ .
- ١٣٠ — القياس في اللغة لمحمد الخضر حسين — المسافية ١٣٥٣ .
- ١٣١ — الكافية لابن الحاجب .
- ١٣٢ — كتاب التنبية والإيضاح لابن برى — الجزء الأول — تحقيق مصطفى حجازى — القاهرة ١٩٨٠ .
- ١٣٣ — كتاب الجيم لأبى عمرو الشيبانى — تحقيق مجموعة من العلماء — جمع اللغة العربية بالقاهرة .
- ١٣٤ — كتاب الجيم لأبى عمرو الشيبانى — فرنر ديم — الرياض ١٩٨٠ .
- ١٣٥ — الكتاب لسيبوبيه طبعة بولاق والطبعة التى حققها الاستاذ عبد السلام هارون .
- ١٣٦ — كتاب في أصول اللغة ، مجمع اللغة العربية في مصر ١٩٦٩ .
- ١٣٧ — كتاب ليس لابن خالويه — تحقيق العطار ، دار مصر للطباعة .
- ١٣٨ — كتاب الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية لابن بارون — تحقيق P. K. Kokovtsov وتقديم وتعليق .
- ١٣٩ — كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون لحاجي خليفة .
- ١٤٠ — كفاية المتحفظ لابن الأجدابى ، طبعات متعددة .
- ١٤١ — لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة للدكتور عبد العزيز مطر ١٩٦٦ .
- ١٤٢ — لسان العرب لابن منظور ، طبعتنا بولاق وبيروت .

- ١٤٣ - اللسان العربي ، مجلة المكتب الدائم لتنسق التعریب بالغرب (حتى المجلد ١٧) .

١٤٤ - اللغة والنحو بين التقديم والحديث للأستاذ عباس حسن ، القاهرة .

١٤٥ - اللغة والنحو للدكتور حسن عون - ط أولى ١٩٥٢ .

١٤٦ - متخير الألفاظ - ابن فارس - تحقيق هلال ناجي - طبعة الرياط .

١٤٧ - مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام هارون - ط المعارف .

١٤٨ - مجلة مجمع اللغة العربية بمصر .

١٤٩ - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مجلد ٣٢ جزء ١ عام ١٩٥٧ .

١٥٠ - مجمع اللغة العربية في ثلاثة عاما : ماضيه وحاضره ، القاهرة ١٩٦٤ .

١٥١ - مجمع اللغة العربية في ثلاثة عاما : المجمعون ، القاهرة ١٩٦٦ .

١٥٢ - مجمع اللغة العربية في خمسين عاما - د . شوقي ضيف - ١٩٨٤ .

١٥٣ - مجل اللغة لابن فارس - تحقيق هادي حسن حمودي - الكويت ١٩٨٥ .

١٥٤ - المحتسب في تبيان وجوه شواذ القراءات لابن جنى ، مخطوطة دار الكتب المصرية ٢٥٢ قراءات .

١٥٥ - المحيط للصاحب بن عباد ، مخطوطة دار الكتب المصرية ٤٢ لغة ، والقسم الذي حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين (الجزء الأول والثاني) .

١٥٦ - مختار القاموس الرازي .

١٥٧ - المختار من صحاح اللغة لمحمد محبي الدين وآخر - القاهرة .

١٥٨ - المخصص لابن سيده - ط بولاق .

١٥٩ - المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف - ط المعارف .

١٦٠ - المدخل الى دراسة النحو العربي - عبد المجيد عابدين - ط أولى ١٩٥١ .

١٦١ - مدرسة البصرة النحوية - د . عبد الرحمن السيد - دكتوراه بدار العلوم .

- ١٦٢ — مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو للدكتور مهدي المخزومي .
- ١٦٣ — مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوى .
- ١٦٤ — المزهر للسيوطى . تحقيق جاد المولى وآخرين .
- ١٦٥ — المسائل والأجوبة لابن قتيبة — مخطوطة دار الكتب المصرية ٣٣١ لغة تيمور .
- ١٦٦ — المساعد — الأب انتناس ماري الكرملي — بغداد ١٩٧٢ .
- ١٦٧ — المستشرقون لنجيب العقيقي . دار المعارف ١٩٦٤ .
- ١٦٨ — المصادر للزوزنى . مخطوطة دار الكتب المصرية ٥٨ مجاميع .
- ١٦٩ — المعاجم العربية للدكتور عبد الله درويش — القاهرة ١٩٥٦ .
- ١٧٠ — المعاجم العربية للدكتور عبد السميم محمد أحد — القاهرة ١٩٦٩ .
- ١٧١ — المعاجم اللغوية — دكتور محمد أحمد أبو الفرج — القاهرة ١٩٦٦ .
- ١٧٢ — معانى القرآن للنحاس — مخطوطة دار الكتب المصرية ٣٨٥ تفسير .
- ١٧٣ — معانى القرآن للفراء — مخطوطة دار الكتب المصرية ١٠ تفسير ش .
- ١٧٤ — معجم الأدباء لياقتول الحوى .
- ١٧٥ — المعجم الانجليزى بين الماضي والحاضر — د . داود حلمى السيد — الكويت ١٩٧٨ .
- ١٧٦ — المعجم العربى بين الماضي والحاضر — د . عدنان الخطيب ١٩٦٧ — ١٩٦٦ .
- ١٧٧ — المعجم العربى للدكتور محمد سالم الجرج (محاضرات غير مطبوعة) .
- ١٧٨ — المعجم العربى للدكتور حسين نصار — دار مصر بالفجالة .
- ١٧٩ — المعجم الكبير — مجمع اللغة العربية .
- ١٨٠ — المعجم اللغوى التاريخى لفيشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦٧ .
- ١٨١ — معجم مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق عبد السلام هارون .
- ١٨٢ — المعجم الوجيز — مجمع اللغة العربية بالقاهرة — ط أولى .
- ١٨٣ — المعجم الوسيط — مجمع اللغة العربية بالقاهرة — ط أولى وثانية .

- ١٨٤ — المقتضب للبرد ، مخطوطة دار الكتب المصرية ٩٠٩ : نحو .
١٨٥ — مقدمة الأدب للزمخشري — مخطوطات دار الكتب المصرية .
١٨٦ — مقدمة الصحاح لأحمد عبد الغفور العطار .
١٨٧ — مقدمة في نحو لخلف الأحمر — دمشق ١٩٦١ .
١٨٨ — مناهج البحث في اللغة — د . تمام حسان .
١٨٩ — من أسرار اللغة — د . ابراهيم أنيس .
١٩٠ — من تاريخ النحو لسعيد الأفغاني — دار الفكر .

١٩١ — من قضايا اللغة والنحو للدكتور — أحمد مختار عمر — ط أولى —
القاهرة ١٩٧٤ .

١٩٢ — المنجد في اللغة للأب لويس ملوف .
١٩٣ — المنصف لابن جنى — تحقيق ابراهيم ، صطفى وعبد الله أمين —
الحلبي — أولى .

١٩٤ — منطق أرسطو والنحو العربي للدكتور ابراهيم ، دكور — مجلة الازهر
رمضان وشوال ١٣٧١ .

١٩٥ — منهاج السالك لأبي حيان .
١٩٦ — المهرجان الالفي لأبي العلاء — المجمع العلمي العربي — دمشق ١٩٤٥ .
١٩٧ — المؤشح في مأخذ العلماء على الشعراة للمرزباني .

١٩٨ — موطنة الفصيحة لابن الطيب الفاسي — مخطوطة دار الكتب المصرية
١٧٩ لغة .

١٩٩ — نحو العربي للدكتور مازن المبارك — ط أولى ١٩٦٥ .
٢٠٠ — نشأة نحو لمحمد الطنطاوى .
٢٠١ — نشأة نحو عند السوريان وتاريخ نحاتهم الدكتورة زاكية رشدى .
٢٠٢ — النشاط الثقافي في ليبيا للدكتور أحمد مختار عمر — مطبعة دار الكتب
ببيروت ١٩٧١ .
٢٠٣ — النشر في القراءات العشر لابن الجزرى .

- ٢٠٤ — نظرات في اللغة عند ابن حزم — سعيد الافغاني — بيروت ١٩٦٩ .
- ٢٠٥ — نظرات في المعجم الوسيط — د . عدنان الخطيب مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٣ — ١٩٦٧ .
- ٢٠٦ — نظرة في النحو لطه الرواى .
- ٢٠٧ — نظرية الحقول الدلالية — مقال المذكور احمد مختار عمر — مجلة كلية الآداب — جامعة الكويت — العدد ١٣ .
- ٢٠٨ — هموم الواعي شرح جمع الجواب للسيوطى .
- ٢٠٩ — وفيات الأعيان لابن خلkan — تحقيق محيى الدين .
- ٢١٠ — يونس — دا . حسين نصار — سلسلة اعلام العرب .

ثانياً : المراجع الأجنبية

1. A Grammar of the Classical Arabic, M. S. Howell Vol. 1, 1883.
2. A Short History of Linguistics, R. H. Robins. 1967.
3. A Short History of Syriac Literature, W. Wright, London 1894.
4. Arabic Lexicography, J. A. Haywood, Leiden. 1960.
5. Arabic Linguistic Studies in Egypt, A. M. OMAR, Ph. D. Thesis, Cambridge.
6. Fragments of the Syriac Grammar, W. Wright, 1871.
7. General Linguistics, R. H. Robins, London. 1966.
8. Greek Elements in Arabic Linguistic Thinking, C. H. Versteegh, 1977.
9. Greek Pioneers in philosophy and grammar, by Forber. The Classical Review, Vol. 47, 1933.
10. History of Indian Literature, M. Winternitz (English translation). Delhi, 1967.
11. Ibn Barun's Arabic Works on Hebrew Grammar and Lexicography, by P. Wechter, 1964.
12. Literary History of Hebrew Grammarians, H. Hirschfeld, London. 1926.
13. New Trends in Linguistics, B. Malmberg, Sweden, 1964.
14. On Language, from Plato to Von Humboldt, ed by P. H. Salus, 1969.
15. On the Indian and Arabian Division of the Zodiac, by Colebrooke, in Miscellaneous Essays, Vol. 2. 1873.
16. On the Origin of the Indian Brahman Alphabet, G. Buhler, Strassburg, 1898.
17. The Beginnings of Arabic Lexicography.
J. R. A. S. 1924. مقال للمستشرق كرنوكو منشور بمجلة :
18. The Bloomfield School, C. C. Fries, in Trends in European and American Linguistics, 1963.

19. The Encyclopaedia Britannica.
20. The French School of Linguistics, A. Sommerfelt, Trends in European and American Linguistics.
21. The History of Indian Literature, a. Weber, 1878.
22. The Jewish Encyclopaedia.
23. Manual of lexicography. L. Zgusta, Mouton, 1971.
24. The Philosophy of Sanskrit Grammar, B. C. Chakravarti, Calcutta, 1930.
25. Tajwid as a Source in Phonetic Research, K. Semaan.

منشور في :

Wiener Zeitschrift für die Kunde des morgenlandes, 1962.



كتب أخرى للمؤلف

- * تاريخ اللغة العربية في مصر — الهيئة العامة للتأليف والنشر — القاهرة ١٩٧٠ .
- * النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي — منشورات الجامعة الليبية ١٩٧١ .
- * البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب — دار الثقافة بيروت ١٩٧٢ .
- * أساس علم اللغة — ترجمة عن الانجليزية — طبعتان ١٩٧٣ ، ١٩٨٣ — عالم الكتب بالقاهرة .
- * من قضايا اللغة والنحو — عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٤ .
- * ديوان الأدب للشارابي — تحقيق ودراسة — مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة — خمسة أجزاء ١٩٧٤ — ١٩٧٩ .
- * المنجد في اللغة لكراء — تحقيق بالاشتراك — عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٦ .
- * دراسة الصوت اللغوي — ثلاث طبعات من ١٩٧٦ — ١٩٨٦ — عالم الكتب بالقاهرة .
- * العربية الصحيحة — عالم الكتب بالقاهرة ١٩٨١ .
- * اللغة واللون — دار البحوث العلمية الكويت ١٩٨٢ .
- * علم الدلالة — دارعروبة الكويت ١٩٨٢ .
- * معجم القراءات القرآنية — ثنائية أجزاء — تأليف بالاشتراك — جامعة الكويت ١٩٨٢ — ١٩٨٥ .
- * النحو الأساسي — تأليف بالاشتراك — ذات الملاسل بالكويت ١٩٨٤ .
- * المعجم العربي الأساسي — تأليف بالاشتراك — المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم — تحت الطبع .

رقم الايداع ٧٧٣٦ لسنة ١٩٨٧

مطبع سجل العرب